

مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية



ISSN 2311-5181

مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي

Liban - Tripoli: Branche Abou Samra P.O. Box 8 - jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com



العام الخامس - العدد 46 - أكتوبر 2018

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



سرور طالبي / المشرفة العامة

المؤسس ورئيس التحرير: د. جمال بلبكاي

jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com

ISSN 2311-5181

هيئة التحرير:

- أ.د. عاصم شحادة علي (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)
د. بغداد باي عبد القادر (المركز الجامعي غليزان، الجزائر)
د. تيقان بوبكر (رئاسة جامعة التكوين المتواصل، الجزائر)
د. سامية ابريغم (جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر)
د. طراد طارق (جامعة خنشلة، الجزائر)
د. طوال عبد العزيز (جامعة الجلفة، الجزائر)

رئيس اللجنة العلمية: أ.د. علي صباغ (جامعة قسنطينة 2، الجزائر)

اللجنة العلمية:

- أ.د. ودان بوغفالة (جامعة مصطفى اسطمبولي، مَعسكر، الجزائر)
د. أحمد جلول (جامعة حمة لخضر، الوادي، الجزائر)
د. بوجليدة حسان (جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر)
د. بحري صابر (جامعة سطيف 2، الجزائر)
د. خويلد محمد الأمين (جامعة الجلفة، الجزائر)
د. سامية شينار (جامعة باتنة 1، الجزائر)
د. شلّالي لخضر (المركز الجامعي آفلو، الأغواط، الجزائر)
د. علة المختار (جامعة الجلفة، الجزائر)
د. فكروني زاوي (جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر)
د. نجوى نايف عبد النّبي شكوكاني (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)
د. هاني إسماعيل رمضان (جامعة غيرسون، تركيا)

أعضاء لجنة التحكيم الاستشارية لهذا العدد:

- أ.م. علاء كامل صالح العيساوي (جامعة البصرة، العراق)
د. إخلاص محمد عبد الرحمن (جامعة الجزيرة، السودان)
د. أشواق بن قَدّور (المركز الجامعي أمين العقال الحاج موسى آق أخاموك، تامنغست)
د. أميرة سامي محمود حسين (مصر)
د. حُسام موسى محمد شوشة (المؤسسة الجامعية: الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)
د. حسن زربية (جامعة قفصة، تونس)
د. محمد بالخير (المركز الجامعي أمين العقال الحاج موسى آق أخاموك، تامنغست)
د. نوري محمد أحمد شقلابو (جامعة الزاوية، ليبيا)

التدقيق اللغوي:

- أ.م.د. ميعاد جاسم السراي (الجامعة المستنصرية، العراق).
د. بشرى سعيدي (جامعة مولاي اسماعيل، المغرب).
أ. المهدي سُلطاني (جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر).

التعريف بالمجلة:

مجلة علمية دولية محكمة ومفهرسة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تتشكل دوريا في كل عدد.

اهتمامات المجلة وأبعادها:

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عبارة عن مجلة متعددة التخصصات، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر مواقع مركز جيل البحث العلمي، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي.

مجالات النشر بالمجلة:

تنشر المجلة الأبحاث في المجالات التالية: علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، علم الاجتماع، الفلسفة التاريخ، علم المكتبات والتوثيق، علوم الإعلام والاتصال، علم الآثار.

تنشر مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية البحوث العلمية الأصلية للباحثين في هذه التخصصات كافة مكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية.

شروط النشر



تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية :

ISSN 2311-5181

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها.
- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة ، أو مؤتمر في الوقت نفسه ، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.
- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:
 - عنوان البحث.
 - اسم الباحث ودرجته العلميّة، والجامعة التي ينتمي إليها.
 - البريد الإلكتروني للباحث.
 - ملخّص للدراسة في حدود 150 كلمة وبحجم خط 12.
 - الكلمات المفتاحية بعد الملخص.
- أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (20) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- أن يكونَ البحثُ خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامها على النحو الآتي:
 - اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (16) في المتن ، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (12).
 - اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (14) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (10).
 - تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 16 نقطة مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط.
- أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.
- أن يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
- عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الإلكتروني ، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك .
- تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم من قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.
- لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها .

ترسل المساهمات بصيغة الكترونية حصراً على عنوان المجلة:

social@jilrc-magazines.com

الفهرس

الصفحة

- 7 • الافتتاحية
- 9 • قياس الفعالية التنظيمية لجامعة الجلفة في ظل نظام LMD- دراسة ميدانية على عينة من الأساتذة - د. بلول أحمد - الباحث طالب نجيب / جامعة الجلفة، الجزائر .
- 23 • التنمية الحضرية في الجزائر: أي دور للمجتمع المدني؟ دراسة ميدانية لأحزاب ونقابات وجمعيات- بمدينة خنشلة- د. بوسالمى عامر/جامعة خنشلة - د. مونس أحمد/جامعة البليدة-02- الجزائر.
- 37 • أثر الإشراف الصحي على الأداء الوظيفي للعاملين دراسة ميدانية: المؤسسة الاستشفائية المتخصصة في رعاية الأمومة والطفولة بولاية برج بوعريج. أسهام بلقرمي/جامعة المسيلة، الجزائر.
- 55 • المعتقدات والممارسات الثقافية وأثرها على الحالة الصحية للأوغنديين: دراسة ميدانية في الأنثروبولوجيا الطبية د. محمد جلال حسين/جامعة القاهرة- مصر
- 73 • النزعة الماركسية في فلسفة سمير أمين الإقتصادية الباحث سفيان بقاش/جامعة الجزائر2.
- 87 • التنمية الاقتصادية في الجزائر ودورها في خلق سلوك إنجابي جديد: دراسة ميدانية في مدينة وهران أ. بلعروسي شريفة - أ. د. الوادي طيب/جامعة وهران 2، الجزائر
- 107 • أثر غياب المرأة العاملة المتزوجة على اهتمامها بأطفالها: دراسة ميدانية في مدينة وهران، الجزائر، الباحثة عمري فاطمة/جامعة وهران 2، الجزائر
- 127 • حول الدعوة إلى "فيمينيزم إسلامية": وهل من الممكن "تمكين" المرأة أو "التمركز حول الأنثى" في مجتمعات مقهورة؟ د. نهلة عبد الله الحربي/جامعة صنعاء، اليمن.
- 147 • جماعة الرفاق الافتراضية والهوية، د. عميرات محمد الأمين/المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الانسان و التاريخ، الجزائر.
- 159 • نحو تفعيل التنمية الثقافية لمواكبة التحولات التنموية المستدامة: دولة الإمارات العربية المتحدة نموذجاً الباحثة إحسان عبد الله محمد الهارش الميسري - إشراف أ. د. الفاتح عبد الله عبد السلام الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى من اتبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد:

نضع بين أيدي الباحثين العدد السادس والأربعين من مجلة "جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية"، والذي تضمن قائمةً متنوعةً من المقالات والأبحاث العلمية (النظرية والميدانية)، وشمل العديد من التخصصات والفئات العلمية المشاركة فيه، وكل ذلك يصب في بوتقة واحدة ألا وهي خدمة البحث العلمي، وتحقيق درجة عالية من الجودة.

كما نتوجه لأعضاء اللجنة التحكيمية بجزيل الشكر والعرفان على مجهوداتهم القيمة في تقييم المقالات والأبحاث المنشورة بهذا العدد.

هذا وندعو كل الأساتذة والباحثين وطلبة الدكتوراه أن يساهما في المجلة بإنتاجهم في شتى المجالات العلمية "الإنسانية والاجتماعية" إثراءً لمضامينها وتوسيعاً لأفاق معارفها.

وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه ننيب.

رئيس التحرير / د. جمال بلبكاي

تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز

جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي © 2018

قياس الفعالية التنظيمية لجامعة الجلفة في ظل نظام LMD

- دراسة ميدانية على عينة من الأساتذة -

د. بلول أحمد/جامعة الجلفة، الجزائر الباحث طالب نجيب/جامعة الجلفة، الجزائر

ملخص:

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى معرفة مستوى الفعالية التنظيمية لجامعة الجلفة في ظل نظام lmd، حيث اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي، وأجريت الدراسة على عينة من الأساتذة قوامها 60 أستاذا، وتم تطبيق استبيان من إعداد الباحثان انطلاقا من أبعاد كامرون لقياس الفعالية التنظيمية في المؤسسات الجامعية، توصلت نتائج الدراسة إلى:

- وجود مستوى متوسط للفعالية التنظيمية لجامعة الجلفة في ظل نظام lmd من وجهة نظر الأساتذة.
- وجود تفاوت بين مستويات أبعاد الفعالية التنظيمية لجامعة الجلفة في ظل نظام lmd.
- عدم وجود فروق دالة إحصائية بين استجابات الذكور والإناث في الفعالية التنظيمية لجامعة الجلفة في ظل نظام lmd.

الكلمات المفتاحية: الجامعة الجزائرية، الفعالية التنظيمية، نظام lmd.

مقدمة:

تعد الفعالية التعليمية للجامعة الجزائرية القاعدة الأساسية للإستراتيجية الإصلاحية المستحدثة منذ سنة 2004، لقد سعت المنظومة الإصلاحية الجامعية في ظل هذا التوجه

إلى إعادة هيكلة النظام الجامعي وفق آلية جديدة عرفت بنظام الهيكلية التنظيمية للنظم الجامعية العالمية.

وقد تم اعتماد هذا النظام وتبنيه نظاما بديلا للنظام الكلاسيكي، باعتباره نظاما فعالا يلاءم أكثر التطورات والمستجدات المحلية والعالمية، ويضمن رفع مستوى الفعالية الداخلية والخارجية لمخرجات الجامعات الجزائرية بأداء أكاديمي عال متميز يسمو إلى مستوى التنافسية العالمية.

ونعتقد أن هذا النظام يسعى كما جاء في أهدافه إلى النوعية والتميز والإتقان، وإلى الإبداع والإنتاج وفق معايير الجودة العالمية. فالنظام الذي مس شتى مستويات التنظيمية لنسق الجامعات الجزائرية دفع بها إلى إجراء تغيير تنظيمي على مستوى الجانب الأكاديمي والجانب الإداري للهيكلية التنظيمية وذلك من أجل مساندة التغييرات الخارجية وتحقيق الفعالية لكافة المستويات التنظيمية له، ليوكب هذه التطورات والمستجدات الحاصلة، ولتقييم مستوى الفعالية التنظيمية لنظام (Imd) في الجامعات الجزائرية قمنا بدراسة تقييمية لفعالية التنظيمية وفق نموذج كامرون، مركزين فيها على الفئة الأساسية للعملية التعليمية الجامعية وهي عينة من أساتذة جامعة الجلفة.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

يعرف العالم اليوم ديناميكية نشطة أدت إلى تحولات عميقة على مستوى كل النشاطات البشرية ومن مختلف نواحيها. فالتطور العلمي الذي يسير بوتيرة سريعة، نجم عنه تحولات في كل البنى الاجتماعية واقتصادية كانت أو ثقافية أو سياسية. فأصبح ميدان التعليم العالي الذي يعد مطلب اجتماعي واستثمار بشري يواجه تحديات كبيرة فرضتها عليه سياسة العولمة. مما دفع السلطات المعنية ومسئولو قطاع التعليم العالي وعلى مستوى كل الدول سواء أكانت الغنية المتقدمة أو الدول النامية على العمل في اتجاه واحد هدفه الرفع من مستوى التربية والتكوين للذات يعان من بين الأركان الأساسية للتطور والرفق، ليس فقط من أجل ديمقراطية المجتمع والتخفيض من مبدأ اللامساواة في الالتحاق بالتعليم العالي ولكن من أجل مواكبة ومساندة التطور الاقتصادي والاجتماعي للبلاد والمساهمة في التنمية الشاملة. وهذا ما أجبر الخبراء الجزائريين في مجال التعليم العالي، جعله يتجاوز مع مختلف المتطلبات الأساسية وتدارك نقاط الضعف لهذا القطاع، والعمل على مساندة وفق المنظومة الجديدة لنظام Imd، واستجابة لحاجات الاقتصاد وسوق الشغل وحاجات المجتمع بصفة عامة .

لكن هل يجب هذا الأخير على مختلف متطلبات المجتمع التي من شأن التعليم العالي الاستجابة لها ؟ وهل تم الأخذ في الحسبان لكل الاعتبارات التي من شأنها أن تضمن نجاعة هذا النظام وفعالته ولوائحه التنظيمية لهذا القطاع بالجامعة الجزائرية.

ومما سبق تسعى هذه الدراسة من خلال طرح التساؤلات التالية إلى معرفة إدراك الأساتذة لمستوى الفعالية التنظيمية لجامعة الجلفة في ظل نظام Imd حسب نموذج كامرون Cameron للفعالية التنظيمية لمؤسسات التعليم العالي، وإلى معرفة التفاوت بين مستويات أبعاد الفعالية التنظيمية وكذا متغير الجنس، ونصيغ الأسئلة على النحو التالي:

1- ما مستوى الفعالية التنظيمية لجامعة الجلفة في ظل نظام Imd حسب نموذج كامرون Cameron ؟

2- هل يوجد تفاوت بين مستويات أبعاد الفعالية التنظيمية لجامعة الجلفة في ظل نظام Imd ؟

3- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة إحصائية ($\alpha=0.05$) لمستوى الفعالية التنظيمية لجامعة الجلفة في ظل نظام Imd حسب نموذج كامرون Cameron تعزى لمتغير الجنس؟

فرضيات الدراسة:

وللإجابة عن التساؤلات السابقة تم صياغة الفرضيات على النحو التالي:

- 1- نفترض أن مستوى الفعالية التنظيمية لجامعة الجلفة متوسط في ظل نظام Imd حسب نموذج كامرون Cameron من وجهة نظر هيئة التدريس.
- 2- يوجد تفاوت في مستويات أبعاد نموذج كامرون Cameron للفعالية التنظيمية لجامعة الجلفة في ظل نظام Imd من وجهة نظر هيئة التدريس.
- 3- توجد فروق في استجابات هيئة التدريس لمستوى الفعالية التنظيمية لجامعة الجلفة في ظل نظام Imd حسب نموذج كامرون Cameron تعزى لمتغير الجنس.

تحديد مفاهيم الدراسة

مفهوم الفعالية التنظيمية:

يعد مفهوم الفعالية التنظيمية من المفاهيم الحديثة في الإدارة بصفة عامة، وفي مجال الإدارة التربوية بصفة خاصة، حيث إن أول من حاول أن يقدم تعريفاً للفعالية التنظيمية في مجال الإدارة عموماً كان برنارد¹، أما في المجال الإداري التربوي فكان كامرون² أول من استخدم هذا المفهوم حيث أجرى دراسته بعنوان "تقييم الفعالية التنظيمية في مؤسسات التعليم العالي"³. أما في المنظمات العلمية الجامعات فنجد أن الفعالية قد تم التعبير عنها عن طريق مؤشري رضا أعضاء الهيئة التدريسية وإنتاجية البحث العلمي في الجامعة⁴.

كما عبر عنها أيضاً⁵ بعده مؤشرات هي: رضا أعضاء الهيئة التدريسية، والمخرجات المهنية، وإدراك إنتاجية القسم والكلية.

واعتمد⁶ مؤشرات الرضا التعليمي للطلبة، والتطور الأكاديمي والمهني للطلبة، والتطور الفردي للطلبة، ورضا العاملين في الإدارة والقسم والتطور المهني والنوعي للقسم والكلية، والنظام المفتوح وتفاعل الجماعة، والقدرة على استثمار الموارد والصحة التنظيمية ليعبر بها عن الفعالية في المؤسسات العلمية⁷.

1- الدليل العلمي لتطبيق ومتابعة ل.م.د، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، جوان 2011.

2- بادي مراد (2015). القيادة الإدارية وعلاقتها بتنفيذ نظام I.m.d. الجزائر: دار طليطلة للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى.

3- المرسوم التنفيذي رقم 08-256 مؤرخ في 19 أوت 2008، الصادر بالجريدة الرسمية عدد 48 الصادرة بتاريخ: 24 أوت 2008.

4- دليوف / لوكيا.ه/ سفاري.م (2006). المشاركة الديمقراطية في تسيير الجامعة. منشورات جامعة قسنطينة.

5- صالح حسن، شحادة ردايدة. (2001). الفعالية التنظيمية لكليات العلوم التربوية في الجامعات الأردنية الرسمية. أطروحة دكتوراه. الأردن.

6- علي معمر عبد المؤمن. (2008). البحث في العلوم الاجتماعية الوجيه في الأساسيات والمنهج والتقنيات. منشورات جامعة 7 أكتوبر. ليبيا. بدون طبعة.

7- علي براجل. (2014). دراسة تقييمية لمدى فعالية نظام ل. م. د (I.m.d) في مؤسسات التعليم العالي في ضوء آراء الأساتذة والطلبة. الجزائر.

المفهوم الإجرائي للفعالية التنظيمية:

تعرف الفعالية التنظيمية إجرائيا على أنها المحصلة النهائية لأداء الجامعة ومدى انعكاس مستوى التفاعل من حيث المواصفات المتمثلة في الأبعاد الخمسة (رضا الموظفين عن العمل، النمو المهني لهيئة التدريس، انفتاح الجامعة وتفاعلها مع المجتمع، القدرة على استقطاب الموارد، الصحة التنظيمية)، ومدى قدرتها على التكيف مع البيئة الخارجية (سوق العمل). وتحقيق الأهداف المنوطة بها، لتحافظ على بقائها ونموها وقدرتها على الاستمرار.

أبعاد الفعالية التنظيمية حسب نموذج Cameron :

حسب دراسة ليسونز هاترلي¹ بعنوان:

"أبعاد كامبرون للفعالية التنظيمية في التعليم العالي بالمملكة المتحدة: دراسة مقارنة عبر ثقافية" قد حدد بشكل عام بأن الأبعاد التي طورها كامبرون في الولايات المتحدة والتي تمثلت فيما يلي :

- رضا الطالب التعليمي- نمو الطالب الأكاديمي - نمو الطالب المهني- نمو الطالب الشخصي- رضا أعضاء الهيئة التدريسية عن العمل- النمو المهني لهيئة التدريس ونوعيتها- انفتاح المنظمة وتفاعلها مع المجتمع- القدرة على استقطاب الموارد أو المصادر- الصحة التنظيمية.

مفهوم نظام lmd:

هو عبارة عن نظام للتعليم العالي يتكون من ثلاثة مستويات: شهادة ليسانس- I- شهادة ماستر- m- شهادة دكتوراه- d².

ويمكن الإشارة إلى أن نظام (l.m.d) نشأ في البلدان الانجلوساكسونية لدواعي تحسين نوعية التعليم العالي، وهو النظام المعتمد منذ زمن طويل بجامعة أمريكا الشمالية (الولايات المتحدة وكندا)، والجامعات البريطانية، ودخل هذا النظام حيز التنفيذ في أوروبا، في السنوات الأخيرة (ابتداء من سنة 1998) في السربون وضع أربع دول هي فرنسا، ألمانيا، إسبانيا، وبريطانيا، كما طال هذا التشخيص بولونيا عام 1999³.

ويتضمن هذا النظام هيكل الدراسة لثلاث مراحل: ليسانس، ماستر، دكتوراه، فالمرحلة الأولى يتلقى فيها الطالب تكويننا لمدة ثلاث سنوات في شكل سداسيات (سداسيين في السنة الجامعية)، ويتكون السداسي من وحدات تعليمية أساسية واستكشافية وأخرى منهجية أو أفقية، وتتوج هذه المرحلة بالحصول على ليسانس أكاديمي أو مهني أما المرحلة الثانية وهي مرحلة الماستر فتتضمن تكويننا يمتد لسنتين (أربعة سداسيات) وقد يكون الماستر مهنيا أو أكاديميا وأخيرا مرحلة الدكتوراه والتي تلي مباشرة مرحلة الماستر وتمتد لمدة ثلاث سنوات⁴.

1- ماهر صالح، بنات. (2002). الفعالية التنظيمية للجامعات الفلسطينية: الجامعة الإسلامية بغزة دراسة حالة. رسالة ماجستير. غزة.

2- Barnard, C., (1938). *The Function of the Executive*, Cambridge, Mass: Harvard University Press.

3-Cameron, K., (1978). *Measuring Organizational Effectiveness in Institutions of Higher Education*. Administrative-Science - Quarterly, (23).

4- S. Coltrin; W. F. Clueck, (1977), "The Effect of Leadership 4- Roles on the Satisfaction Productivity of university Research Professors", *Academy of Management Journal*, 20, 1.

مفهوم الجامعة:

يرى علماء التنظيم التربوي انه لا يوجد تعريف قائم بذاته أو تحديد شخصي وعالمي لمفهوم الجامعة، لذلك فإن كل مجتمع ينشئ جامعتة ويحدد له أهدافها بناء على ما تمليه عليه مشاكله ومطامحه وتوجهه السياسي والاقتصادي والاجتماعي. لذلك فالجامعة مؤسسة لتكوين لا تحدد بمفردها أهدافها وتوجهات تلك الأهداف بل بالعكس فهي تتلقاها من المجتمع الذي يعتبر الأساس وهو الوحيد الذي بإمكانه أن يمددها بالحياة وبالمدلول وبالواقع، وبدراسة متأنية لمختلف الفروع والأنظمة حتى التجريدية منها المدرسة في الجامعات المنتمية لأنظمة اجتماعية واقتصادية مختلفة، يمكننا أن نلمس هذه الحقيقة سواء في الجامعات المسماة " الليبرالية " أو الجامعات الأمريكية أو جامعات بلاد الاشتراكية، وبغض النظر عن النظام الذي تنتهي إليه، فان الجامعة تظل مؤسسة ذات طابع خاص تنشأ الاستقلالية لتحقيق أهدافها في إنتاج المعرفة ونشرها. وهي استقلالية لا تفصلها كلية عن مجتمع بل تظل جزءا لا يتجزأ منه يعترها التوترات والصراعات التي تحدث في محيطها الاجتماعي وتتأثر بما يهبط المحيط سلبا أو ايجابيا¹.

الدراسات السابقة:

1- دراسة كامرون²: بعنوان "تقييم الفعالية التنظيمية في مؤسسات التعليم العالي" هدفت هذه الدراسة إلى التوصل إلى مؤشرات مقبولة، يمكن من خلالها الاستدلال على فعالية مؤسسات التعليم العالي، حيث ركز الباحث فيها على الخصائص التنظيمية لهذه المؤسسات بحيث تعكس مدى تحقيق الأهداف، وفعالية مدخلات وعمليات ومخرجات النظام المؤسسي بطريقة غير مباشرة. تم تطوير مقياس لقياس الفعالية التنظيمية، وقد تضمن تسعة أبعاد تمثلت في:

- رضا الطالب التعليمي، نمو الطالب الأكاديمي، نمو الطالب المهني، نمو الطالب الشخصي

رضا أعضاء الهيئة التدريسية والإداريين عن العمل، النمو المهني للهيئة التدريسية ونوعيتهم، انفتاح النظام وتفاعله مع المجتمع، القدرة على استقطاب الموارد الصحية التنظيمية وكان من أهم نتائج هذه الدراسة ما يلي:

وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات أداء الجامعات تعزى لمتغير الجامعة، على عكس متغير الوظيفة الذي لم يظهر له أثر، وكذلك أظهرت النتائج أن مستوى الفعالية التنظيمية للمؤسسة الواحدة يختلف باختلاف أبعاد المقياس المستخدم.

3- دراسة كامرون³ بعنوان: "دراسة الفعالية التنظيمية وعواملها المؤثرة"، هدفت هذه الدراسة إلى تحديد العوامل الرئيسية التي لها علاقة بارتفاع مستوى الفعالية التنظيمية للكليات والجامعات في الشمال الشرقي من الولايات المتحدة، وذلك باستخدام مقياس الفعالية التنظيمية الذي كان قد طوره عام 1978 أشارت نتائج هذه الدراسة إلى أن لبعض الاستراتيجيات الإدارية علاقة بتحسين مستوى الفعالية التنظيمية عبر الزمن، وكانت هذه الاستراتيجيات موجهة نحو

1- Zeithmal, C. P. & Fry, L. W. (1982), "Environment, Culture, and Effectiveness: A conceptual and Empirical Synthesis", Academy of management Journal.

2- Pettigrew, M. (1979), "On Studying Organizational Cultures",

3- Administrative Science Quarterly.

الجوانب الأكاديمية، وجمع الإيرادات، والعلاقات العامة، وشئون الطلبة، والبيئة الخارجية، كما كان للبيئة الخارجية، وعمر الجامعة ونوعها، أثر في اختلاف مستوى الفعالية التنظيمية للمؤسسات موضع الدراسة

5- دراسة صالح¹ بعنوان "الفعالية التنظيمية لكليات العلوم التربوية في الجامعات الأردنية الرسمية" هدفت هذه الدراسة إلى معرفة مستوى فعالية كليات العلوم التربوية في الجامعات الأردنية الرسمية وبيان أثر اختلاف كليات العلوم التربوية في الجامعات الأردنية لجهة فعاليتها التنظيمية، وكيف تتضح فعالية هذه الكليات من خلال تحليل بياناتها الوصفية وذلك من خلال أعضاء هيئاتها التدريسية.

اشتملت عينة الدراسة على 83 من أعضاء الهيئات التدريسية من جميع كليات العلوم التربوية في الجامعات الأردنية الرسمية (الأردنية، اليرموك، الهاشمية، مؤتة) بما نسبته 58% من مجتمع الدراسة الأصلي، حيث اعتمد الباحث على ثلاث مناهج أساسية للبحث وهي:

- إستبانة موجهة إلى أعضاء الهيئات التدريسية، تحليل مجموعة القوانين والأنظمة والوثائق التنظيمية ذات العلاقة الصادرة عن كل جامعة، وتوصلت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

- إن فعالية كليات العلوم التربوية في الجامعات الأردنية الرسمية كانت متوسطة على المقياس ككل، وعلى جميع مؤشرات الفعالية باستثناء مؤشر الإنتاجية فقد كانت الفعالية عليه متدنية.

- إن 79% من أفراد العينة أفادوا بأن فعالية كلياتهم متوسطة، وحوالي 6% منهم أفادوا أنها مرتفعة، وحوالي 15% منهم أفادوا أنها متدنية.

- قبلت جميع فرضيات الدراسة.

- إن ترتيب أعضاء هيئات التدريس لكليات العلوم التربوية حسب تصورهم لمدى فعالية كل منها كان ترتيباً تنازلياً كما يلي: الأردنية، اليرموك، مؤتة، الهاشمية.

- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الكليات على مؤشرات الإبعاد، كما أن الفروق أتت غير ذات دلالة فيما يخص بأبعاد الرضا الوظيفي التالية: الرضا عن الإشراف، والرضا عن ظروف العمل وكفاءة الطلبة والكادر.

- ظهرت فروق ذات دلالة إحصائية بين الكليات على صعيد: إنتاجية عضو هيئة التدريس، رضا الطالب التربوي، النمو المهني للهيئة التدريسية، قدرة الكلية على استقطاب مصادرها، وأبعاد الرضا الوظيفي التالية: الرضا عن الراتب والامتيازات الإضافية، والرضا عن التدريس والترقية والبحث.

- بين تحليل البيانات الوصفية نقاط القوة ونقاط الضعف في الفعالية التنظيمية لكليات العلوم التربوية الأردنية .

- التعليق على الدراسات السابقة:

بعد استعراض الدراسات السابقة نجد أنه هناك أوجه تشابه وأوجه اختلاف في عدة جوانب أهمها:

1- Lysons, Art, & Hatherly, David, (1992). Cameron's Dimensions of Effectiveness in Higher Education in the U.K.: A Cross-Cultural Comparison. *Higher Education*, 23 (3).

- ركزت مجمل الدراسات التي تناولت مستوى الفعالية التنظيمية في التعليم العالي.

- تناولت مجمل الدراسات الإجراءات المرتبطة بمؤشرات في رضا الموظفين عن العمل، النمو المهني لهيئة التدريس، انفتاح الجامعة وتفاعلها مع المجتمع، القدرة على استقطاب الموارد، الصحة التنظيمية.

- بالنسبة للمنهج المستخدم للمعالجة معظم الدراسات استخدمت المنهج الوصفي لتوضيح جوانب الموضوع النظرية والمنهج التحليلي لمعرفة دقيقة ومفصلة للجانب التطبيقي .

- أما بالنسبة لحجم عينة الدراسة فوجدنا اختلاف بين الدراسات فكل دراسة أسقطت دراستها على عينة معينة تراوح العدد ما بين 83 إلى 306 أستاذ.

منهجية الدراسة وإجراءاتها

منهج الدراسة:

قد تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي في الدراسة الحالية الذي يصف العلاقة بين عدد من المتغيرات"، وفي مثل هذه الدراسات لا يمكن التمييز بين متغيرات مستقلة والتابعة بل إن التركيز على العلاقات بين المتغيرات. ويعرف المنهج الوصفي بأنه أحد أشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم لوصف ظاهرة أو مشكلة محددة وتصويرها كمياً عن طريق جمع البيانات ومعلومات معينة عن ظاهرة أو مشكلة وتصنيفها وتحليلها وإخضاعها للدراسة الدقيقة¹.

حدود الدراسة:

تمثلت حدود الدراسة الحالية فيما يلي:

- الحدود المكانية: تم إجراء الدراسة الحالية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة زيان عاشور بالجلفة.

- الحدود الزمانية: تم إجراء الدراسة الحالية في شقها التطبيقي خلال الفترة الممتدة بين: 2016/11/20 إلى 2016/12/20.

- الحدود البشرية: تم إجراء الدراسة الحالية في شقها التطبيقي على عينة من أساتذة جامعة الجلفة.

مجتمع وعينة الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من أساتذة من جامعة الجلفة خلال الموسم الدراسي (2016-2017)، أجريت الدراسة على عينة قصدية قوامها 60 أستاذ جامعي بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية من مختلف التخصصات.

أداة البحث وخصائصها السيكومترية:

تم تطبيق الاستبيان على عينة استطلاعية مقدره بـ (60) فرد لأجل حساب الخصائص السيكومترية للمقياسين والتأكد من صلاحيتها.

- استبيان الفعالية التنظيمية:

تمّ الاعتماد في هذه الدراسة على استبيان الفعالية التنظيمية من إعداد الباحثان ويتكون هذا الاستبيان من 25 بند تقيس خمسة أبعاد، وتبلغ أعلى درجة للاستبيان (125) درجة وأقل درجة (25) درجة يجيب الأفراد ببدايل الإجابة الخمسة

1- Cameron, K., (1986). A Study of Organizational Effectiveness and Its Predictors. Management-Science, 32 (1).

(موافق بشدة- موافق-متردد-غير موافق-غير موافق بشدة)، أعطيت أوزان تراوحت بين (1-5) حسب تسلسل الإجابة، وتم حساب مستويات الاستبيان حسب قانون لكارتر الخماسي فكانت كالتالي:

45-25 مستوى منخفض جدا، 65-45 مستوى منخفض، 85-65 مستوى متوسط.

105-85 مستوى مرتفع، 125-105 مستوى مرتفع جدا.

-الخصائص السيكومترية للاستبيان: للتأكد من صلاحية الاستبيان على البيئة الجزائرية، قمنا بتطبيق الاستبيان على أفراد عينة الدراسة، وحساب معامل الصدق والثبات بعدة طرق هي:

1. صدق الاستبيان :

1.1. الصدق التمييزي (المقارنة الطرفية): تم الاعتماد لحساب صدق الاستبيان على الصدق التمييزي، حيث تم ترتيب الدرجات من الأدنى إلى الأعلى بحيث تم أخذ 27% من أعلى التوزيع و27% من درجات أدنى التوزيع فكان عدد الأفراد (14) فردا، وبعد ذلك تم حساب (T) لمعرفة الفروق بين المجموعتين، والجدول التالي يوضح ذلك :

جدول رقم (01) يمثل نتائج صدق المقياس بطريقة الصدق التمييزي.

المتغير المقاس	مجموعات المقارنة	N	\bar{X}	S2	T	Df	الدلالة الإحصائية
الفاعلية التنظيمية	المجموعة الدنيا	14	58.07	8.42	14.64	26	0.000 دال إحصائيا
	المجموعة العليا	14	93.42	3.25			

نلاحظ من خلال الجدول المحصل عليه أنّ:

-قيمة (t) بلغت القيمة (14.64) عند درجة الحرية (26) بمستوى الدلالة الإحصائية (0.000) أي توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاستبيان بين المجموعتين، وذلك لصالح المجموعة العليا أي أن الاستبيان لديه قدرة تمييزية، حيث بلغ متوسط المجموعة العليا 93.42 بينما متوسط المجموعة الدنيا بلغ 58.07 وهذا ما يؤكد أنّ الاستبيان صادق.

2.1. صدق الاتساق الداخلي Internal Consistency: صدق الاتساق الداخلي من أهم أنواع الصدق التي يمكن استخدامها للتحقق من صدق الأداة، وللتحقق من صدق الاتساق الداخلي قمنا بحساب ارتباط درجة كل بعد بالدرجة الكلية للاستبيان، واتضح أنّ هناك ارتباط بين كل محور بالدرجة الكلية للاستبيان حيث أنّ كل هذه الأبعاد صادقة عند مستوى الدلالة (0.000)، بالتالي الاستبيان صادق.

2. ثبات الاستبيان: اعتمد الباحثان في الحساب الطرق التالية:

1.2. ثبات الاستبيان بطريقة ألفا-كرونباخ Cronbach Alpha M: تمت معالجة البيانات بطريقة ألفا - كرونباخ للاستبيان فكانت النتائج المحصل عليها أنّ معامل الثبات بلغ القيمة (0.741) للاستبيان وهذا يدل على الثبات وبما أنّ هذه القيم تقترب من الواحد فهي قيمة عالية وتدل على الثبات المرتفع للاستبيان وبالتالي فهو ثابت.

2.2. حساب ثبات الاستبيان بطريقة التجزئة النصفية Split-Half: يتم حساب معامل الارتباط بيرسون بين نصفي الاختبار باستخدام معادلة جوتمان، اعتمدنا في حساب الثبات على طريقة التجزئة النصفية والتأكد من الثبات بطريقة جوتمان، والجدول يلخص لنا نتائج معالجة البيانات بطريقة التجزئة النصفية كما يلي:

جدول رقم (02) يمثل نتائج معامل ثبات المقياس بطريقة التجزئة النصفية

معامل الثبات			N	S ²	\bar{X}	البنود	المتغير المقاس
طريقة التصحيح	بعد التصحيح	قبل التصحيح	13	8.36	41.98	الفردية	الفاعلية التنظيمية
جوتمان	0.666	0.600	12	9.23	34.74	الزوجية	
			25	14.59	76.72	الكلية	

من خلال نتائج الجدول المحصل عليها نلاحظ أن:

- قيمة معامل ثبات الاستبيان بطريقة التجزئة النصفية وصلت إلى (0.60) قبل التصحيح وبعد التصحيح بطريقة جوتمان وصلت القيمة إلى (0.66) وهي قيمة عالية بالتالي الاستبيان ثابت.

الأساليب الإحصائية المستخدمة:

بالاستعانة بالحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية spss، في تطبيق الأساليب الآتية:

- الإحصاء الوصفي باستخدام التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتحديد الدرجات.
- استخدام معامل الارتباط بيرسون لمعرفة معاملات الارتباط في الصدق والثبات بالإضافة إلى معرفة العلاقة بين المتغيرين.
- معامل ألفا كرومباخ لحساب الثبات.

عرض وتحليل نتائج الدراسة ومناقشتها:

1. عرض وتحليل نتائج الفرضية الأولى: نص الفرضية

" نفترض أن مستوى الفعالية التنظيمية لجامعة الجلفة متوسط في ظل نظام lmd حسب نموذج كامرون Cameron من وجهة نظريئة التدريس"

وللتأكد من صحة الفرضية تم حساب المتوسط الحسابي الفرضي واستخدمنا اختبار (T) كما تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمستوى الفعالية التنظيمية، انطلاقاً من استجابات الهيئة التدريسية على الاستبيان ككل والجدول الموالي يوضح ذلك:

جدول رقم (03): يمثل المتوسط الحسابي والانحراف المعياري ونتائج اختبار (T) لمعرفة مستوى الفعالية التنظيمية

متغيرات الدراسة	N	\bar{X}	\bar{X}_0	S	T	DF	مستوى الدلالة
مستوى الفعالية التنظيمية	60	77.46	85	13.62	4.28	59	0.000 دال إحصائياً

دالة عند مستوى *0.05

نلاحظ من خلال الجدول المحصل عليه أن:

- قيمة (T) بلغت القيمة 3.25 في مستوى الفعالية التنظيمية وكانت قيمة المتوسط الحسابي 77.46 بانحراف معياري قدره 1362 بينما المتوسط الحسابي الفرضي 85 عند درجة حرية 59 وبمستوى دلالة 0.000 وهي قيمة دالة إحصائية، وهذا يعني انه توجد فروق بين متوسط استجابات العينة والمتوسط الفرضي ومنه يمكن الاعتماد على متوسط الحسابي للعينة، إذن تحققت الفرضية، أي مستوى الفعالية التنظيمية لجامعة الجلفة في ظل نظام lmd حسب نموذج كامرون Cameron متوسط لان القيمة تقع ضمن المستوى من 65-85 المستوى المتوسط.

اتفقت هذه النتيجة مع دراسة صالح ردايدة (2002) بعنوان "الفعالية التنظيمية لكليات العلوم التربوية في الجامعات الأردنية الرسمية" حيث سجلت أن مستوى الفاعلية التنظيمية متوسط بينما اختلفت مع دراسة منير سليمان (1993) بعنوان "الفعالية التنظيمية للجامعات الرسمية في الأردن"، حيث سجلت مستوى متوسط للفعالية التنظيمية.

يمكن تفسير هذه النتيجة انطلاقاً من استجابات هيئة التدريس التي صرحت بعدم وجود مشاكل في الاتصال بين أعضاء هيئة التدريس وبينهم وبين الطلبة والإدارة والجامعة تحاول مواكبة متغيرات البيئة المتجددة وحاجات المجتمع المتغيرة والانفتاح على كل ما هو جديد ومواكبته في حين أن هناك بعض النقائص التي أدلى بها أعضاء هيئة التدريس تمثلت مثلاً في ظروف التدريس، البيئة الجامعية، غياب بعض الخطط والبرامج التعليمية والتكوينية من طرف الهيئة الوصية، وضعف التوجيه من خلال غياب بعض المنشورات والقوانين المؤطرة لبعض العمليات التعليمية والإدارية في الجامعة وتبقى هذه النتيجة عامة وتحتاج إلى تفصيل أكثر في أبعاد الفعالية التنظيمية وهذا ما سنجيب عنه في الفرضية الثانية.

2- عرض وتحليل نتائج الفرضية الثانية: نص الفرضية

" يوجد تفاوت في مستويات أبعاد نموذج كامرون Cameron للفعالية التنظيمية لجامعة الجلفة في ظل نظام lmd من وجهة نظر هيئة التدريس "

وللتحقق من صحة هذه الفرضية تم حساب المتوسط والانحراف المعياري لمستويات أبعاد الفاعلية التنظيمية لدى عينة الدراسة والنتائج موضحة في الجداول الموالية:

جدول (04) يمثل المعطيات الوصفية لمستويات أبعاد الفاعلية التنظيمية:

متغيرات الدراسة	الأبعاد	N	\bar{X}	S	الترتيب	المستوى
مستوى الفاعلية التنظيمية	رضا الموظفين عن العمل	60	17.36	3.73	1	متوسط
	النمو الممهي لهيئة التدريس	60	16.95	3.87	2	متوسط
	انفتاح الجامعة وتفاعلها مع المجتمع	60	12.98	3.23	5	منخفض
	القدرة على استقطاب الموارد	60	14.51	4.33	4	منخفض
	الصحة التنظيمية	60	15.65	3.94	3	متوسط
	الدرجة الكلية	60	15.49	4.14		

من خلال الجدول يتضح أن:

- جميع المتوسطات في مستوى الفاعلية التنظيمية متفاوتة حيث احتل البعد الأول المتمثل في رضا الموظفين عن العمل الترتيب الأول إذ بلغ متوسط البعد 17.36 والانحراف المعياري بلغ قيمة 3.73 وقد جاء بمستوى متوسط. واحتل البعد الثاني المتمثل في النمو الممهي لهيئة التدريس الترتيب الثاني حيث بلغ متوسط البعد الثاني 16.95 والانحراف المعياري بلغ قيمة 3.87 وكان بمستوى متوسط، و احتل البعد الخامس المتمثل في الصحة التنظيمية الترتيب الثالث حيث بلغ متوسط البعد الخامس 15.65 والانحراف المعياري بلغ قيمة 3.94 وجاء مستواه متوسط. واحتل البعد الرابع المتمثل في القدرة على استقطاب الموارد الترتيب الرابع حيث بلغ متوسط البعد الرابع 14.51 والانحراف المعياري بلغ قيمة 4.33 جاء بمستوى منخفض. واحتل البعد الثالث المتمثل في انفتاح الجامعة وتفاعلها مع المجتمع الترتيب الخامس حيث بلغ متوسط البعد الثالث 12.98 والانحراف المعياري 3.23 وجاء مستوى هذا البعد منخفض.

إن هذه النتائج السابقة المتمثلة في وجود مستويات متوسطة لأغلب أبعاد الفاعلية التنظيمية حسب وجهة نظر هيئة التدريس لكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة الجلفة وحسب ما أشارت إليه مؤشرات الإبعاد نجد أنهم يتمتعون بمستوى متوسط عن الرضا عن العمل والنمو الممهي والصحة التنظيمية، بينما يتمثل انخفاض مستوى الفاعلية التنظيمية في بعد انفتاح الجامعة وتفاعلها مع المجتمع وقدرة الجامعة على استقطاب الموارد يرجع إلى غياب بعض الأنشطة والفعاليات الموجهة لخدمة المجتمع أو نقصها وغياب نسبي في توجه الجامعة نحو الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع وعدم مواكبة الجامعة لمتغيرات البيئة، نقص في توفير الميكانيزمات والآليات المختلفة من التجهيزات البيداغوجية والعلمية والبشرية والهيكلية والإعلامية وبعض الاستراتيجيات الإدارية التي لها علاقة بتحسين مستوى الفاعلية التنظيمية لتفعيل هذا لنظام، نقص في الدورات التكوينية لأعضاء هيئة التدريس التي تمكنهم من الإلمام بالمهارات الواجب توفرها لممارسة أدوارهم البيداغوجي في ظل هذا النظام حسب استجابات عينة هيئة التدريس لمؤشرات أبعاد الدراسة.

وهذا حسب ما أكدته نتائج دراسة كامرون Cameron: " للفعالية التنظيمية وعواملها المؤثرة في مؤسسات التعليم العالي " ، أن لبعض الاستراتيجيات الإدارية علاقة بتحسين مستوى الفعالية التنظيمية عبر الزمن، وهذه الإستراتيجية موجّهة نحو الجوانب الأكاديمية وجميع الإيرادات والعلاقات العامة وشؤون الطلبة والبيئة الخارجية، كما أكد أن للبيئة الخارجية، وعمر الجامعة ونوعها، أثر في اختلاف مستوى الفعالية التنظيمية للمؤسسات الجامعية.

3. عرض وتحليل نتائج الفرضية الثالثة:

نص الفرضية " توجد فروق ذات دالة إحصائية عند $(\alpha=0.05)$ في استجابات هيئة التدريس لمستوى الفعالية التنظيمية للجامعة الجزئية في ظل نظام lmd حسب نموذج كامرون Cameron تعزى لمتغير الجنس " وللتحقق من صحة فرضيتنا استخدمنا اختبار (T) كما تم حساب المتوسط والانحراف المعياري لمستوى الفعالية التنظيمية، والنتائج يوضحها الجدول الموالي:

جدول رقم(05): يمثل المتوسط الحسابي والانحراف المعياري ونتائج اختبار(T).

متغيرات الدراسة	N	\bar{X}	S	T	DF	مستوى الدلالة
مستوى الفعالية التنظيمية	ذكور	74.25	14.15	2.23	59	0.030 دال إحصائيا
	إناث	81.96	11.66			

يتبين من الجدول أعلاه أنه :

- توجد فروق دالة إحصائية بين استجابات الأساتذة في مستوى الفعالية التنظيمية حيث بلغت قيمة (t) 2.23 عند درجة حرية 58 ومستوى دلالة 0.030 وهي قيمة أقل من مستوى الدلالة 0.05 وبلغ المتوسط الحسابي لدى الأساتذة الذكور 74.25 والمتوسط الحسابي عند الأساتذات 81.96 أي تحقق الفرضية ونقبلها بالتالي توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة إحصائية $(\alpha=0.05)$ لمستوى الفعالية التنظيمية لجامعة الجلفة في ظل نظام lmd حسب نموذج كامرون Cameron تعزى لمتغير الجنس ولصالح الإناث.

ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن الجنس لا يؤثر في الفعالية التنظيمية وتمتع هذه الجامعة بإدارة مرنة قابلة للتكيف والرغبة في التغيير والبحث، ومساهمة أعضاء هيئة التدريس من الجنسين في الإنتاج العلمي داخل الجامعة وخارجها.

استنتاج عام للدراسة:

يمكن القول أن جميع فرضيات الدراسة قد تحققت عدا فرضية الجنس حيث توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج من أهمها أن مستوى الفعالية التنظيمية لجامعة الجلفة في ظل نظام lmd حسب نموذج كامرون Cameron متوسط، كما تحقق وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أبعاد الفعالية التنظيمية لجامعة الجلفة في ظل نظام lmd كما وصلت الدراسة إلى أنه لا توجد فروق دالة إحصائية بين استجابات الذكور والإناث في الفعالية التنظيمية عند مستوى $(\alpha=0.05)$.

وبينت النتائج أن مستوى الفعالية التنظيمية بجامعة الجلفة متوسط في ظل نظام lmd انطلاقا من نتائج هذه الدراسة المطبقة على عينة من أساتذة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة الجلفة، وهذه النتائج قد تفسر من عدة نواحي

متعلقة بآليات تطبيق هذا النظام، إذ أن المرجو والمأمول منه أن ترتفع فاعلية ونجاعة الجامعة الجزائرية ككل ليس جامعة الجلفة فحسب.

وهذا ما قد نجده تكلم عنها¹⁷، في دراسة إذ أكدت أن الأهداف المأمولة من تطبيق هذا النظام، وبهذه الصيغة التنظيمية والهيكلية له لا تختلف عن الصيغة التقليدية إلا في بعض الجوانب الشكلية التي شملت تغيير التسمية، تقليص المدة الزمنية في التكوين من أربع سنوات إلى ثلاث سنوات، توحيد الجذوع المشتركة حسب الميادين، كما أن التسيير والمعاملات الإدارية والبيداغوجية تتسم بالممارسات الجافة والتعقيد والبيروقراطية وغياب للأهداف المتعلقة بتطبيق تكنولوجيات الاتصال والإعلام في المصالح الإدارية والبيداغوجية وكذا غياب نظام تقييم الأداء فعال للأساتذة والطلبة والموظفين والإداريين .

لذلك فإن الضرورة تستدعي إعادة النظر في آليات تطبيق هذا النظام من مختلف جوانبه الإدارية التنظيمية والبيداغوجية لضمان رفع مستوى الفعالية التنظيمية للجامعة الجزائرية بمختلف جوانبها والوصول إلى تحقيق الأهداف المرجوة من هذه الإصلاحات التي هدفت إلى موافقة المعايير الفعالية التنظيمية والتعليمية المعمول بها عالميا.

قائمة المراجع:

- 1- الدليل العلمي لتطبيق ومتابعة ل.م.د، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، جوان 2011.
- 2- بادي مراد.(2015). القيادة الإدارية وعلاقتها بتنفيذ نظام l.m.d. الجزائر: دار طليطيلة للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى.
- 3- المرسوم التنفيذي رقم 08-256 مؤرخ في 19 أوت 2008، الصادر بالجريدة الرسمية عدد 48 الصادرة بتاريخ: 24 أوت.2008..
- 4- دليوف / لوكيا.ه/سفاري.م(2006). المشاركة الديمقراطية في تسيير الجامعة . منشورات جامعة قسنطينة.
- 5- صالح حسن ،شهادة ردايدة.(2001). الفعالية التنظيمية لكليات العلوم التربوية في الجامعات الأردنية الرسمية. أطروحة دكتوراه. الأردن .
- 6- علي معمر عبد المؤمن.(2008). البحث في العلوم الاجتماعية الوجيه في الأساسيات والمناهج والتقنيات . منشورات جامعة 7 أكتوبر. ليبيا . بدون طبعة.
- 7- علي براجل.(2014). دراسة تقييمية لمدى فعالية نظام ل . م . د (l.m.d) في مؤسسات التعليم العالي في ضوء آراء الأساتذة والطلبة. الجزائر.
- 8- ماهر صالح، بنات.(2002). الفعالية التنظيمية للجامعات الفلسطينية: الجامعة الإسلامية بغزة دراسة حالة. رسالة ماجستير. غزة.
- 9- Barnard, C., (1938). **The Function of the Executive**, Cambridge, Mass: Harvard University Press.1
- 10- Cameron, K., (1978). **Measuring Organizational Effectiveness in Institutions of Higher Education**. Administrative- Science - Quarterly, (23).
- 11- S. Coltrin; W. F. Clueck, (1977), "The Effect of Leadership Roles on the Satisfaction Productivity of university Research Professors", Academy of Management Journal, 20, 1.

- Effectiveness: A conceptual and Zeithmal, C. P. & Fry, L . W. (1982), "Environment, Culture, and -12
management Journal. **Empirical Synthesis**", Academy of
- Pettigrew, M. (1979), "On Studying Organizational Cultures", -13
Administrative Science Quarterly. -14
- Education in the Dimensions of Effectiveness in Higher Lysons, Art, & Hatherly, David, (1992). Cameron's -15
. **Education**, 23 (3) Comparison. **Higher U.K.: A Cross-Cultural**
- Cameron, K., (1986). **A Study of Organizational Effectiveness and Its Predictors. Management--16**
¹. **Science**, 32 (1)

التنمية الحضرية في الجزائر: أي دور للمجتمع المدني ؟ دراسة ميدانية لأحزاب ونقابات وجمعيات - بمدينة خنشلة-

د. بوسالمى عامر/جامعة خنشلة، الجزائر د. مونس أحمد/جامعة البليدة-02، الجزائر

ملخص :

نتيجة لتعدد الحياة وكثرة المطالب وتعدد الحاجيات وتنوعها، الدولة بمفردها لم تعد تستطيع القيام بجميع الوظائف التنموية، بل لابد من توافر شريك يتحمل معها أعباء ومسؤوليات المواجهة والإصلاح والتنمية والتأثير على أجندة سياسات التنمية الحضرية في مجتمع المدينة. فقد أصبحت المدينة تمثل الوسطة الحضرية لتطوير أدوات الإنسان عن طريق مختلف الأدوار الحضرية والثقافية والإنتاجية التي تقدمها في آن واحد، فهي البيئة الأقدر على تفهم حاجات السكان الحضريين المتطورة والمتفاعلة معها وباستمرار باعتبار أن قيمة المدينة ومكانتها تتحقق بمقدار ما تقدمه لسكانها من خدمات حضرية متعددة ومتطورة ومتجددة، لأن وظيفة المدينة تمثل انعكاسا لخدماتها وأنشطتها الحضرية.

إلى ذلك تمتاز المجتمع المدني بقدرتها على التقاط الأحاسيس الحقيقية لأفراد المجتمع والتعبير عنها بموضوعية، وبمستوى عال من المسؤولية والجد على افتراض أساسي أن هذه المؤسسات تصبح أكثر قدرة على مواجهة مشكلاتها وأكثر فاعلية في مقابلة حاجات وسياسات التنمية الحضرية، وطرح وبلورة التصورات البديلة للأولويات والبرامج والأنشطة الحضرية.

الكلمات المفتاحية: فاعلية، المجتمع المدني، التنمية الحضرية، وظيفة المدينة، أدوار حضرية، أحزاب، نقابات، جمعيات.

1- تحديد الإشكالية:

تعتبر المدينة مسرحا للنشاط اليومي، يتم فيه التبادل الاجتماعي والتفاعل الثقافي لتطوير الملكات والمواهب في هذا المجال، وهي بذلك تصقل سلوكهم العام حسب ما يعتنقه الغالبية منهم من قيم مستمدة من البيئة، فقد أصبحت الوعاء الذي يضم مكونات مادية وأخرى لا مادية، ومركزا لتلبية المصالح وقضاء الحاجيات والأغراض المتنوعة بأشكال وأنماط مختلفة⁽¹⁾.

دفعت الاتجاهات المرتبطة بالتحضر المفرط بالبلدان النامية والتي تمثلت في زيادة حجم سكان المدن وعددها، وتدهور الكثير من البيئات الحضرية وتفاقم العديد من المشكلات التي أصبحت ملازمة للحياة الحضرية وخاصة في المدن الكبرى، إلى زيادة الاهتمام بمستقبل المدن ورفاهية سكانها، فالتغيرات العالمية الجديدة، وسرعة إيقاعها وما تحملها من تداعيات، وتواصل التعبير حول المساكن السكنية ذات الطابع الحضري في أبعاده الفيزيائية والتنموية والاجتماعية والمجسدة في الرغبات والمواقف والطموحات التي تظهر في كل الأراء وإرهاق الحياة الحضرية. في مواجهة الحاجات الحياتية المختلفة، تطرح هذه التحولات إشكالية جديدة للاستطلاع والاستشراف في مجالات المشاركة والالتزام في كل ما يخص مجتمع المدينة تأمينا لتحقيق

¹- خلف الله بوجمعة، العمران والمدينة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر 2005، ص 5.

الإنماء المتوازن وهي في ذلك تدفع إلى رسم مسارات جديدة ومتطورة. لهذا برزت الحاجة لسياسة فعالة وشاملة للتنمية الحضرية في الوقت الراهن لضرورة ملحة ومطلبا ضروريا، ومن هنا تزايد في السنوات الأخيرة على دعوة للتنمية الحضرية، سرعان ما اكتسبت هذه الدعوة أهمية واعترافا واسعا.

من جهة أخرى نجد التنمية الحضرية تضع على رأس أولوياتها الارتقاء بجودة الحياة في المدينة، وهي سياسة جديدة واعدة لكبح تدهور الحياة الحضرية، كما أنها خطوة إيجابية لمعالجة مشاكل المدينة الحرجة، وهي آلية للارتقاء بأفراد المجتمع لحياة مستقرة وآمنة، تسهل لهم القدرة للحصول على متطلبات الحياة من صحة وبيئة وسكن لائق وسهولة الوصول إلى المنافع العامة، والترفيه، وتحفزهم على الاندماج والتفاعل الاجتماعي وتقوي إرادتهم للانخراط في مؤسسات المجتمع المدني مما يسمح لهم بالمشاركة في تسيير فضاءاتهم المعيشية في إطار من الحوار والتضامن.

إن دور مؤسسات المجتمع المدني يؤثر في التنمية الحضرية، كذلك التنمية الحضرية تحفز اليقظة لهذه المؤسسات وتدفعهم للمشاركة بفاعلية في تطوير مجتمعهم الحضري وإدارة شؤونه والسهر على إنمائه، وهنا تبدو الحاجة قوية على وجود مجتمع مدني يقوم بتوعية أفراد المجتمع بأهميتها.

هذا، وتلعب الجزائر دورا كبيرا من أجل تفصيل دور مؤسسات المجتمع المدني، وذلك بغية تنفيذ معظم البرامج التنموية لتقدم نموذجا يعمل على توفير الخدمات الحضرية ذات الأولوية فتعكس بدرجة كبيرة مدى الترابط والألفة بين المدينة والسكان، هذه المحاولة المعقدة تحتاج إلى وضع سياسات واستراتيجيات تأخذ بنظر الاعتبار مشاركة مؤسسات المجتمع المدني لتحسين نوعية الحياة الحضرية بإيجاد توازن بين خدمات المدينة المتنوعة وبين ما يتطلب توافره لسد حاجات الأفراد من هذه الخدمات.

وعليه فالتساؤل الرئيسي لهذه الدراسة هو:

ما هو دور مؤسسات المجتمع المدني في برامج التنمية الحضرية؟

وتحت هذا التساؤل الرئيسي تندرج عدة تساؤلات فرعية نذكر منها:

1. ماهي الوظائف التنموية التي تضطلع بها مؤسسات المجتمع المدني؟
2. ماهي أهم العراقيل التي تواجه عمل هذه المؤسسات؟
3. أين يكمن وعي السكان بحتمية سياسات التنمية الحضرية في بناء المجتمع الحضري؟
4. هل تقف الأنساق التقليدية حجر عثرة في مواجهة برامج التنمية الحضرية في هذه الأحياء؟

2- أهداف الدراسة:

1. التعرف على مؤسسات المجتمع المدني التي تعمل في مجال التنمية الحضرية.
2. التعرف على مختلف الأدوار التي تؤديها والكشف عن مجالات تدخلها في أحياء الدراسة.
3. معرفة العلاقة بين مؤسسات المجتمع المدني والتنمية الحضرية والذي يمكن أن تلعبه في تنمية المدينة، وتحسين صورتها إلى الأحسن من خلال مجالات تدخلها.
4. تشخيص أهم المشاكل والمعوقات التي تقف عائقا أمام أداء ونشاط هذه المؤسسات وكيفية تجاوزها.

5. الوقوف على مدى ارتفاع الوعي لدى السكان ببرامج التنمية الحضرية، ومدى انسجامها مع احتياجاتهم الفعلية والمتزايدة باستمرار.

3- مفاهيم الدراسة:

3-1- المفاهيم الرئيسية: و دراستنا هذه تتضمن أربعة مفاهيم أساسية و المتمثلة أساسا في:

1. دور المؤسسات.

2. المجتمع المدني.

3. التنمية الحضرية.

تعريف الدور:

التعاريف اللغوية:

دار، دورا، دورانا: انطلق في حركة متواترة حول نفسه، تحرك دائريا وعاد إلى حيث كان، وإلى حيث بدأ.⁽¹⁾

دور: [مفرد] ج أدوار لغير المصدر.

مهمة ووظيفة: نقول قام بدور.

ومنه لعب دورا: شارك بنصيب كبير، شارك بعمل ما، أو أثر في شيء ما.

- الدور الاجتماعي: السلوك المتوقع من الفرد في الجماعة أو النمط الثقافي لسلوك الفرد الذي يشغل مكانة معينة.⁽²⁾

التعاريف الاصطلاحية:

هناك من يعتبر الدور رباط اجتماعي يحدد توقعات والتزامات تقترن مع المواقع الاجتماعية وهو ناتج عن عمليات التفاعل الذي يبلوره الأفراد بحيث يتضمن كل دور تفاعل مع الآخرين.⁽³⁾

والدور بمعناه السوسولوجي، ينسب غالبا إلى "رالف لينتون" وهو نظام إلزامي معياري يفترض بالفاعلين الذي يقومون به الخضوع له.⁽⁴⁾

إن الدور بحسب هذه التعاريف هو نظام يتبعه الفرد داخل الجماعة، ويترجم عادة إلى سلوك، يتحدد من خلاله الموقع الاجتماعي للفرد، وهو تحصيل حاصل لعمليات التفاعل المستمرة والمتجددة يوميا، كما أنه مرتبط بهدف معين.

التعريف الإجرائي:

خدمة لأهداف البحث تم وضع التعريف الإجرائي التالي:

¹ - صبحي حموي، المدخل في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، الطبعة الأولى، 2000، ص 491.

² - أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008، ص 748.

³ - معن خليل العمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، الطبعة الأولى، 2000، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ص 262-263.

⁴ - ر.بودون ف - يوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، معهد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2007، ص 288-299.

الدور هو: " سلوك الفرد داخل الجماعة، ناتج عن عمليات التفاعل، بغية تحقيق أهداف معينة ".

المؤسسات:

التعاريف اللغوية:

إن مصطلح "المؤسسة" اشتق من لفظ institutions والتي تعني التعهد والالتزام بانجاز عمل يكتسي أهمية كبرى، أي التكفل بهمة هامة نسبياً.⁽¹⁾

التعاريف الاصطلاحية:

هي " تجمعات إنسانية يحدد نظامها ويسير عملها القانون، وهي مجموعة الآليات الاجتماعية الرامية إلى تحقيق الخير المشترك للجماعة الإنسانية داخل الدولة، وهي كل ما هو منظم إراديا في مجتمع معين - بحسب جاك أيلول- وتنشأ المؤسسة وليدة حاجة أو شبه فكرة أو قيمة معينة، وتأتي وليدة حاجة إنسانية فردية أو جماعية وترتكز على قواعد معينة، وتقيم روابط بين مجموعة من الأفراد، وهي تكسب شخصية خاصة بها تضعها فوق إرادة مؤسسها وتدوم بغيرهم، وتتنوع بين مؤسسات خاصة (أحزاب، نقابات، جمعيات) ومؤسسات عامة ترتبط بالنظام العام في المجتمع والدولة".⁽²⁾

أما المؤسسة كتنظيم " هي مجموعة بشرية منظمة، ونسق اجتماعي موجه نحو متابعة هدف أو أكثر (إشباع رغبات، أو أشياء أو خدمات، تحقيق الأرباح، توفير الشغل) تثقل ملزماته كاهل أفرادها".⁽³⁾

كما ذكر تعريف المؤسسة في معجم "روبير" بأنها: " مجموعة الأشكال الأساسية لتنظيم اجتماعي كما قررها القانون أو العادات في هيئة اجتماعية ". وتعرف كذلك على أنها " مجموعة علاقات اجتماعية منظمة لاحتواء وتنظيم جهود الأفراد لتحقيق الأهداف المشتركة ".

التعريف الاجرائي:

" المؤسسة تنظيم يحتوي على مجموعة من القوانين، تضم مجموعة بشرية، لها أساليب عمل ملزمة لأفرادها، تتمتع بشرعية لإشباع حاجات الأفراد المشتركة عبر الزمن، وهي في غالب الأحيان مستقلة ماليا ".

المجتمع المدني:

لم يتحدد دفعة واحدة، ولكنه قطع شوطا تاريخيا، شارك في تحديده مفكرون كثيرون حتى حدث اتفاق بشأن تعريفه وتعيين حدوده، فلقد عرف كغيره من مفاهيم العلوم الاجتماعية والإنسانية تغيرا وتطورا في معناه ودلالاته منذ ظهوره.

التعاريف اللغوية:

عرف مفهوم المجتمع المدني عدة انعطافات عبر تاريخ استعماله وترجمته، فمن الناحية الاشتقاقية يمكن اعتبار Civil في اللاتينية مرادف Political في الإغريقية، كما أن Polis الإغريقية و Civitas اللاتينية لا يؤديان الدلالة نفسها، بمفهوم: Polis له وجود مستقل بصرف النظر عن العلاقات التي تنسجها مكوناته.⁽⁴⁾

¹- نوري منير، تسير الموارد البشرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2010، ص ص 11-12.

²- Ahmed S'aifan ,dictomary of political; comstitutional and international Libanpubliskers, 2004, pp 297-298.

³- Larousse memo ,mediterrannepubliskers , Tunis, 2006, p 998.

⁴- محمد الغيلاني، محنة المجتمع المدني - مفارقات الوظيفة ورهانات الاستقلالية - ، دفاتر وجهة نظر، الرباط، المغرب، 2005، ص 45.

وقد كان أرسطو يستعمل مفهوم Zoonpolitikon مما يعني الحيوان السياسي على الرغم من أن Politikon في الإغريقية تعني أيضا: "اجتماعي" وبناءا على ذلك يكون الإنسان حيوانا تواصليا (ناطق بالأساس) يمارس السياسة.

مع الانتقال إلى اللغة الألمانية نلاحظ أن مفهوم Burgerliche gesellschaft ينطوي على دالتين أما الأولى فتعني: المجتمع المدني، وأما الثانية فتحيل على المجتمع البرجوازي، ومثلها في الانجليزية والفرنسية، ويحيلنا كل من مفهوم Civil ومفهوم Burger على التعارض مع الدين، ولذلك: فالمجتمع المدني مجتمع لانكي بطبيعته وفي جوهره.

التعاريف الاصطلاحية:

لعل أحدث تعريف لمفهوم المجتمع المدني، كما يعبر عنه رائد بحوث المجتمع المدني في الوطن العربي "سعد الدين إبراهيم" هو "فضاء للحرية، يلتقي فيه الناس، ويتفاعلون تفاعلا حرا، ويبادرون مبادرات جماعية بإرادتهم الحرة من أجل قضايا مشتركة أو للتعبير عن مشاعر مشتركة".

يمكن تعريف المجتمع من ناحية بأنه: "تألف ووجود جماعي من البشر المنتجين، تربط بينهم علاقات معينة ومستقلة عن إرادتهم، أثناء عملية الإنتاج الاجتماعي لحياتهم، هذه العلاقات تعكس مستوى محدد من تطور قوى الإنتاج وشكلا معيننا من التبادل والاستهلاك وتعبير علاقات الإنتاج عن مجمل أشكال الحياة في عمق المجتمع: الحياة الزراعية والصناعية والتجارية" (1).

وهناك من يعتبر المجتمع المدني واحدا من أهم مفاهيم الفكر السوسيولوجي "فهو مجموعة من الناس في حيز معين ويخضعون لنظام واحد من السلطة السياسية وهم على وعي بأن لهم هوية تميزهم عن الجماعات المحيطة بهم" (2).

ويعرفه آخرون بأنه "وعاء يضم كافة المؤسسات والمنظمات المجتمعية غير الحكومية، ويعتبر مجالاً للروابط الإنسانية غير القمعية، والتي تقوم بالاختيار الحر، و تركيبة اجتماعية حافلة بوحدات عديدة سواء على أساس طبقي أو جغرافي، يحمل جملة من الأنشطة التطوعية الحرة التي تتمتع بدرجة من التمايز" (3).

التعريف الإجرائي:

"هي مجموعة المؤسسات التطوعية المختلفة، تجتذب إليها شريحة واسعة من أفراد المجتمع يمارسون أنشطة إنسانية تعمل على تدعيم المجتمع وتقويته، وتتمتع باستقلال مالي، بعيدة عن سيطرة الدولة، هدفها هو الإصلاح والاهتمام بالشأن العام عن طريق إشراك أفراد المجتمع بكل فئاته التي تسهم في ترشيد مسيرته وتعزيز خطاه من أجل تحقيق تنمية حضرية حقيقية وفعالة".

التنمية الحضرية:

لا نكاد نجد تعريفا محددًا ومتفقًا عليه للتنمية الحضرية بين المشتغلين والمهتمين بالتنمية بصفة عامة شأنه في ذلك شأن العديد من المفاهيم.

التعاريف الاصطلاحية:

1- شاهر أحمد نصر، الدولة والمجتمع المدني، دار الرأي للنشر، دمشق، ط1، 2005، ص 195.

2- أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصباغ، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2005، ص 761.

3- مدحت محمد أبو النصر، إدارة منظمات المجتمع المدني، إيتراك للنشر والتوزيع، مصر الجديدة، الطبعة الأولى، 2007، ص 70-71.

يعرفها: " حسين عبد الحميد أحمد رشوان" بأنها: " مجموع التغيرات التي تعترى المدينة وتقديم مختلف الخدمات والمواقف التي تخدم ساكنها، وتوفر له كل ما يحتاجه في سبيل تحقيق حاجاته ومطالبه الفيزيولوجية والاجتماعية، وهي بذلك عملية تعقد الاتجاهات الاجتماعية والإيكولوجية والثقافية، والتي تؤدي إلى تنمية المدينة، وتشمل هذه التغيرات المساكن والمدارس وبناء العمارات وإنشاء الشوارع والأحياء وتعبيد الطرق، وتقديم مختلف الخدمات والمرافق التي تخدم ساكن المدينة".

أما "عبدو القاعي" يرى بأنها: " عملية تحريك العمران وتنظيمه وربطه بحاجات الأفراد وثقافتهم وقيمهم ورغباتهم ومصالحهم المشتركة كما وبالمدى العام لتكوينهم المجتمعي، كما تستهدف مستوى المسارات الاقتصادية الراهنة والهادفة إلى تأمين الازدهار المادي عبر استغلال الموارد البشرية والطبيعية، أحسن استغلال".

وينظروا إليها آخرون بأنها: " تطوير قابليات البيئات الحضرية نحو توظيفها لإمكانياتها الحضرية بما فيها قطاع الخدمات وتحسين نوعية الحياة والظروف المحيطة بها، واستيعاب جميع المتغيرات الوظيفية التي تمكن المجتمع ومقدراته من النمو العقلاني والتكامل المنتظم، كما تهدف إلى تطوير مراكز العمران وتخطيط المدن، ومحاولة إيجاد بيئات حضرية مستقرة، وهذا ما ينعكس بشكل كبير على مراكز تقديم الخدمات ومقدار كفاءتها في إشباع الحاجات الأساسية للسكانة"⁽¹⁾.

إن التنمية الحضرية تعني فيما تعنيه إعادة تأهيل كلي للفضاء المدني (الحضري) وذلك بتوفير إطار معيشي ذو أهمية، تجتمع فيه كل المتطلبات والحاجيات الوظيفية والجمالية وذلك بإرساء قواعد جديدة لعصرنة الحياة الحضرية في إطار شراكة بين مختلف الفاعلين الاجتماعيين لترسيخ ثقافة جودة الحياة لدى الساكنة وهذا ما تسعى إليه التنمية الحضرية.

التعريف الإجرائي:

" هي خلق الشروط والظروف المساعدة على مواجهة مشاكل السكان الحضرية، من خلال إيجاد التوازن بين الموارد والسكان ومساعدة هؤلاء على التحكم أكثر في أوساطهم الطبيعية والاجتماعية. وذلك في ضوء التكامل بين الجهود الحكومية ومختلف الفاعلين الاجتماعيين، فهي تهتم بكل جوانب الحياة المجتمعية في المجتمع الحضري، ورفع مستوى معيشة سكان المدينة ماديا ومعنويا وتوفير حاجياتهم الأساسية في جميع القطاعات".

إن التنمية الحضرية تعني فيما تعنيه إعادة تأهيل كلي للفضاء المدني (الحضري) (و ذلك بتوفير إطار معيشي ذو أهمية، تجتمع فيه كل المتطلبات والحاجيات الوظيفية والجمالية، وذلك بإرساء قواعد جديدة لعصرنة الحياة

فهي عمل جماعي مشترك يتضمن طابعا تعاونيا تشارك فيه كل من الأجهزة الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني وأفراد المجتمع من أجل إحداث نقلة نوعية في المدنية وتغيرات اجتماعية بها من خلال توجيه وتنظيم الجهود، وبالتالي نقل مجتمع من حالة ووضع معين إلى الأحسن.

4- فروض الدراسة:

1-4- الفرضية العامة:

- تؤدي مؤسسات المجتمع المدني دورا هاما في عملية التنمية الحضرية.

¹- بشير الطيف، محسن عيد علي، خدمات المدن (دراسة في الجغرافية التنموية)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط2009، ص

2-4- الفرضيات الجزئية:

- تقوم مؤسسات المجتمع المدني بعدة وظائف لتدعيم برامج التنمية الحضري
- الموارد المالية والبيروقراطية تقف عائقا أمام نشاط مؤسسات المجتمع المدني.
- سياسات التنمية الحضرية تتلاءم ووعي السكان و انسجامها مع مطالبهم واحتياجاتهم.

5- مجالات الدراسة :

لا بد من كل بحث سوسيولوجي من ذكر زمان حدوث الظاهرة حتى يتسنى وصفها وتحليلها وفق الزمان والمكان الذي توجد فيه وكذا الأفراد الذين يشكلون هذه الظاهرة. (1)

ومن أجل هذا فقد تم توضيح العناصر الثلاثة الأساسية التي تركز عليها هذه الدراسة في طريقة تناولنا لمشكلة الدراسة، من خلال تبين الأبعاد الثلاثة لها كما يلي:

- المجال المكاني:

اقتصرت دراستنا على مدينة خنشلة، حيث تم اختيار بعض مؤسسات المجتمع المدني (أحزاب، نقابات، جمعيات) في العينة القصدية الأولى وعددها 15 مؤسسة، حيث قصدنا هذه المؤسسات كخطوة أولى، وفي حالة عدم وجود المقرات لبعض المؤسسات من حال الجمعيات ذهبنا لأمكنة عملهم أو منازلهم، وذلك بعد أخذ عناوين وأرقام الهواتف.

أما في العينة الثانية (العنقودية) فقد اخترنا أربعة أحياء لإجراء الدراسة الميدانية مختلفة من الناحية الفيزيائية والجمالية، تتوزع بين الأحياء الراقية متمثلة في (حي السعادة)، أحياء متوسطة (حي 80 سكن) وأحياء شعبية عتيقة (حي المقبرة الإسلامية)، وأحياء عشوائية (حي النور)، لكنها متجانسة من الناحية المكانية (الجغرافية) حيث تقع كلها بمدينة خنشلة والديمغرافية كخصائص السكان.

- المجال الزمني :

يمثل البعد الزمني الفترة الزمنية والوقتيّة لحدوث تلك الظاهرة، وكذا تأثيرها على الوسط الاجتماعي وفترة تناولها بالدراسة من قبل الباحث، بحكم الظاهرة الاجتماعية متغيرة وغير ثابتة فهي تتمتع بالدينامكية، لذا يستوجب علينا ضبط العنصر الزمني لتناول (دور مؤسسات المجتمع) من أجل التحكم أكثر في المادة التحليلية. ومن أجل هذا فإنه تم تحديد الفترة الزمنية لتناول هذا الموضوع وفق التوزيع الزمني التالي:

- الفترة الأولى: تم القيام بعدة زيارات استطلاعية لمؤسسات المجتمع المدني (أحزاب، نقابات، جمعيات) والتي من خلالها تم معاينة مقراتها بالإضافة إلى الحصول و التعرف على برامجها ودورها الذي تقوم به في المجال التنموي خاصة التنمية الحضرية والتي أفادنا في الحصول على البيانات والمعلومات المتعلقة بالبحث، من خلال إجراء لقاءات وحوارات مع قيادي ورؤساء المؤسسات.

¹- محمد شفيق، البحث العلمي مع تطبيقات في مجال الدراسات الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 2006، ص 202.

- الفترة الثانية: كانت مرحلة جمع البيانات والإحاطة بموضوع الدراسة المتمثلة في دور مؤسسات المجتمع المدني في التنمية الحضرية، من خلال العمل المكتبي وجمع الدراسات السابقة والنظرية التي تناولت مثل هذه الدراسة.
- الفترة الثالثة: كانت فترة إجراء الدراسة الميدانية من خلال الزيارات المتعددة والمتكررة لهذه المؤسسات ومحاولة الحصول على برنامج كل واحدة منها، بهدف تشخيص الظاهرة عن قرب وبالتالي الحصول على بيانات واقعية وميدانية للظاهرة وكذا سكان الأحياء المعتمدة في الدراسة.
- الفترة الرابعة الممتدة: كانت فترة توزيع الاستمارات التجريبية التي تشكل أداة القياس الرئيسية المتبعة في هذه الدراسة وقصد جمع المعطيات من المبحوثين (الاستمارة التجريبية).
- الفترة الخامسة: كانت فترة توزيع الاستمارات الحقيقية واستردادها من المبحوثين الذين وزعت عليهم من أجل الحصول على معلومات تكون المادة الخام لدراستنا فيما بعد .
- الفترة السادسة الممتدة: كانت فترة تفرع ومعالجة وتحليل البيانات المتحصل عليها من الأدوات المعتمدة في الدراسة (ملاحظة، استمارة استبيان، استمارة دليل مقابلة، السجلات والوثائق والإحصائيات الرسمية) للحصول على معلومات يمكن استعمالها في التحليل السوسولوجي لدراستنا.

- المجال البشري:

للحصول على بيانات دقيقة ، يمكن توضيح العنصر البشري المعني بالتناول في هذه الدراسة وفقا لما يلي:

- يتكون المجال البشري للعينة القصدية من رؤساء وقيادي مؤسسات المجتمع المدني التي أجريت عليها الدراسة، (أحزاب، نقابات، جمعيات) وعددهم 15 رئيسا .
- أما المجال البشري للعينة العنقودية فهو يتكون من سكان الأحياء المختارة للدراسة، وعددهم (90 فردا) حيث اخترنا مسكن واحد من كل عشرة مساكن في كل حي ممثلين برب أسرة واحد أو ينوب عنه شخص واحد من أفراد أسرته.

6- عينة الدراسة :

بما أن مؤسسات المجتمع المدني هي الطرف الأساسي في التنمية الحضرية، إلى جانب السكان بمثابة القاعدة الأساسية والمستهدفة من هذه العملية وانطلاقا من أهداف الدراسة التي تتمحور: حول معرفة العلاقة بين هذه المؤسسات وعلاقتها بالتنمية الحضرية، فإن النمط الأقرب إلى تحقيق هذه الأهداف هي:

المؤسسات النشطة والفاعلة والتي لها تأثير على مستوى الدولة (الجماعات المحلية) وعلى مستوى المجتمع والفعل الاجتماعي.

وتركز هذه الدراسة على عينتين تم أخذها من مجتمعين مختلفين:

المجتمع الأول: يمثل رؤساء مؤسسات المجتمع المدني (أحزاب، نقابات، جمعيات) .

المجتمع الثاني: فيمثل السكان ، حتى يتسنى لنا بهذا الشكل دراسة التنمية الحضرية من جهة المؤسسات والسكان معا.

وقد تم في العينة الأولى إتباع أسلوب العينات غير الاحتمالية (الغرضية) باستخدام العينة القصدية بناء على توفرها:

- شرط التخصيص في ميدان التنمية الحضرية.

▪ شرط الأقدمية والخبرة لمعظم المؤسسات.

▪ شرط ممارسة أنشطة بالإضافة إلى شرط النشاط والفعالية.

▪ شرط ثقل المركز (وزن المؤسسة).

ومن هنا كان الاختيار منصبا على مؤسسات المجتمع المدني النشطة والفاعلة و المتخصصة في النشاط التنموي

أما الأحياء التي اختيرت للدراسة فهي (أربعة أحياء)، وكان سبب هذا الاختيار يعود إلى جملة من الأسباب هي:

▪ التركيز على الأحياء التي تستهدف أكثر التجمعات السكانية و معروفة.

▪ وجود علاقات وتسهيلات بالأحياء المختارة، منهم معارف في العمل، ومنهم أقارب، ومنهم وسطاء لبعض الزملاء

الذين ساعدوني للوصول إلى بعض أفراد العينة.

ومن خلال هذه لأسباب يكون مجموع الأحياء المختارة هي أربعة أحياء موزعة على مجال المدينة.

7- منهج الدراسة:

- المنهج الوصفي:

ويمكن إتباع المراحل التي طبق وفقها المنهج الوصفي في دراستنا:

1. جمع التراث النظري المتعلق بموضوع الدراسة.

2. تحديد الإشكالية وصياغة أسئلتها وفرضياتها.

3. تعيين مجتمع الدراسة وتحديد خصائصه ومميزاته ليتم بعدها اختيار العينة المناسبة.

4. اختيار الأدوات المنهجية المناسبة وهي الملاحظة واستمارة الاستبيان ودليل المقابلة.

5. تحليل البيانات وتفسيرها والخروج باستنتاجات وفقا للمدخل النظري والدراسات السابقة.

6. كذلك التعرف على دور السكان تجاه هذه المؤسسات لمواجهة المشكلات وتلبية احتياجاتهم للوقوف على حدود مشاريع

التنمية الحضرية بالأحياء، وبيان حدود التفاعل بين الجهود الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني في عمليات التنمية

الحضرية، بالإضافة إلى التعرف على وعي السكان بأهمية تحسين صورة المدينة من خلال المشاريع المقدمة.

- المنهج الإحصائي:

وقد تم استخدامه للقيام بالتحليلات الإحصائية في عملية اختيار العينة وطريقة توزيعها وطريقة عرض البيانات التي تمت

معالجتها في جداول تكرارية ودوائر هندسية ومدرجات تكرارية ورسومات بيانية، من أجل التمثيل الصحيح والواقعي لتلك

البيانات حتى تعطي نظرة تحليلية أكثر دقة لها ويتسنى قراءتها قراءة إحصائية جيدة

8- أدوات جمع البيانات:

- الملاحظة:

من خلال بطاقة الملاحظة المستخدمة في هذه الدراسة فإنه تمكنا الخروج بالنتائج التالية:

- أمكننا التعرف على مقرات مؤسسات المجتمع المدني (أحزاب، نقابات، جمعيات) فمنهم من يمتلك مقر خاص ودائم كالأحزاب والنقابات، ومنهم من إتخذ مقر العمل مقرا لمؤسسته من حال الجمعيات.
- أمكننا الحصول على بيانات ومعلومات تتعلق بهذه المؤسسات والاطلاع على أهم البرامج التنموية التي تقوم بها خاصة في مجال التنمية الحضرية.
- التعرف على أهم وأنواع المشاريع التنموية التي طرحتها هذه المؤسسات، وقدمتها للأحياء المعنية بالدراسة.
- التعرف على أهم المرافق والخدمات الموجودة في هذه الأحياء.
- التعرف على الحياة اليومية للسكان.
- كما تم تحديد الجوانب العامة للموقع والحدود لهذه الأحياء من خلال حصولنا على الخرائط والبيانات المتعلقة بعدد المساكن والسكان.
- أمكننا التعرف على مشاكل كل حي على حدى.
- أمكننا التعرف على رضا السكان حول هذه المشاريع التنموية الموجودة في أحيائهم.

- المقابلة:

• بناء دليل المقابلة:

فقد تم جمع المادة الميدانية عن طريق دليل المقابلة مع رؤساء مؤسسات المجتمع المدني في التنمية الحضرية، حيث اشتمل هذا الدليل على عدد من المحاور الأساسية التي يغطي عدد منها القضايا والتساؤلات المرتبطة بأهداف البحث وتساؤلاته، منها بيانات خاصة بقيادة مؤسسات المجتمع المدني من حيث السن والحالة التعليمية ومكان الإقامة، وبيانات تتعلق بالدور الذي تلعبه هذه المؤسسات بمدينة خنشلة، وبيانات تتعلق بالمشاكل المجتمعية والتنظيمية والإدارية، ويصل عدد الحالات التي تمت مقابلتها واعتمدت عليها الدراسة بصورة كاملة إلى خمسة عشر (15) حالة حيث تم التعرف على آراءهم.

وقد تمت صياغة أسئلة المقابلة وتصنيفها انطلاقا من مشكلة الدراسة والأسئلة التي أثارها والأهداف التي ترمي إلى تحقيقها، بالإضافة إلى الفرضيات، وهذه المحاور هي:

- المحور الأول: علاقة مؤسسات المجتمع المدني بالتنمية الحضرية.

- المحور الثاني: علاقة مؤسسات المجتمع المدني بالسكان فيما يخص التنمية الحضرية.

- المحور الثالث: علاقة الجماعات المحلية بمؤسسات المجتمع المدني.

- إستمارة البحث (الاستبيان):

حيث نرى أهمية استخدامها وتطبيقها على عينة البحث بصورة تتلاءم مع طريقة وأهداف الإستراتيجيات العامة للبحث، ونوعية الوقت المتاح لتطبيقها والحصول على البيانات من المبحوثين، وتشمل الاستمارة محاور أساسية تضم أسئلة متعلقة ومتنوعة بحسب فروض وأسئلة الدراسة لا تخرج عنها.

بناء الاستمارة:

لقد تم صياغة استمارة بحث أعدت خصيصا لهذا الغرض تضمنت (39) سؤالاً قسمت على عدة محاور:

- المحور الأول: تناول مجموعة البيانات الأساسية والشخصية للمبحوث والحالة الاجتماعية.
- المحور الثاني: تضمن التعرف والتركيز على وعي المواطنين (السكان) ومشاركتهم في مشاريع التنمية الحضرية من خلال:

- اتجاهات سكان الأحياء تجاه حميم، وعلاقتهم بالجيران والتعاون المتبادل بينهم.
- الخدمات والمرافق الحضرية الموجودة بأماكن إقامتهم وأهم المشاكل العالقة ومدى احتياجاتهم للخدمات.
- الأنشطة التطوعية بين سكان هذه الأحياء.
- علاقة السكان بمؤسسات المجتمع المدني والتفاعل الحاصل بينهم فيما يخص مشاريع التنمية الحضرية.
- علاقة السكان بالجماعات المحلية ومدى مساهمتهم في برامج التنمية الحضرية.
- المحور الثالث: تضمن الكشف عن المعوقات المختلفة حول مشاركة السكان في تنمية أحيائهم.
- المحور الرابع: تطرق إلى أهم مشاكل المدينة من خلال نظرة الساكنة.

- المعالجة الإحصائية لأداة الاستمارة:

لقد تم معالجة أداة الاستمارة حتى تكون جاهزة وصالحة لما تم إعدادها لها، حتى يتسنى لنا جمع معطيات صحيحة ودقيقة عن الظاهرة المدروسة وعدم الخروج أو الابتعاد عما هو مقصود أو مراد دراسته من خلال دور مؤسسات المجتمع المدني في التنمية الحضرية، ويمكن توضيح كيفية معالجة أداة الاستمارة من خلال:

- معالجة صدق المحكمين.
- معالجة الصدق الظاهري.
- معالجة ثبات الاستمارة.
- معالجة معدل الردود على أداة الاستمارة.

9- النتائج العامة للدراسة:

أولاً- مناقشة نتائج الدراسة في ضوء الإطار النظري: (المقاربة النظرية)

إن التنمية الحضرية تبدأ بتنظيمات اجتماعية مدنية، باعتبارها وحدات محلية تعمل في إطار خصائص المجتمع الحضري، تلك التي تبدو فيها علاقات الوجه للوجه والاعتماد المتبادل بين الأفراد فيها، لذلك كان لزاما على القادة المحليين أن يعوا هذه الحقيقة، ولكي تتكامل وتتواصل هذه الأدوار لابد أن يسير السلوك الفردي والجماعي لمؤسسات المجتمع المدني والساكنة الحضرية في سياق متتابع مع كافة أحداث وأطوار التنمية الحضرية.

وقد بينت الشواهد الكمية المستقاة من الجانب الميدانية بعد اختبار فرضيات الدراسة النتائج الآتية:

أولاً: يتبين لنا تنوع الأنشطة والخدمات التي يتم تقديمها للمجتمع وأفراده من خلال عمل مؤسسات المجتمع المدني، والذي يتجسد في:

- تقديم المشورة والدعم، بالإضافة إلى تقديم المساعدات لتيسير إنشاء مشروعات التنمية الحضرية، التي يمكن أن تساعد في رفع مستوى معيشة السكان، بالإضافة إلى الدور التنويري من خلال إثراء الوعي لدى أفراد المجتمع بالمشكلات والأمراض الاجتماعية.
- تراهن على الكثير من الأعمال التطوعية (النظافة العامة، التشجير...).
- تعتبر كخزانات للمعلومات التي تلجأ إليها أجهزة التنمية (الجماعات المحلية، الفاعلين الاجتماعيين) والخدمات الإرشادية لمعرفة كل ما يحتاجه سكان المدينة.
- تنمية وتطوير الثقافة المدنية وتحسيس وتوعية السكان بكيفية العيش في مدينة نظيفة خالية من الأمراض الاجتماعية.
- تنظيم وتفعيل ثقافة المبادرات الذاتي وثقافة التأكيد على بناء إرادة الأفراد وجذبهم إلى ساحة الحياة التشاركية، وترسيخ ثقافة عمرانية وقيم التحضر التي تبلور روح المدينة وتصيغ هويتها.
- ثانياً: قلة الموارد المالية والمادية، إذ يلاحظ أن معظمها لا تتمتع بإمكانيات مالية، وبذلك يعتبر شح الموارد المالية من أبرز وأعقد التحديات التي تواجه عمل هذه المؤسسات، وهذا ينعكس على استقلاليتها عند مزاولتها لنشاطها وأن غالبية التمويل لمؤسسات المجتمع المدني (أفراد، نقابات، جمعيات) تقدم من اشتراكات الأعضاء والمناضلين والهيئات.
- غالبية هذه المؤسسات تفتقر إلى المقرات خاصة الجمعيات، وإن وجدت فهي مغلقة في أغلب الأحيان ما عدا في المناسبات الانتخابية، كما نجد مؤسسات لديها مقرات كأحزاب والنقابات.
- عدم وجود برنامج عمل واضح لهذه المؤسسات خاصة الجمعيات، فهي تتسم بالعشوائية، بالإضافة إلى عدم وجود سياسة واضحة من طرف الأجهزة الحكومية بإشراك كل المؤسسات في تدبير شؤون السكان والمدينة.

وعليه، فمعوقات عمل مؤسسات المجتمع المدني تتلخص في:

- الصعوبات المالية.
- عدم وجود برنامج عمل.
- غياب المقرات.

ثالثاً: بالرغم من أنه لا توجد بيئة ثقافية تساعد على ترسيخ فكرة مشاركة السكان في أخذ القرارات المتعلقة باحتياجات أحياء الدراسة، إلا أن العقلية الحضرية لهم تتجسد في فكرة الثقافة التشاركية التي لمسناها في إجابات الباحثين وفي معظم أسئلة الاستمارة الموجهة إليهم، وهو ما لاحظناه في حملات النظافة والتشجير.

إن المشاركة في تنمية الأحياء من قبل السكان نتيجة الميل للعيش في وسط حضري نظيف، وأنواع مختلف النشاطات التي ينبغي على أفراد مجتمع البحث أن يساهموا فيها، وإمكانية المحافظة على المرافق العامة من خلال حرص السكان على حمايتها،

وتشجيعهم على المشاركة في برامج التنمية الحضرية وتشخيص المشاريع التنموية التي يحتاجها الأحياء وغير ذلك من أنواع التطوع والمشاركة في الحياة العامة بمختلف أشكالها (الحياة السياسية والاجتماعية)، كل هذا يدل على وعي السكان بسياسات التنمية الحضرية وملاءمتها لمطالبهم واحتياجاتهم.

خاتمة:

إن الشرط الأساسي لتحقيق تنمية حضرية مرهون بتأهيل وتعميق الانتماء بين الفرد ومدينته، ذلك أن الهدف النهائي من التنمية الحضرية هو إحداث تغيير اجتماعي واقتصادي وثقافي وحضاري شامل، خصوصاً في تلك الأحياء التي طالتها التخلف والتي يغلب عليها طابع الثبات والاستقرار لتغيير الأوضاع المتأصلة فيها والمعوقة للتنمية الحضرية.

إن موضوع التنمية الحضرية يهتم بتنظيم وتسيير المدينة بشكل أوسع، وهو ما يعني التنظيم العقلاني لاستعمال السطح داخل الأحياء الحضرية، وهذه العملية لا يمكن أن تتم إلا بتضافر جهود مجموعة من الفاعلين الاجتماعيين " كالجماعات المحلية (الولاية، البلدية) ومؤسسات المجتمع المدني (أحزاب، نقابات، جمعيات) والسكان، فتصبح عملية التنمية الحضرية أكثر إمتاعاً بالمشاركة فيها من قبل هؤلاء الشركاء، كما أن ظهور مؤسسات المجتمع المدني والاهتمام بها والدعوة لها يعكس تزايد وعي السكان والرغبة للمشاركة في الحياة العامة. ويبرهن أن ساكن المدينة ليس دائماً سجين أنانيته، فالتفكير اليوم يقوم على مشاركة دائمة لكل أفراد المجتمع في كل شؤون حياتهم الخاصة والعامة، فهذه المؤسسات تعد بمثابة رأسمال اجتماعي وشريك أساسي للمساهمة في تنمية المجال المدني، حيث أنها لم تعد مسؤولية الحكومة وحدها، وبذلك أصبحت القطاع ثالث شريكا وفاعلاً أساسياً للقطاع الحكومي.

الاقتراحات والتوصيات:

❖ بالنسبة للدولة تجاه مؤسسات المجتمع المدني:

- على الدولة أن نستوعب أهمية مؤسسات المجتمع المدني وحجم مشاركتهم في مشروعات التنمية الحضرية، حتى يمكن بناء شراكة فعالة، ولنجاح ذلك يتطلب من الدولة إعداد رؤية إستراتيجية لمجمل المجالات التي تستطيع مؤسسات المجتمع المدني المساهمة فيها وكيفية ذلك وأساليبها وآلياتها.
- تهيئة بيئة قانونية مشجعة لتأسيس وتطوير عمل وأنشطة مؤسسات المجتمع المدني من خلال تسهيل إجراءات التأسيس والمراجعة وعدم تقييد حريتها.
- العمل على اعتبار مؤسسات المجتمع المدني شريكاً فعالاً في عملية التنمية الحضرية وشريكاً للدولة في تنفيذ بعض أنشطتها، وتكوين علاقة تكاملية وتبادلية وغير تصادمية معها، مبنية على أسس المشاركة الفعالة والحوار الإيجابي والتعاون والتنسيق والتشاور.
- تخصيص ميزانية ثابتة ودائمة لمؤسسات المجتمع المدني تمكنها من تنفيذ أنشطتها وبرامجها التنموية.
- تشجيع مؤسسات المجتمع المدني على التمويل الذاتي وتقديم التسهيلات لها.
- توفير مقرات لمؤسسات المجتمع المدني بما يضمن استقرارها في مجال عملها خاص بالجمعيات.

❖ بالنسبة لمؤسسات المجتمع المدني:

- العمل على تشجيع الحوار الإيجابي وتعزيز الثقة المتبادلة بين مؤسسات المجتمع المدني لتصبح أكثر فعالية واستشارية للأجهزة المحلية لمختلف مشروعات التنمية الحضرية.
- بناء قاعدة بيانات ومعلومات لمؤسسات المجتمع المدني حول قضايا التنمية حتى تستعين بها الحكومة في الأوقات المناسبة وللضرورة الملحة.
- وضع اهتمامات وانشغالات الساكنة الحضرية على جدول أعمال وبرنامج السلطات المحلية، وإثارة الوعي بالمشاكل والقضايا ذات الأهمية في تنمية المجتمع الحضري وتنمية المدنية.

قائمة المراجع:

- 1 خلف الله بوجمعة، العمران والمدينة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر 2005.
 - 2 صبيحي حموي، المدخل في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، الطبعة الأولى، 2000.
 - 3 أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008.
 - 4 معن خليل العمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، الطبعة الأولى، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2000.
 - 5 ر. بودون وف. بوريكو، معجم علم الاجتماع المعاصر، ترجمة سليم حداد، مرجع سبق ذكره، 2002.
 - 6 نوري منير، تسير الموارد البشرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.
 - 7 محمد الغيلاني، محنة المجتمع المدني - مفارقات الوظيفة ورهانات الاستقلالية - ، دفاتر وجهة نظر، الرباط، المغرب، 2005.
 - 8 شاهر أحمد نصر، الدولة والمجتمع المدني، دار الرأي للنشر، دمشق، ط1، 2005.
 - 9 أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصباغ، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2005.
 - 10 مدحت محمد أبو النصر، إدارة منظمات المجتمع المدني، إيتراك للنشر والتوزيع، مصر الجديدة، الطبعة الأولى، 2007.
 - 11 بشير الطيف، محسن عيد علي، خدمات المدن (دراسة في الجغرافية التنموية)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2009.
 - 12 وجدي شفيق عبد اللطيف، علم الاجتماع الحضري والصناعي، دار ومكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط1، 2007.
 - 13 محمد شفيق، البحث العلمي مع تطبيقات في مجال الدراسات الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 2006.
 - 14 Ahmed S'aifan ,dictomary of political; comstitutional and international Libanpubliskers, 2004
- 15-Larousse memo ,mediterrannepubliskers , Tunis, 2006

أثر الإشراف الصحي على الأداء الوظيفي للعاملين

دراسة ميدانية: المؤسسة الاستشفائية المتخصصة في رعاية الأمومة والطفولة بولاية برج بوعرييج
أ.سهم بلقربي/جامعة المسيلة، الجزائر

ملخص:

تهتم هذه الدراسة بإبراز أثر الإشراف الصحي على الأداء الوظيفي للعاملين في المؤسسة الاستشفائية المتخصصة في رعاية الأمومة والطفولة لولاية برج بوعرييج، حيث يُعدُّ موظفوها أساس نجاحها من خلال تحسين مستوى أدائهم وفعاليتهم، ومن ثمة تحسين مستوى أداء وفعالية فرق العمل التي يكوّنونها وينتمون إليها، ما استدعى الاهتمام بمعرفة دور الإشراف الصحي في تحقيق ذلك. وقد اعتمدت نظرية فيدلر المتعلقة بالقيادة الفعالة كمقاربة نظرية. واستُعين ببرنامج الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS بهدف التحليل الإحصائي للبيانات المستخرجة من عناصر مجتمع الدراسة المقدر إجمالاً بـ 95 من الموظفين الطبيين وشبه الطبيين المكلفين بتقديم الخدمة الصحية من أطباء وقابلات وممرضين، فيما قدّر حجم العينة بـ 49 فرداً.

وبشكلٍ عام حاولت الدراسة الإجابة على التساؤل الآتي: ما نوع العلاقات الإشرافية بالمؤسسة الاستشفائية المتخصصة في رعاية الأمومة والطفولة بولاية برج بوعرييج وما مدى تأثيرها على الأداء الوظيفي للعاملين بها؟
وخلّص البحث إلى مجموعة من الاستنتاجات أهمها:

* إجماع أفراد عينة الدراسة على أهمية الإشراف الصحي المرن ودوره في توفير بيئة العمل الملائمة.

* إجماع أفراد عينة الدراسة على الدور الإيجابي للإشراف الصحي في الاهتمام بالعلاقات الإنسانية في المؤسسة الصحية المبحوثة.

* أشارت معطيات الدراسة الميدانية إلى وجود علاقة موجبة بين الإشراف الصحي ومستوى الأداء الوظيفي للعاملين بالمؤسسة الصحية المبحوثة.

الكلمات المفتاحية: الإشراف الصحي، الأداء الوظيفي، المؤسسة الإستشفائية المتخصصة.

مقدمة:

يُعدُّ العمل في المؤسسات الصحيّة المتخصّصة في رعاية الأم والطفل في الغالب عملاً فريقيّاً لطبيعة الفئة المستفيدة من الخدمة والتي تستوجب تعاون وانسجام أكثر من تخصص طبي وشبه طبي لتحديد أنجع طرق التدخل والعلاج لزيائتها، ممّا يجعل التأثير والتفاعل المتبادل بين أفراد فريق العمل دائماً ومستمرّاً في سبيل تحقيق التكامل الوظيفي لمصلحة الزبون من جهة وتحقيق الرضا الوظيفي للعاملين من جهة أخرى. لذلك، ففعالية المؤسسات الصحية و تحقيقها لأهدافها يتوقف إلى حد كبير على فعالية أداء "فرق العمل" بها ونجاحهم كوحدة واحدة، ممّا يتطلب قيادة وإشرافاً يستخدم مهارات وكفاءات أعضاء الفريق الصحي استخداماً فعالاً يُوفّق فيه بين مصالح الإدارة الصحية والعاملين، ممّا يُؤثّر إيجاباً على مستوى رضا العاملين وبالتالي على إنتاجيتهم ومستوى أدائهم، وستركّز هذه الدراسة على أثر الإشراف الصحي على الأداء الوظيفي للعاملين في المؤسسة الصحية من خلال ثلاثة محاور رئيسية: يتضمن المحور الأول منهجية الدراسة، بما فيها المرتكزات الفكرية للإشراف والقيادة الفاعلة ويتناول المحور الثاني التعرف على مفهومي الإشراف الصحي و الأداء الوظيفي وأهميتهما ومحدّدات هذا الأخير، أمّا المحور الثالث فيتضمّن الجانب التطبيقي لمعرفة أثر الإشراف الصحي على الأداء الوظيفي للعاملين بالمؤسسة الاستشفائية محلّ الدراسة من خلال تحليل ومناقشة النتائج المتوصّل إليها.

المحور الأول: منهجية البحث

أولاً- مشكلة البحث

تواجه المؤسسات الصحية على اختلاف مجالاتها ومستوياتها والمكوّنة للنظام الصحي الجزائري العديد من المشكلات الشائكة، فرغم ارتفاع معدل النفقات الصحية ونموّها غير المتحكّم فيه، إلا أنه لا يزال يُسجّل نقص أو غياب جودة الرعاية الصحية، ومشكلات أخرى مرتبطة بالتسيير وإدارة التفاعل بين مختلف الشرائح المكوّنة لهذه المؤسسات الصحية، ما صعّب و أبطأ تحقيقها لأهدافها و جعل الكثير من العاملين بها لا يقدّمون أداء فاعلاً يعكس مهاراتهم وإمكاناتهم الوظيفية، خاصّة إذا تعلّق الأمر بتقديم الخدمة بالمؤسسات الصحية المتخصّصة في رعاية الأم والطفل، لذلك كان من بين أهداف سياسة إصلاح المنظومة الصحية في الجزائر تثبيت أنجع السبل للارتقاء بمستوى الأداء الوظيفي للعاملين من خلال توفير بيئة عمل مناسبة يسودها جو من التفاهم والتعاون وتحقيق التمكين الوظيفي بتوافر جملة الحوافز المادية اللازمة المترافقة مع الحوافز المعنوية خصوصاً ما تعلق بالعمل على توفير مناخ ملائم لقيادة هؤلاء الموظفين وحسن توجيههم والتعامل معهم بأسلوب يُؤثّر إيجاباً على أدائهم ويزيد من إنتاجيتهم، الأمر الذي استلزم ضرورة دراسة العلاقة القائمة بين نمط القيادة والإشراف الصحي و مستوى الأداء، باستثمار مبادئ نظرية فيدلر للوصول إلى الإشراف الجيد أو الملائم والذي يحقّق أثراً إيجابياً على الأداء الوظيفي، انطلاقاً ما سبق يمكن تلخيص مشكلة هذا البحث في التساؤل التالي:

- ما نوع العلاقات الإشرافية بالمؤسسة الاستشفائية المتخصّصة في رعاية الأمومة والطفولة بولاية برج بوعريّج

وما مدى تأثيرها على الأداء الوظيفي للعاملين بها؟

ثانياً- المقاربة النظرية لفيدرلر:

تعتبر القيادة الإداريّة إحدى أهمّ السبل المؤسّسية النّاجحة والمثلى للوصول إلى تحقيق الأهداف التنظيمية بأقلّ التكاليف، فهي وسيلة الإدارة (إدارة الموارد البشرية غالباً) لاستخراج الطّاقات والمهارات الوظيفية الإيجابية الكامنة من مواردها البشرية العاملة بالمؤسسة، وامتصاص الضغوطات والصراعات المهنية وإعادة توجيهها لصالح تحقيق وترجمة تلك الأهداف إلى نتائج عملية في الواقع التنظيمي من خلال معرفة كيفية الاستفادة من الطّروف والمواقف المحيطة و استغلالها بالشكل

الأمثل. وعليه، فهي وسيلة مباشرة لتنمية كفاءة وأداء العاملين بما يتماشى مع متطلبات الوظيفة وحجم العمل، وهناك العديد من النظريات التي اهتمت بموضوع القيادة الإدارية (الإشراف) منها نظرية السمات والنظرية الموقفية والنظرية التفاعلية التي تجمع ما بين النظريتين السابقتين، وقد ركزنا في هذا البحث على المقاربة النظرية لفيدلر والتي تشير إلى أن جميع الخصائص المتوفرة في القائد تعتمد بشكل رئيسي على المكان أو الموقف الذي هو فيه، ويُطلق على هذه النظرية الموقفية "نظرية القيادة الفاعلة" التي تُعطي أهمية كبيرة لشخصية القائد ومدى إدراكه لنفسه وللآخرين وإدراك كل من القائد والآخرين للجماعة والموقف.

يعتبر فيدلر Fiedler رائد هذه النظرية من خلال دراسة أساليب العديد من القادة المختلفين والذين عملوا في مواقع مختلفة، وقد بدأ بالمنظمات العسكرية حيث قيّم أساليبهم في القيادة في المواقف والحالات المختلفة سواء أكانوا فاعلين أم لا، وبعد تحليل أساليب مئات القادة وجد نفسه قادراً على التعميم وفق المنهج التجريبي حول أفضل أساليب القيادة وأسئلتها ضمن إطار تنظيمي معين، وقد حاول من خلال دراساته وأبحاثه التركيز على أسلوب يتصف بالمرونة والتكيف مع الظروف والأوضاع المتغيرة. وهو ذات الرأي الذي ذهب إليه بيتج دين Peter J. Dean في كتابه القيادة للجميع حيث يشير إلى أن التكيف والمرونة هما الصفتان الأكثر أهمية للقيادة في مواجهة التغير المستقبلي وتحمل مسؤولية النتائج وفي التفكير الاستراتيجي والرؤيوي.

ويرى فيدلر أن النموذج القيادي أو الإشرافي ما هو إلا مسألة تفاعل بين متغيرات الموقف وبين أبعاد ثلاثة تتداخل فيما بينها من أجل تحديد السلوك الملائم وهي¹:

1. علاقة القائد (المشرف) بالأعضاء (العاملين): في الحالات التي تكون فيها هذه العلاقة ايجابية يكون للقائد تأثير كبير.
2. سلطة القائد الرسمية.
3. هيكل المهمة: فكلما كانت هذه المهمة محددة ضمن بناء معين، سهّل على القائد إخبار تابعيه (العاملين) بما يجب أن يقوموا به.

ثالثاً-هدف البحث:

➤ التعرف على طبيعة الإشراف الصحي في المؤسسات الصحية المتخصصة في رعاية الأم والطفل ومدى تأثيرها على أداء العاملين بها، وتوجيه اهتمام الإدارة الصحية إلى أهمية الإشراف الصحي في تذليل كل من الحواجز الرسمية التي تفرضها طبيعة العمل وغير الرسمية التي يفرضها طموح العاملين لبناء مستقبل وظيفي ناجح.

رابعاً-فرضيات البحث:

-الفرضية الأولى:العلاقات الإشرافية بالمؤسسة الاستشفائية ميدان الدراسة ايجابية مع جميع العاملين.

-الفرضية الثانية: العلاقات الإشرافية بالمؤسسة الاستشفائية ميدان الدراسة تؤثر على الأداء الوظيفي للعاملين .

1 ليلي محمد حسني أبو العلا: مفاهيم ورؤى في الإدارة والقيادة التربوية (بين الأصالة والحداثة)، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، ط1، عمان 2003، ص-ص(77-78).

خامساً-عينة البحث

اقتصرت هذه الدراسة على المؤسسة الاستشفائية المتخصصة في رعاية الأم والطفل المتواجدة بمدينة برج بوعريج، باستخدام العينة العشوائية الطبقية غير الاحتمالية تبعاً لمتغير المنصب (الطبي وشبه الطبي فقط)، حيث تم تحديد حجم العينة البالغة 49 مبحوثاً من مجموع أفراد المجتمع الأصلي البالغ 95 فرداً أي بنسبة تقارب الـ 51 في المائة، إستناداً إلى أسلوب التوزيع المناسب في تحديد العينات، ولقد كان اختيار أفراد العينة ميدانياً عشوائياً بطريقة المصادفة الأولى لصعوبة اختراق هذه المؤسسات المتخصصة وطبيعة العاملين بها.

• متغيرات الدراسة:

المتغير المستقل هو الإشراف الصحي والمتغير التابع هو الأداء الوظيفي للعاملين .

سادساً- منهجية البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، من خلال تناول الظاهرة كما هي في الواقع باستخدام التعبير الكيفي الذي يصف الظاهرة وخصائصها، ثم التعبير الكمي الذي يعطي وصفاً رقمياً يوضح حجم الظاهرة، وتحليل البيانات الكمية والربط بين متغيرات الدراسة بغية الوصول إلى استنتاجات يُبنى عليها تصوّر واضح وذلك من خلال بناء الإطار النظري عن متغيرات الدراسة وتكوين الفرضيات المستندة إلى المشكلة المطروحة، ثم استخدام استمارة الاستبيان حول متغيرات الدراسة من أجل التجميع العلمي للبيانات الكمية و تحليلها كيفياً بغرض الوصول إلى النتائج.

سابعاً-الدراسات السابقة:

1-5 - دراسة صهيب كمال الأغا بعنوان الإشراف التربوي وعلاقته بفعالية المعلم في مرحلة التعليم الأساسي العليا بمدارس وكالة غوث الدولية بمحافظات غزة.هدفت الدراسة الى معرفة مستوى ممارسات عناصر الإشراف التربوي في تحقيق فعالية المعلمين مع كشف خصائص المعلم الفعال من وجهة نظرهم . وتكون مجتمع الدراسة من 2407 معلم ومعلمة، وتمّ تطبيق الاستبانة على عينة الدراسة البالغ عددها 321 مفردة يعملون في مدارس وكالة غوث الدولية، وأعدت استبانة مكوّنة من 94 فقرة موزعة على ثمانية مجالات هي: القيادة، العلاقات الإنسانية، التخطيط وشؤون التلاميذ، التقويم المادة العلمية، النشاط المدرسي، الأساليب الإشرافية. وقد تمّ استخدام المعالجات الإحصائية لحساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والنسب المئوية. وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- عناصر الإشراف التربوي تقوم بالممارسات المطلوبة.
- الاستجابات لدى ممارسة عناصر الإشراف التربوي لمجالات الدراسة كانت متفاوتة، مع وجود فروق ذات دلالة إحصائية لتحقيق فعالية المعلمين تعزى إلى الجنس ولصالح المعلمات، بينما لا توجد فروق في مجال القيادة، التخطيط والأساليب الإشرافية.
- كشفت الدراسة عن خصائص المعلم الفعال كما يعتقد المعلمون.
- 2-5 - دراسة منال عبد الحميد عبد المجيد بعنوان العلاقات الإنسانية وتأثيرها في تحسين الأداء المنظمي دراسة استطلاعية تحليلية في شركة ابن ماجد العامة. وبشكل عام حاولت الدراسة الإجابة على التساؤل الآتي: هل للعلاقات الإنسانية وطرق تحسينها دور ايجابي في تحسين الأداء المنظمي للمنظمة موضوع الدراسة؟ وتوصل الباحث إلى مجموعة من الاستنتاجات أهمها:

- اتفق جميع أفراد عينة الدراسة على أن للعلاقات الإنسانية أهمية ودورا في رفع الأداء المنظمي للشركة المبحوثة.
 - أشارت معطيات الدراسة التطبيقية إلى وجود علاقة تأثير للعلاقات الإنسانية على الأداء المنظمي للشركة المبحوثة.
 ثامنا- أساليب المعالجة الإحصائية المستخدمة: قمنا باستخدام النسب المئوية و اختبار الفروض (كاف تربيع) لمعرفة هل توجد فروق بين الإجابات، وهل يوجد اتجاه عام أو ميل نحو إجابة دون الأخرى، إلى جانب استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية. واستخدام برامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (Statistical Package For Social Sciences) والذي يُعدُّ من أهم البرامج المتوفرة لتحليل البيانات واستخلاص النتائج.

تاسعًا- أدوات جمع البيانات: استخدمنا

■ المقابلة: لجمع المعلومات، والتعرف عن قرب على نوعية العلاقات القائمة بين الرؤساء ومرؤوسهم، وبينهم وبين الإدارة وطبيعة الاتصال القائم بينهم .

■ الاستبيان: كان أساس العمل الميداني لسهولة عملية تصنيف وتبويب وتحليل الإجابات الموثقة ضمن صفحاته.

المحور الثاني-الإطار النظري:

1.الإشراف الصحي:

أولاً. تعريف الإشراف الصحي: يُعرّف الإشراف الصحي بأنه: "المراقبة المستمرة للأداء المتعلق بالإنتاج"¹ فهو "جهد تنظيبي يهدف للسهر على مراقبة وضمان إنجاز النشاطات التنظيمية والممارسات والتطبيقات العملية إنجازا صحيحًا في الجانبين التقني والعلاجي من جهة، و أداءً مطابقًا في الجانب المتعلق بأخلاق المهنة الطبية من جهة أخرى"².

ويعتبر الإشراف الصحي وظيفة وسيطة بين الإدارة والعاملين للتحكم في العمليات الإدارية من خلال عمليات التوجيه والتدريب والتحفيز والاتصال والقيادة، بما يضمن المواءمة بين الأهداف الشخصية للعاملين والأهداف التنظيمية للمؤسسة الاستشفائية، باستخدام الوسائل المتاحة والممكنة.

ثانيا-لماذا الاهتمام بالإشراف الصحي؟ الإشراف وظيفة موجودة في أغلب المؤسسات سواء الخدمية منها كالمؤسسة الاستشفائية موضوع الدراسة أو الصناعية أو التجارية، ووجوده فيها جميعها يعكس أهميته بالنسبة لها كمؤسسات وللعاملين بها في نفس الوقت، ومن بين دواعي الاهتمام بالإشراف الصحي ما يلي:

- عنايته بتوجيه كل أعضاء فريق العمل (الذي يتكون غالبًا من خمسة إلى عشرة عاملين أو ممارسين صحيين)، ومساعدته في تطوير وفهم الرهانات وتحمل النتائج المرتبطة بالعمل³

¹ Jean Paul kurtz : Dictionnaire Etymologique lexicologique et historique des Aglicismes et des Américanismes, Volume 3. Editeur : Books on Demand; Édition : 1.Paris.2014.p1264

² Francis Danvers : S'orienter dans la vie, une valeur suprême ?Dictionnaire de sciences humaines, métiers et pratiques. Septention édition. France.2009.p537.

³ Christine Arbisio et autres : Psychologie clinique. Tome 2.Débats et enjeux. éditions Bréal. Paris.2002.p-p (231-232)

- اهتمامه و علاجه لمجالات الاختلاف والصراع والتعارض الناجمة عن اختلاف الثقافات والموروثات الاجتماعية
- مختلف العاملين بالمؤسسة حيث أشار البطش والطويل إلى أثر قيم الفرد الثقافية والاجتماعية على أدائه، وأن وجود صراع بين القيم سيؤدي إلى إعاقة الفرد عن تحقيق التوافق.¹
- أهميته في تسهيل انسياب المعلومات وتوضيح القرارات وتكليفات العمل.
- أهميته في التحقق من تنفيذ المهام وتصحيح الانحرافات.

ثالثاً-وظائف المشرف الصحي: وظيفة المشرف الصحي الأساسية هي ضمان سير العمل حسب نظام الأولويات في السياقات والإجراءات تبعاً لخطة العمل الموضوعية² في إطار تنظيم وتوزيع العمل، إلى جانب جملة من المهام أبرزها:

- التحكم في العمليات الإدارية من خلال الرقابة والإشراف
- قياس وكتابة التقارير حول أداء الموظف في الوظيفة الحالية.
- إدارة الجهود الجماعية وتفهم الضغوط النفسية للعاملين في المواقف الحرجة.
- تصحيح الأخطاء وتنمية روح المبادرة.
- التأكد من سلامة قنوات ووسائل الاتصال وكفاءتها في الزمان والمكان المناسبين

2. الأداء الوظيفي:

أولاً-تعريف الأداء الوظيفي: يعتبر مفهوم الأداء من المفاهيم التي حظيت بوافر الاهتمام والبحث في الدراسات الإدارية وبخاصة دراسات الموارد البشرية لأهميته على المستوى الفردي و المنظماتي، لارتباطه بسلوك الفرد والمنظمة وكونه المخرج النهائي لمحصلة جميع الأنشطة التنظيمية، وقد تنوعت تعريفاته و اختلفت منها أنه:

➤ "قيام الفرد بالعمل الصحيح وبالطريقة الصحيحة مراعيًا الفاعلية والكفاية والسلامة العامة في العمل والاحترام وتوفير المصادر والوقت"³. فالأداء الوظيفي في الأصل في المؤسسات الصحية هدف يراود الوصول إليه، فهو التفاعل القائم بين السلوك والانجاز حيث أنه جملة من أنماط السلوك التنظيمي المتعلقة بالأداء التي يتبين من خلالها للمشرف الصحي مدى قيام العامل بمهامه بالطريقة الصحيحة.

ثانياً- لماذا الاهتمام بالأداء الوظيفي؟

يُعتبر الأداء الوظيفي مقياساً ومحددًا أساسياً تعتمد عليه المؤسسات لتحقيق الفاعلية التنظيمية من خلال كونه:

- المقياس المحوري لبناء نظام الحوافز، لارتباط هذا النظام بأداء الفرد مما يشجع العاملين في كل مرة على تحسين أدائهم الفردي والجماعي.
- المقياس الواضح لرغبة وقدرة العامل على أداء وظيفته الطبية أو شبه الطبية الحالية وإمكانية أدائه لمهام أخرى مستقبلاً تكون أعقد أو أعلى درجة في الصعوبة أو العكس مما يسهل تخطيط عمليات النقل أو الترقية.

¹ عبد الله عقلة جلي الخزاعله: الصراع بين القيم الاجتماعية والقيم التنظيمية في الادارة التربوية، دار حامد للنشر والتوزيع، ط1، الاردن، 2009، ص-ص (61-62)

² J.L.Roulin et autres : Psychologie cognitive. Cours ; documents, exercices. Éditions Bréal. Paris. 2006. P195

³ حسين محمد الحراشنة: إدارة الجودة والأداء الوظيفي، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2011، ص 16.

- المقياسان سابقا الذكر يحققان التمكين الوظيفي للعاملين وبُشَجَّعَان على الاحتفاظ بالعمالة المتميّزة والمبتكرة، ويُعِيدَان تأهيل العمالة الأقلّ أداءً من خلال إدراك المشرف الصّحي لنقاط الضعف والخلل في أدائهم.

ثالثاً- محددات الأداء الوظيفي: إنّ محددات الأداء الوظيفي متعددة تبعاً للأبعاد التي يتم تناولها كالمحددات المرتبطة بالعوامل البيئية من عوامل اجتماعية وثقافية وحضارية ومادية والعوامل النفسية كما أشار إلى ذلك مارك جي والاس Wallace كالشخصية والدوافع والإدراك وغيرها، وعوامل تنظيمية كمناخ بيئة العمل، على أنّ مستوى الأداء يتحدّد نتيجة التفاعل بين هذه العوامل معا.

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على نموذج لولر Lawler في توضيح محددات الأداء الوظيفي، وهي:

أ- الجهد المبذول الذي يندرج تحت المعيار النوعي: يشير هذا المحدد إلى الطّاقة الجسمانية و العقلية التي يبذلها الفرد لأداء مهمته أو وظيفته للوصول إلى أعلى مستويات أدائه، حيث لا يهتم العاملون في قطاع الصحة كثيراً بسرعة الأداء أو كميّته بقدر ما يهتمون بنوعية وجودة الجهد المبذولة والمتعلقة بأرواح وحياة الأشخاص.

ب- القدرات سواء كانت جسدية أو فكرية أو نفسية : وهي تشير إلى الخصائص الشّخصية للفرد من إمكانات جسدية ومهارات فنيّة وقدرات عقلية التي يستخدمها لأداء وظيفته أو مهامه، ثم سمات نفسية خاصة تلك المتعلقة بالقدرة على التّواصل وتحمل الآخرين (المرضى أو ذويهم) إلى جانب تحمّل ضغوطات العمل ومثل هذه السمات النفسية مهمّة جدّاً في وسطٍ يكثر فيه التعب والضغوطات المهنية المرتبطة بطبيعة الوظيفة الصّحية.

ج- إدراك الدور :معناه الاتجاه الذي يعتقد الفرد أنه من الضروري توجيه الجهود لتحقيق وإتمام المهام والمسؤوليات في الوظيفة التي يشغلها، والشّعور بأهميته في أدائه لهذا الدور.

3- المؤسسة الاستشفائية المتخصصة:

أولاً-تعريف المؤسسة الاستشفائية المتخصصة: عرّفت المنظمة العالمية للصحة المؤسسة الصحية بأنها "جزءٌ أساسي من تنظيم اجتماعي طبي تتلخّص وظيفتها في تقديم رعاية صحية كاملة للسكان، علاجية ووقائية، وتمتد عيادتها الخارجية إلى البيوت كما تعمل كمركز لتدريب القوى العاملة الصحية والقيام ببحوث اجتماعية حيوية"، في حين عرف محمد الصيرفي المؤسسة الصحية الاستشفائية المتخصصة بأنها "منظمة اجتماعية تقدم الخدمات (الصحية) في مجال خاص، باعتبارها المكان المعدّ لاستقبال المرضى وإيواءهم حتى يتم شفاؤهم"¹

ثانياً- وظائف المؤسسة الاستشفائية المتخصصة:

ومن بين الوظائف العامة للمؤسسات الصحية الاستشفائية إلى جانب الوظائف المذكورة سابقاً، التوعية والتثقيف الصحي، تحصين الأطفال ضد الأمراض الشائعة، التعليم حيث يتم تدريب الأطباء والطلبة شبه الطبيين في التّخصصات المختلفة، إلى جانب إجراء البحوث العلمية الطبية والإدارية، كما تعمل على الوقاية من الأمراض التناسلية والتي تعدّ من الخدمات الصحية الأساسية، دون إغفال وظيفة تحفيز عاملها للرتقي بمستويات أدائهم، لأن المؤسسة الصحية وحدة اجتماعية يتم داخلها التفاعل بين الجانب الإنساني والفني حيث تنظر إلى العاملين بها على أنهم بشر لهم مشاعر وأحاسيس، فتتنوع في الحوافز التي تقدّمها لموظفيها بين الماديّة والمعنويّة من أجل تحقيق الأهداف المسطرة، لذلك نجد الإشراف الصحي بها يأخذ من طبيعة وخصائص هذه المؤسسة الإستشفائية المتخصصة.

¹ محمد الصيرفي: إدارة المستشفيات العامة والخاصة وكيفية تميز العاملين بها، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2009، ص05

المحور الثالث- أثر الإشراف الصحي على أداء العاملين بالمؤسسة الاستشفائية محل البحث

❖ مناقشة النتائج في ظلّ الفرضيات:

1. إختبار الفرضية الأولى: والتي مفادها أنّ العلاقات الإشرافية بالمؤسسة الاستشفائية ميدان البحث ايجابية مع جميع

العاملين. وقدتمّ اختبارها من خلال الاسئلة الموالية:

✓ هل كانت العلاقة مع المشرف بعد سنوات من العمل في مستوى تطلّعاتك؟

✓ هل تصف العلاقة بينك وبين المشرف الصحي بأنها ايجابية؟

✓ هل تعتقد أنّ هذه العلاقة الايجابية هي مع جميع العاملين بالمؤسسة؟

1.1/ هل كانت العلاقة مع المشرف الصحي بعد سنواتٍ من العمل في مستوى تطلّعاتك؟

جدول رقم 1: بيّن ما إذا كانت العلاقة مع المشرف الصحي في مستوى تطلّعات

النسب المئوية	التكرارات	
71,0	22	في مستوى تطلّعاتي
0,92	9	دون مستوى تطلّعاتي
100,0	31	المجموع
	18	الامتناع عن الاجابة
	49	المجموع

يعتبر فيدلر أنّه لن يكون هناك قبول واضح وقوي من طرف الموظفين تجاه القائد (المشرف) إلا حينما تكون العلاقة جيدة بينه وبينهم، وتوضّح نتائج الجدول أعلاه أن نسبة 71,0% من المبحوثين كانت علاقتهم مع المشرف الصحي في مستوى تطلّعاتهم، كما أشار فيدلر إلى أنّ فعالية انجاز المجموعة أو الفريق يعتمد على التوافق الصحيح بينهم وبين المشرف عليهم¹ وهي بنظره من أقوى متغيرات الموقف التي تُؤسس لنجاح العمل وتحقّق أهداف المؤسسة (الاستشفائية المتخصصة محل البحث)، فيما أجاب ما نسبته 29,0% فقط من العاملين عن عدم كون العلاقة مع المشرف في مستوى تطلّعاتهم، حيث يعتقدون أن أسلوب المشرف في التفاعل مع العاملين فردي أكثر منه جماعي ولا بد أن يحكمه الظرف الوظيفي القائم ولا يجب أن يمارس ضبطه عليهم فيه، فالمشرف الصحي قد يكون فعّالاً في موقفٍ ما ولا يكون فعّالاً في موقفٍ آخر، رغم أن فعالية أداء الفريق تعتمد على التوافق بين أسلوب المشرف في التفاعل مع مرؤوسيه.

إنّ طبيعة تنظيم المؤسسة الاستشفائية محل البحث تنظيم إداري ذو طابع خدماتي إلا أنّ غالب السلوك الملاحظ هو سلوك اجتماعي، حيث يربط هذا السلوك العامل مع غيره من الموظفين والإداريين والمرضى وغيرهم، وهو بذلك يميل بطبعه إلى الانتماء وتكوين علاقات اجتماعية مع غيره من الأفراد حتى وإن تسبّب ذلك الانتماء في تحمّله ضغوطاً من طرف الجماعة أو الفرد كالمدبر أو المشرف، لذا فبالرغم من كون العلاقة بين قلةٍ من العاملين والمشرف الصحي قد لا تكون في مستوى تطلّعاتهم، إلا

¹ سنان الموسوي: الإدارة المعاصرة (الأصول والتطبيقات)، دار مجدلوي للنشر والتوزيع، الأردن، 2004، ص 194

أنهم يقومون في الغالب بما يسهل في علم الاجتماع بعملية التطوع الاجتماعي وهو العمل على تعديل سلوكهم بما يضمن لهم البقاء في جماعة العمل التي ينتمون إليها.

وقد كان مستوى الدلالة أقل من 0.01 مما يعني أن الإجابة على هذا السؤال ذات دلالة احصائية أي أن الاتجاه أو الميل العام لأفراد العينة كان لصالح كون العلاقة مع المشرف في مستوى تطلعاتهم. كما يُبيّن الجدول أسفله:

جدول رقم 1-1: يبين مدى الدلالة الاحصائية للنتائج الجدول 01

مستوى الدلالة المحسوب	درجة الحرية	كاف تربيع	
,000	2	22.129 ^r	العلاقة مع المشرف في مستوى التطلع

1-2/ هل تصف العلاقة بينك وبين المشرف بأنها إيجابية؟

يُمضي العاملون في أعمالهم العديد من الساعات مقارنة بما يمضونه في بيوتهم، لذلك من الضرورة والأهمية وجود بيئة عمل صحية، يستطيعون من خلالها مهما كانت وظيفتهم طبية أو شبه طبية أن يقدموا أفضل ما لديهم من مهارات وخبرات. فالعلاقات المهنية في المؤسسة الاستشفائية محل الدراسة بين زملاء العمل و بينهم وبين المشرفين المباشرين بكل ما تحتويها من مفردات تنزك أعظم الأثر عليهم جميعاً، بكل ما تحتويه تلك العلاقة من مقارباتٍ ومفارقاتٍ تُلازم العامل طيلة مساره الوظيفي، نتيجة لما تفرزه من مشكلات أو تألفاتٍ بين زملاء العمل.

جدول رقم 2: يبين ما إذا كانت العلاقة مع المشرف ايجابية

النسب المئوية	
93,9	نعم
6,1	لا
100,0	المجموع

وقد بيّنت نتائج الدراسة أنّ نسبة 93.9% من العاملين يصفون العلاقة بينهم وبين مشرفهم الصحي المباشر بأنها علاقة إيجابية خاصة مع تراكم الخبرات والتّقدم في العمل - وهذا ما تؤكده نتيجة السؤال السابق - سواء كانت هذه العلاقة في الجانب المني أو الشخصي. أمّا ما نسبته 6.1% فنقّت وجود علاقة ايجابية بينها وبين المشرف الصحي لوجود إمكانية حدوث سوء الفهم غالباً في محيط العمل والتي يكون منشؤها إمّا شخصياً أو مهنياً يُصعب من وصفها بالاجابية. فالعلاقة هي علاقة مهنية تهدف إلى إنجاز العمل فقط، وبانتهاء العمل تنتهي العلاقة بين الطرفين. وكانت نتائج الدراسة ذات دلالة احصائية كما بيّنه الجدول أدناه.

جدول رقم 2-2: يبين مدى الدلالة الاحصائية للنتائج الجدول 02

كاف تربيع	درجة الحرية	مستوى الدلالة المحسوب
37,735	1	,000

3.1/ هل تعتقد أن هذه العلاقة الايجابية هي مع جميع العاملين بالمؤسسة؟

يذكر كل من فردينالد تونيز Tonaz وإميل دوركايم Durkheim و جارس كولي Cooley في تناولهم لموضوع الجماعة سواء الصغيرة منها أو الأكبر حجماً، بأن الجماعة التي تحقّق حجماً معيناً تُطوّر أشكالاً ووسائل خاصة بها من حيث تقسيم العمل والعلاقات الوظيفية بين أفرادها، فأغلب العلاقات تتمّ من خلال الأدوار التي يقومون بها والتي تتجرد فيها الصّفات الشخصية لصالح هذا الدور أو الوظيفة. وهو ذات الأمر الذي أكّده فيدلر فيما تعلّق بأهمية العلاقة بين العمال وقائدهم أو المشرف عليهم ويزيد من قبولهم كمرؤوسين لأوامره وتعليماته خاصة حينما تخص هذه التعليمات إجراءات العمل الطبي وتصحيح الأخطاء المهنية سواء طبيّةً كانت أو شبه طبيّة، من خلال إعطاء تعليماته ونصائحه وقراراته لهم بصورة واضحة و بنبرات هادئة خاصة في المواقف ذات الطابع الإنفعالي الذي يميّز في الغالب العمل الطبي في المؤسسة الصحية محل الدراسة، فتتكوّن علاقات متينة تكون ايجابية كما تؤكدتها النتائج المتوصل إليها في الجدول أدناه، حيث ما نسبته 83,3% من أفراد العينة تصف المشهد العلائقي بالإيجابي، وهي بذلك علاقة جيدة تخلق الاستقرار في نفوس المرؤوسين وتقلّل من الضغوط المهنية العالية.

جدول رقم 3: يبين ما إذا كانت العلاقة الايجابية هي مع جميع العاملين بالمؤسسة

النسب المئوية	التكرارات	
83,3	25	نعم
16,7	5	لا
100,0	30	المجموع
	19	الإمتناع عن الاجابة
	49	المجموع

وقد كانت الإجابات ذات دلالة احصائية كما يبينه الجدول أدناه.

جدول رقم 3-1: يبيّن مدى الدلالة الاحصائية للنتائج الجدول 3

مستوى الدلالة المحسوب	درجة الحرية	كاف تربيع	
,000	1	13.333 ^h	العلاقة ايجابية مع جميع العاملين

➤ مما سبق نستخلص اتفاق أفراد العينة على أهمية المشرف الصحي وتميّزه بالمرونة والايجابية في التعامل مع أغلب العاملين، مما يؤدي إلى توفير بيئة عمل صحية وملائمة .

2- إختبار الفرضية الثانية: والتي مفادها أنّ العلاقات الإشرافية بالمؤسسة الاستشفائية ميدان الدراسة تؤثر على الأداء الوظيفي للعاملين. يتم اختبار هذه الفرضية في حالتين كما ورد في نموذج الدراسة سابقاً.

أولاً. في حالة الإشراف الرسمي:

الإشراف الرسمي للعلاقات التنظيمية تحسين الأداء إدراك الفرد لدوره الوظيفي وكيفية إنجازه.

يرى جون كوتر John Cotter أنّ القيادة الفعالة والإدارة الفعالة ضروريتان لتحقيق فعالية عالية للمنظمة، بالرغم من كون الإدارة تُعنى بالتكيف والتعامل مع التعقيد، في حين أنّ الإشراف (أو القيادة) يُعنى بالتكيف والتعامل مع التغيير. وهذا يحقّقه إمّا بطرقٍ و أساليبٍ غير مباشرة من خلال العلاقات الإنسانية والاجتماعية وغيرها، وإمّا يُنجزه من خلال الطرق والأساليب الرسمية في التعامل مع العاملين وتنفيذ الإجراءات والمهام.

2-1/ هل يُسهم المشرف الصحي من خلال تبسيط الإجراءات التنظيمية في إدراك العامل لدوره الوظيفي؟

على الرغم من كون الإشراف الصحي الرسمي تضبطه اللوائح الإدارية للمؤسسة الصحية المتخصصة في رعاية الأمومة والطفولة، ورغم أنّ هدفه الدائم هو إيجاد بيئة عمل سليمة ومتفاعلة خالية من الصّراعات، إلّا أنّ فيدلر يرى أنّه ليس هناك طريقة واحدة يمكن اتّباعها من أجل تحقيق ذلك إدارياً (تسييرياً) أو إشرافاً، بل يجب أن تتماشى الممارسات الإدارية مع المهام المختلفة التي يقوم بها العاملون، فهو يعتقد أنّ التنظيم عامة يتكون من ثلاثة نظم فرعية، ما يهمنها منها في هذا البحث هو النظام الفرعي التّنظيمي أي التنسيق الداخلي، لذلك فوظيفة المشرف الصحي بحسب فيدلر مهمّة جدّاً وحساسة وأساسية تبعاً لدرجة القوة الوظيفية ومدى الصلاحيات التي يمتلكها في إطارها الرسمي من خلال تبسيط الإجراءات التنظيمية المرتبطة بالدور.

جدول رقم 04: يبيّن مدى إسهام المشرف الصحي من خلال تبسيط الإجراءات التنظيمية في إدراك العامل لدوره الوظيفي.

تبسيط الإجراءات حاجةً أساسية للمؤسسة محلّ الدراسة حيث يقوم المشرف الصحي بإزالة التعقيدات في مختلف مراحل وخطوات العمل، وتصحيح مظاهر الخلل.

النسب المئوية	التكرارات	
23,3	10	نعم
76,7	33	لا
100,0	43	المجموع
	6	الامتناع عن الاجابة
	49	المجموع

يتبين من خلال الجدول أن نسبة عالية من المبحوثين لا يعتقدون بدور المشرف الصحي في تبسيط الإجراءات التنظيمية المرتبطة بالدور بما نسبته 76,7% مقابل نسبة 23,3% تجد أنّ المشرف الصحي يساعدها كثيرا في إدراكها لوظيفتها من خلال تبسيط إجراءات التوجيه ومراقبة التنفيذ ومدى مطابقتها خطة العمل. قد كانت الإجابات في أكثرها من جانب العاملين شبه الطبيين الأقل خبرة وأقدمية في العمل، ففي الحياة المهنية، لا يمتلك المبتدئون عادة الخبرة، فهم يبذلون جهداً فائقاً في المنصب، ويحرصون على تعلّم جميع تفاصيل الوظيفة ومتطلباتها، وهو ما يرجع من جهة بصفة جزئية إلى الرغبة في نيل إعجاب وتقدير الآخرين من رؤساء أو مشرفين مباشرين وزملاء ومحاولة التعلّم المستمر منهم. ومن جهة أخرى قد يرجع إلى الخوف من الفشل، لذلك فالمشرف الصحي يساعدهم على إدراك الدور المنوط بهم من خلال التوجيه أو التدريب أو التعلّم بتمثيل الدور أو بالمحاكاة ويأخذ بأيديهم للتخلّص من الخوف من العجز والفشل، بل وتحقيق فكرة أرسطو *Aristote* التي تعتبر المبدأ الذي يركز عليه الإشراف في الوقت الراهن "تصرّف وكأنك بالفعل تمتلك الميزات التي تتوق إليها، وسوف يتحقق لك ذلك"¹. أي يجب أن يكون العامل واثقا من قدراته إمكانياته إذا مُنح الفرصة وهي الوظيفة لإظهار قدراته على القيام بالعمل، وكل عمل إشرافي من قيادة وتوجيه وتدريب وتحفيز واتصال يؤدي إلى تثبيت وإدراك ذلك مرغوباً فيه بشدة وباستمرار.

جدول رقم 04-1: يبيّن مدى الدلالة الاحصائية للنتائج الجدول 04

مستوى الدلالة المحسوب	درجة الحرية	كاف تربيع	
,000	1	12.302 ⁿ	العلاقة ايجابية مع جميع العاملين

وهي إجابات ذات دلالة إحصائية توضح الميل العام لأفراد العينة نحو قبول الفرضية الصفرية وهي عدم مساهمة المشرف الصحي في تبسيط الإجراءات التنظيمية في إدراك العامل لدوره الوظيفي.

¹ برايان تريسي: لتكن نجما متألقا في سماء المبيعات، ترجمة: عرفان عبد النافع، دار العبيكان، ط02، السعودية، 2007، ص 29

2-2/ هل يُسهم المشرف الصحي من خلال توضيح اللوائح التنظيمية في إدراك العامل لكيفية إنجازه لمهامه؟

جدول رقم 05: يبيّن مدى إسهام المشرف الصحي من خلال توضيح اللوائح التنظيمية في إدراك العامل لكيفية إنجازه لمهامه

النسب المئوية	التكرارات	
62,8	27	نعم
37,2	16	لا
100,0	43	المجموع
	6	الامتناع عن الاجابة
	49	المجموع

اللوائح التنظيمية هي التي تضع العلاقات التنظيمية في بنود لائحة تحدّد المسؤوليات والصلاحيات والسلطات التنفيذية، كما تحدد مستويات الأداء الوظيفي وما يقابله من أجور وحوافز، وتعد هذه اللوائح استرشادا وأخذا من الأسس الإدارية المرتبطة باللوائح والقوانين المهنية الحاكمة للخدمات التي تقدمها المؤسسة الاستشفائية والتي تضمن توفير الأمن الصحي والاجتماعي.¹ ويعمل المشرف الصحي في المؤسسة الصحية محل الدراسة بالاعتماد على هذه اللوائح التنظيمية و القوانين المهنية، وما يسرّله عليه مهامه الإشرافية وجود علاقات حسنة وتقبّل متبادل بينه وبين العاملين الذين يشرف عليهم، وهو الشرط الأساسي لنجاح إنجاز مهام فرق العمل في المؤسسات الاستشفائية المتخصصة في رعاية الأم والطفل، فيقوم بتقسيم العمل الصحي أو الطبي الذي يجب تنفيذه بين مرؤوسيه، بأن يعهد به إلى من ينقّده كل حسب قدرته وميوله، ويؤجّه بعض العاملين من خلال عملية نقلهم بين مختلف مراكز العمل ضمن الوحدة أو المؤسسة الصحية التي تقع ضمن نطاق إشرافه بما يضمن السير الحسن للعمل الصحي ورضا العاملين القائمين بإنجازه، انطلاقا من كونه أقدر العاملين على تحقيق التواصل الجيد بين الموظفين وبين الإدارة الصحية ممّا يسمح لها بأن تدرك حق الإدراك حاجاتهم، وتبعد عنهم -بفضل المشرف عليهم- الضغوط المهنية التي تنجم في الغالب عن سوء التواصل ومشاكل الاتصال وهو ما يؤدي إلى عدم وضوح المسؤوليات والصلاحيات مما يسبب الكثير من الإشكالات المهنية الأخرى ويقلل من مستوى الأداء التنظيمي الذي يعد هاجس كثير من المؤسسات الصحية الجزائرية اليوم. وقد بيّنت النتائج في الجدول أعلاه أن نسبة كبيرة من أفراد العينة (62,8%) أدركت واطّلت على الكثير من اللوائح والقوانين التنظيمية عن طريق المشرف الصحي خاصة تلك التي تبيّن القدرة على تحقيق الأهداف المرجوة في ضوء متطلبات الموقف، أو تلك التي توضّح الحقوق والواجبات التنظيمية وكيفية حلّ بعض الإشكالات المهنية، وعدم الجمود من خلال إمكانية استخدام أكثر من وسيلة لتحقيق الهدف كما يؤكد فيدلر بعدم وجود طريقة واحدة يمكن اتّباعها لتحقيق الهدف، بل يمكن اللجوء إلى أساليب متعددة لا تخرج عن اللوائح التنظيمية بل يتعلق أكثر بمعرفة تركيب المهمة، كما يُبيّنه الجدول الموالي:

¹ محمد عبد المنعم شعيب: إدارة المستشفيات منظور تطبيقي لإدارة المعاصرة (اللوجستيات الصحية، حل المشكلات، التعريفات والمصطلحات و المفاهيم)، الجزء العاشر، دار المنهل، مصر، 2014، ص 48.

جدول رقم 06: يبيّن مدى إسهام المشرف الصحي في توضيح اللوائح التنظيمية

النسب المئوية	التكرارات	
71,0	22	توضيح الحقوق والواجبات الوظيفية
25,8	8	كيفية حل الإشكالات المهنية
3,2	1	عدم الجمود
100,0	31	المجموع
	18	الإمتناع عن الاجابة
	49	المجموع

❖ ممّا سبق يتبين إسهام المشرف الصحي عن طريق العلاقات التنظيمية المبينة للوائح التنظيمية بنسبة كبيرة والمبسطة للإجراءات التنظيمية بصورة نسبية في تحسين الأداء من خلال إدراك العامل لدوره الوظيفي و لكيفية إنجازه. وعليه، فالعلاقات الإشرافية الرسمية بالمؤسسة الاستشفائية ميدان الدراسة تؤثر إيجاباً على الأداء الوظيفي للعاملين.

ثانياً، في حالة الإشراف غير الرّسمي:

- الإشراف الصّحّي غير الرّسمي ← العلاقات الاجتماعية ← التفهم والثقة ← تحسين الاداء
 - الإشراف الصّحّي غير الرّسمي ← العلاقات النفسية ← الدعم النفسي ← زيادة درجة الحماس
- 1- يُسهم المشرف الصحي من خلال العلاقات الاجتماعية في تحسين الأداء الوظيفي للعاملين

عرّف المؤلّف الفرنسي تارد Tarde العلاقة الاجتماعية بأنها علاقة تبادل بين فردين أو أكثر، في حين حدّد مورينو Moreno مسألة المكانة الاجتماعية في تعريفه لمفهوم العلاقة الاجتماعية، ويذكر أنّ لكل علاقة اتجاهين: الشعور بالجدب تجاه البعض أو الإحساس بالنفور تجاه البعض الآخر، وتوجّه هذه المشاعر سلوك الإنسان الذي يُحوّلها إلى اختيار إقامة علاقة مع فرد أو مجموعة ورفض إقامة علاقات مع آخرين في محيط قريب.¹

وأبرز العلاقات الاجتماعية التي تنشأ من حيث الرّمن والاتصال والتبادل والتأثير تلك التي تكون في محيط العمل كون العامل يقضي فيه وقتاً يفوق ما يقضيه في غيره من الأماكن الأخرى، ما يجعل هذه العلاقات الاجتماعية أقوى وذات نوعية، تُعطيها أهمية بالغة في توفير البيئة الملائمة لإنجاز المهام كعلاقات التفهم والاحترام.

عصمت تحسين عبد الكريم: علم الاجتماع المعاصر، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2015، ص-ص (79-80)¹

وقد كان مما أكده فيدلر في نظرية القيادة الموقفية أن للموقف أثراً بارزاً في نمط القيادة الذي يركز عليه القائد أو المشرف، والذي تؤثر فيه نوعية ومتانة وقوة العلاقات الاجتماعية بينه وبين مرؤوسيه وما تتضمنه تلك العلاقات من مشاعر التفهم والاحترام، وهو ما تبينه نتائج الجدول أسفله

جدول رقم 07: يبيّن أنماط العلاقات الاجتماعية التي تربط المشرف الصحي بمرؤوسيه

النسب المئوية	
10,5	التقدير المعنوي (الثناء والمدح)
52,6	التفهم
36,8	الاحترام
100,0	المجموع

يتبين من نتائج الجدول أنّ ما معدله 52,6% يكون المشرف الصحي يتفهم حاجات مرؤوسيه وظروفهم المهنية ومواقفهم الوظيفية، فلا يمكن أن يوجد تعارض بين أداء الموظفين لأعمالهم بصفة صحيحة وبين وجود علاقات إنسانية بينهم وبين مسؤوليهم أو رؤسائهم، فلا يجب أن يُترجم مفهوم المرونة وبناء علاقات اجتماعية وظيفية إلى غير مآلاتها، لأن بعض رؤساء العمل أو المشرفين لا زالوا يعتقدون بأنّ خلق مثل هذه العلاقات الاجتماعية يمكن أن يُؤثر سلباً على سير العمل ويُؤسّس لنوع من التسيّب واللامبالاة. بل بالعكس، فقد أثبتت هذه الدراسة وغيرها من الدراسات السابقة في الفكر الإداري وتطبيقاته أنّ العمال في حالات كثيرة قد لا ينخرطون بجدية في أداء وظائفهم لافتقارهم للدافع، من أجل ذلك، فهُم قليلاً ما يُكرسون جهودهم بشكلٍ طوعي وغير رسمي لتحقيق الأهداف التنظيمية.

إنّ جُلَّ العبء والعمل يقع على عاتق المشرفين الصحيين، وهذا يعني امتلاك القدرة على تجاذب أطراف الحديث مع الموظفين من غير ذلة ولا خضوع و الجلوس معهم والإنصات إليهم والاهتمام حقاً وبصدقٍ بشكاويهم وطموحاتهم، خاصة إذا كان لها علاقة مباشرة بالأداء والسير العام للعمل داخل المؤسسة الاستشفائية. في حين ركّزت ما نسبته 36,8% من أفراد العينة على عامل الاحترام ويعتبرونه أهمّ من الحوافز المعنوية الأخرى كالمُدح والتكريم ورسائل الثناء 10,5%، ممّا يدل على صعوبة العمل داخل هذه المؤسسات الاستشفائية المتخصصة في رعاية الأم والطفل، وخصوصية الاحترام في حدّ ذاته فهو أحد أهمّ القيم الإنسانية والتنظيمية التي تعطي تقديراً للآخر بغض النظر عن منصبه أو ثقافته، إنّ المشرف الصّحي قد يُقدّر حقوق مرؤوسيه ويحترمها كما قد يحترم وظيفته في كونه همزة الوصل بين مرؤوسيه والإدارة، وقد يشمل احترامه المواقف المشرفة التي يؤديها العاملون تحت إشرافه في سبيل إنقاذ الأرواح وإنجاز العمل الطبي رغم النقائص. لذلك، فالاحترام صفةٌ أساسية من صفات المشرف الصّحي الفعّال الذي يُسهم بشكلٍ جيّدٍ في تحسين الأداء الفردي والجماعي للعاملين بالمؤسسة الاستشفائية المتخصصة محلّ الدراسة.

2- يسهم المشرف الصحي من خلال العلاقات النفسية في زيادة درجة الحماس

من خلال دراسات شولتز Schulz نجد أن العلاقات النفسية في بيئة العمل لا تخدم فقط العاملين بل أيضا المؤسسة التي يعملون بها ويشمل تأثيرها كل مظاهر العلاقات بين العامل وبيئة عمله، وتبين نتائج الجدول الموالي أن المشرف يساهم في تخفيف التوتر والضغط المهني بدرجة كبيرة من خلال المساعدة والمشاركة النفسية.

جدول رقم 05: يبين مساهمة المشرف في تخفيف التوتر والضغط المهني للعاملين

النسب المئوية	التكرارات	
27,7	13	الدعم النفسي (عروض المساعدة، النصيحة)
70,2	33	تخفيف التوتر والضغط (المشاركة النفسية)
2,1	1	الاثنين معا
100,0	47	المجموع
	2	الامتناع عن الاجابة
	49	المجموع

تتميز الطبيعة العامة للعمل في المؤسسات الاستشفائية المتخصصة في رعاية الأم والطفل في الجزائر بالتواجد الدائم للضغوط الداخلية والخارجية مما يؤثر بلا شك على شخصية العاملين فيها، حيث يذكر كل من أليس Alis وكوباسا Kobasa وفريدمان Friedman ورزيمان Rosenman أن أنماط سلوك الشخصية ترتبط بمستويات الضغط. والمهنة أو الوظيفة هي أهم مسبب للضغط نظرا لساعات العمل المتواصلة المترافقة مع المسؤولية الصعبة التي تتطلب انتباهاً شديداً، الأمر الذي يجعل المشرف الصحي أكثر الرؤساء إدراكا لما قد يمر به العاملون من ضغوط و توترات نفسية التي قد تصل حدّ الكآبة، مما يستدعي تفهمه ومحاولة التقرب منهم بخلق نقاشات وبرمجة اجتماعات لتوفير جو من الاطمئنان النفسي في العمل وتحقيق نوع من المساعدة النفسية الفردية (أي الموجهة لعامل واحد بعينه) أو جماعية (أي لجميع العاملين المشككين لفريق العمل)، وقد أجابت ما نسبته 70,2 % من المبحوثين بكون المشرف الصحي يساهم في تخفيف التوتر والضغط المهني بدرجة كبيرة من خلال المساعدة والمشاركة النفسية. في حين أجابت 27,7 % من أفراد العينة بكون المشرف يُعين بالنصيحة ويعرض المساعدة عند حاجتهم اليها (وأغلب التدخلات النفسية للمشرف موجه للعاملين الأحداث سنا وخبرة أي أنها مرتبطة بعامل السن والأقدمية إلى جانب مدى متانة العلاقات الاجتماعية القائمة وفي هذه الحالة قد يقدمها معا).

فالإشراف الصحي الذي يهتم بالعلاقات الاجتماعية عامة والنفسية خاصة يميل إلى تحقيق الإنجاز الأفضل في المواقف المختلطة، واهتمام المشرف بالعلاقات الإنسانية تعني أنه ديموقراطي في التسيير وليس سُلطويا، لذلك يذكر فيدلر في نظريته أنه لكي يهتم بعلاقته مع الجماعة يجب أن لا يمارس سلطة عالية لأنها تُفقد هذه العلاقة ويحل محلها قوة المركز وبالتالي تنعكس سلبا على إنجاز المهمة.

وعليه يساهم المشرف الصحي من خلال العلاقات النفسية بقدر كبير 79,6% في زيادة حماسة العاملين وانغماسهم في العمل وارتباطهم به بصورة لا شعورية، ممّا يؤدي إلى تحسين الأداء الوظيفي للعاملين بالمؤسسة الصحية المتخصصة موضوع الدراسة، كما يُبيّن الجدول أدناه:

جدول رقم 06: يبيّن قدر مساهمة العلاقات التّفسية في تحسين الأداء الوظيفي للعاملين

النسب المئوية	التكرارات	
79,6	39	مساهمة بقدر كبير
20,4	10	مساهمة بقدر متوسط
100,0	49	المجموع

❖ مما سبق يتبيّن إسهام المشرف الصحي بطريقة غير مباشرة إمّا عن طريق العلاقات الاجتماعية كاحترام والتفهم وإمّا عن طريق العلاقات التّفسية كالدّعم والمساندة التّفسية في زيادة درجة حماسة العامل وفعاليتيه في إنجاز المهام الموكلة إليه ومنه الوصول إلى تحسين أدائه الوظيفي. وعليه، فالعلاقات الإشرافية غير الرسمية بالمؤسسة الاستشفائية ميدان الدراسة تؤثر إيجاباً وبقدر كبير على الأداء الوظيفي للعاملين.

خاتمة:

إنّ العمل ضمن المؤسسات الاستشفائية المتخصصة في رعاية الأمّ والطّفّل يتطلب نوعاً مرناً من الإشراف قادر على مواجهة الأزمات والتحديات الصحية والعلاجية، فهو يُعدّ في حدّ ذاته مورداً بشرياً ثميناً وأساسياً من أجل إنجاز وتحقيق الأهداف التنظيمية، والأسلوب الإشرافي المتّبع مع الموظفين في المؤسسات الاستشفائية المتخصصة في رعاية الامومة والطفولة يؤثر تأثيراً كبيراً ومباشراً على أدائهم، وتتجه هذه المؤسسات الصحية من خلال إدارة الموارد البشرية إلى إعطاء الإشراف الصحي أهمية أكبر لأن طرقة وأساليبه حينما تكون جيّدة، تصبح لها القدرة على التأثير الإيجابي على سلوك ومشاعر العاملين فتحثّهم على تحسين مردودهم و إجادة أعمالهم برضا وارتياح وليس عن خوف من العقاب، بل إنّ المشرف الصحي المحنّك سيكون قدوةً لكثير من مرؤوسيه من خلال إظهار الاهتمام الدائم بالعمل والعمال، والاحترام المتبادل بينه وبينهم، ومشاركة مرؤوسيه في القضايا ذات الاهتمام المشترك.

إن هؤلاء المشرفين الصحيين الإيجابيين، ينظرون عملياً إلى العاملين على أنهم مخلوقات اجتماعية تمتلك إحساساً ورغبة في أن يكونوا مبدعين، ومن خلال التفاعل الإيجابي معهم يستطيعون تحقيق أهداف المؤسسة التي يعملون بها من خلال توفير أفضل مناخ ممكن للعمل، منأخّ تسوده الروح المعنوية العالية والقدرة على المبادرة والمبادرة الإيجابية لتحسين الأداء ورفع مستوى الخدمة الصحية المقدمة. وتجدر الإشارة إلى أنه رغم تحقّق الكثير من الأفكار والممارسات الإشرافية الواردة في نظرية فيدلر حول القيادة الفاعلة إلا أنه لا بدّ من الصرامة في الإشراف الصحي بهذه المؤسسات الصحية المتخصصة في رعاية الأم والطفل خاصّةً في ظل ضبابية الأدوار و عدم تحديد المسؤوليات القانونية للعاملين.

قائمة المراجع:

أولا-المراجع باللغة العربية:

1. برايان تريسي: لتكن نجما متألقا في سماء المبيعات، ترجمة: عرفان عبد النافع، دار العبيكان، ط2، السعودية، 2007.
2. حسين محمد الحراشنة: إدارة الجودة والأداء الوظيفي، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2011.
3. سنان الموسوي: الإدارة المعاصرة (الأصول والتطبيقات)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 2004.
4. عبد الله عقلة جلي الخزاعله: الصراع بين القيم الاجتماعية والقيم التنظيمية في الادارة التربوية، دار حامد للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2009.
5. عصمت تحسين عبد الكريم: علم الاجتماع المعاصر، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2015.
6. ليلى محمد حسني أبو العلا: مفاهيم ورؤى في الإدارة والقيادة التربوية (بين الأصالة والحداثة)، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2003.
7. محمد الصيرفي: إدارة المستشفيات العامة والخاصة وكيفية تميز العاملين بها، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2009.
8. محمد عبد المنعم شعيب: إدارة المستشفيات منظور تطبيقي لإدارة المعاصرة، اللوجستيات الصحية، حل المشكلات التعريفات والمصطلحات والمفاهيم، الجزء العاشر، دار المهمل، مصر، 2014.

ثانيا-المراجع باللّغة الأجنبية:

9. Christine Arbisio et autres : Psychologie clinique. Tome 2.Débats et enjeux. éditions Bréal. Paris.2002.
10. Francis Danvers : S'orienter dans la vie, une valeur suprême ?Dictionnaire de sciences humaines, métiers et pratiques. Septention édition. France.2009.
11. J.L.Roulin et autres : Psychologie cognitive. Cours ; documents, exercices. Éditions Bréal. Paris. 2006
12. Jean Paul kurtz : Dictionnaire Etymologique lexicologique et historique des Aglicismes et des Américanismes, Volume 3. Editeur : Books on Demand; édition 1.Paris.2014.

المعتقدات والممارسات الثقافية و أثرها على الحالة الصحية للأوغنديين: دراسة ميدانية في الأنثروبولوجيا الطبية د.محمد جلال حسين/جامعة القاهرة- مصر

ملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على أهم المعتقدات الثقافية السائدة في المجتمع ومدى تأثيرها على الحالة الصحية، ورصد أهم الممارسات الثقافية المنتشرة في المجتمع والتعرف على التأثير الصحي المنعكس على القائمين بها. وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الأنثروبولوجي والمنهج البيوثقافي، الذي يعد أحد المداخل المستخدمة في الدراسات الأنثروبولوجية المعنية بدراسة الصحة والمرض، أجريت الدراسة الميدانية على فئات مختلفة من سكان كامبالا عاصمة أوغندا، وقد بلغ قوام العينة 95 مفردة (75 نموذج استبيان- 20 مقابلة) ممن يتراوح أعمارهم ما بين 15: 45 عام. وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج؛ (1) لقد تركت المعتقدات السائدة في أوغندا أثرًا واضحًا على الحالة الصحية وخاصة بالنسبة للمرأة، وخاصة تلك المعتقدات المتعلقة بحدوث العقم نتيجة السحر والعين الشريرة وعدم دفن المشيمة بعد الولادة. (2) تعاطي الكحوليات يعد عنصرًا أساسيًا في المناسبات والاحتفالات ولا يمكن الاستغناء عنه، ولا يقتصر على الذكور فحسب، ولا على المسيحيين دون المسلمين، فتناول الكحوليات يعد بمثابة ثقافة متوارثة حتى أصبح الأطفال أنفسهم يتناولونه في الأونة الأخيرة إما كنتيجة لتناول الوالدين له أو كنتيجة لعملمهم في مجال بيع الخمور الذي يدر عليهم الربح. الكلمات المفتاحية: (أوغندا- الصحة- المرض- المعتقدات الثقافية- تعاطي الكحوليات).

مقدمة

في الآونة الأخيرة لم تعد دراسة الأمراض والقضايا المتعلقة بالصحة قضايا طبية فحسب، بل اقتحمت الدراسات الأنثروبولوجية وخاصة الأنثروبولوجيا الطبية مجال معالجة هذه القضايا، وخاصة بعدما أدرك الأطباء أن المرض لا يعزو فقط لتأثير العوامل البيولوجية، بل تلعب العوامل الثقافية والاجتماعية دورها الفعال في تحديد الحالة الصحية والمرضية للأفراد، وهذا ما جعلهم ينظرون للمرض من منطلق ثقافي واجتماعي مثلما ينظرون إليه من منطلق بيولوجي. لذلك أصبح فهم السياق السوسيوثقافي للصحة والمرض أمراً معترف بأهميته الحيوية في السنوات الأخيرة في كافة الدراسات المتعلقة بالصحة والمرض، فالثقافة تلعب دوراً لا يمكن إغفاله في تحديد الحالة الصحية والمرضية، فهي المسؤولة في المقام الأول عن تشكيل تصورات الأفراد عما يمكن اعتباره مرضاً وما لا يمكن اعتباره كذلك، كما أنها هي التي تحدد تفسير الأفراد لمسببات المرض والطرق التي يلتمسونها لعلاج أعراض مرضهم في ضوء تصوراتهم لمسبباته.

فالحالة الصحية والمرضية لأي مجتمع إنساني - من حيث طبيعة المرض وكثافته وقوة الكائنات المسببة له ونمط توزيعه السكاني- ليست مسألة وليدة الصدفة، ولكنها نتاج طبيعي للتفاعل الديناميكي المستمر بين عناصر البيئة الطبيعية والبيولوجية والثقافية والاجتماعية⁽¹⁾.

لم يقتصر دور الثقافة على تشكيل تصورات أفرادها وتحديد الطرق المفضلة للعلاج، بل قد تتضمن هذه الثقافة بعض الممارسات المعترف بها والمقبولة من قبل أفرادها والتي بدورها تترك الأثر السلبي على حالتهم الصحية، مثل زواج الأقارب، شعائر التكريس، الزواج المبكر، ختان الإناث، تناول الكحوليات، وغيرها من الممارسات، كما أن الثقافة قد تكون أحد العوائق التي تحول دون النهوض بالحالة الصحية والعمل على تحسينها، وذلك في حال ما تتعارض البرامج والمشروعات الصحية المقدمة مع عادات وتقاليد ومعتقدات المجتمع المراد النهوض بالوضع الصحي به، وهذا ما جعل القائمين على تقديم البرامج والمشروعات الصحية يراعون في المقام الأول السياق الثقافي والاجتماعي للمجتمع قبل تنفيذ هذه البرامج.

وتعد الأنثروبولوجيا الطبية أهم فروع الأنثروبولوجيا التي تهتم بدراسة القضايا المتعلقة بالصحة والمرض، ولكن لم تظهر الأنثروبولوجيا الطبية كفرع متميز من فروع إلا في الخمسينيات من القرن الماضي، حيث شهدت تطوراً ملحوظاً بعد الحرب العالمية الثانية متمثلاً في تحويل عدد متزايد من علماء الأنثروبولوجيا انتباههم إلى تلك القضايا المتعلقة بالصحة والمرض وعلاقتها بالنماذج الثقافية والأنماط الاجتماعية السائدة في المجتمع، وخاصة بعد أن أدركوا أن الحالة الصحية أو المرضية التي يعيشها الفرد في إطار الحياة الاجتماعية لا تمثل ظاهرة منعزلة؛ بل هي انعكاساً للظروف الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، والثقافية التي يعيشها الإنسان⁽²⁾. وتهتم الأنثروبولوجيا الطبية بدراسة الارتباط القائم بين المعتقدات والممارسات

(1) محب محمد شعبان: "دراسة الأمراض المعدية: الاتجاهات المنهجية في أبحاث الأنثروبولوجيا الطبية"، في: بحوث المؤتمر الدولي الثالث لكلية العلوم الإنسانية، العلوم الاجتماعية والدراسات البيئية من منظور تكاملي، ج 1، (تحرير: محمد الخزامي عزيز)، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، 2007، ص 5.

(2) مختار رحاب: "الصحة والمرض بين التصور التقليدي وممارسات الطب الحديث"، في: الدكتوراة حكمت أبو زيد من القرية إلى الوزارة: دراسات في علم الاجتماع عن العالم العربي، (تحرير: علي المكاوي)، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية- كلية الآداب- جامعة القاهرة، 2008، ص 429.

الخاصة بأفراد ثقافة ما وبين التغيرات البيولوجية والفسيوولوجية التي تحدث في جسد أفرادها سواء في حالة الصحة أو المرض⁽¹⁾.

تعد أوغندا أحد الدول الإفريقية التي يتضح بها تأثير العوامل الثقافية على الحالة الصحية لسكانها، فهي تزخر بالعديد من الممارسات الثقافية والمعتقدات التي تنعكس آثارها على الحالة الصحية، كالزواج المبكر، ختان الإناث، تعاطي الكحوليات، ممارسة الجنس قبل الزواج وغيرها من الممارسات. ولذلك وقع الاختيار على هذه الدولة لتكون مجتمعاً لدراسة تأثير المعتقدات والممارسات الثقافية وتأثيرها على الحالة الصحية.

- الهدف من الدراسة

تمثلت الأهداف الرئيسية لهذه الدراسة في:

- 1- التعرف على أهم المعتقدات الثقافية السائدة في المجتمع والتعرف على مدى تأثيرها على الحالة الصحية.
- 2- رصد أهم الممارسات الثقافية المنتشرة في المجتمع والتعرف على التأثير الصحي المنعكس على القائمين بها.
- 3- التعرف على أهم الأسباب الدافعة لتناول الكحوليات، والتعرف على أكثر الفئات تناولاً لها.
- 4- التعرف على أهم الأسباب الكامنة خلف اتجاه الكثير من الفتيات والفتية لممارسة الجنس قبل الزواج، مع الإشارة إلى الآثار المترتبة على ذلك.

- مفاهيم الدراسة:

(1) مفهوم الصحة:

يقصد بالصحة "حالة من غياب المرض الظاهر، وخلو الإنسان من العجز والعلل"، وبالتالي فمن الممكن النظر إلى الأشخاص الذين لم يشعروا بالمرض والذين لم تبد عليهم علامات الاعتلال والمرض عند الفحص على أنهم أصحاء، ولكن هذا المفهوم ضيق وخاصة إذا ما قورن بتعريف منظمة الصحة العالمية "الصحة هي حالة التحسن الجسدي والعقلي والاجتماعي الكامل"⁽²⁾.

(2) مفهوم المرض:

عرف المرض على أنه حالة الانحراف عن الحالة الطبيعية للفرد جسماً أو عقلياً أو اجتماعياً أو نفسياً، وقد يكون هذا الانحراف في أكثر من جانب من الجوانب المحددة للشخصية الإنسانية، وهذا الانحراف أيضاً نسبي وليس انحرافاً مطلقاً ولذلك فإن مفهوم المرض أيضاً مفهوم نسبي يختلف من شخص لآخر ومن موقف لآخر⁽³⁾.

⁽¹⁾ مصطفى عوض: "الأنثروبولوجيا الطبية"، في الأنثروبولوجيا في المجالات النظرية والتطبيقية. (تحرير: محمد عباس إبراهيم)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص 258.

⁽²⁾ سهير الدمهوري: "المشكلات الاجتماعية والبيئية في إفريقيا وأثرها على صحة الطفل: دراسة لمنطقة حلوان"، أعمال مؤتمر الصحة والمرض في إفريقيا في إطار الاحتفالية المئوية بجامعة القاهرة وتكريم أ.د. سعاد (تحرير: سلوى درويش)، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2007، ص 117.

⁽³⁾ سلوى عثمان الصديقي: "مدخل في الصحة العامة والرعاية الصحية"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005، ص 143.

(3) مفهوم المعتقدات:

يقصد بالمعتقدات مجموعة من الموروثات المتعلقة بالعالم الخارجي وفوق الطبيعي، والتي احتلت عقول الناس وشغلت حياتهم وملكت قلوبهم، وأصبحت مُسلم بها لديهم، وغالبًا ما تحاط هذه المعتقدات بقدر من السرية وتظل خبيثة في صدور أفرادها، وبالتالي لا مجال للمناقشة أو المحاكمة العقلية بها⁽¹⁾.

- منهجية الدراسة :

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الأنثروبولوجي الذي لا غنى عنه في الدراسات الأنثروبولوجية الميدانية، كما اعتمدت أيضًا على المنهج البيوثقافي، الذي يعد أحد المداخل المستخدمة في الدراسات الأنثروبولوجية المعنية بدراسة الصحة والمرض، حيث يقوم هذا المدخل على تفسير تلك التغيرات البيولوجية التي يمر بها الفرد أو الجماعة والتي تنعكس على الحالة الصحية سواء بالإيجاب أو بالسلب، ولكن هذا التفسير يعتمد على ربط هذه التغيرات البيولوجية بالحياة الثقافية لتلك الجماعة وما يتعلق بها من عادات وممارسات. فالحالة الصحية والمرضية التي يوجد عليها الفرد ماهي إلا مرآة تعكس طبيعة البيئة التي يعيش فيها سواء كانت بيئة ثقافية، اجتماعية، إيكولوجية أو طبيعية.

- مجالات الدراسة:

(1) المجال المكاني :

أجريت الدراسة في مدينة كامبالا عاصمة جمهورية أوغندا التي تقع في شرق إفريقيا في قلب هضبة البحيرات ويحدها شمالاً دولة جنوب السودان، وجنوباً تنزانيا ورواندا، وشرقاً كينيا، وغرباً الكونغو الديمقراطية.

(2) المجال الزمني:

أجريت الدراسة الميدانية في شهر ديسمبر 2015.

(3) المجال البشري

أجريت الدراسة الميدانية على فئات مختلفة من سكان كامبالا عاصمة أوغندا، وقد بلغ قوام العينة 95 مفردة (75 نموذج استبيان-20 مقابلة) ممن يتراوح أعمارهم ما بين 15:45 عام، وقد كانت الخصائص الديموجرافية لهذه العينة متمثلة في الآتي (جدول رقم 1، 2):

(1) نجلاء عاطف خليل: "في علم الاجتماع الطبي: ثقافة الصحة والمرض"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2006، ص199.

الخصائص الديموجرافية لعينة الاستبيان						
الديانة				النوع		
Born Again	مسيحي	مسلم	أنثى	ذكر		
5.3	48	46.7	40	60	النسبة المئوية	
الحالة الاجتماعية				السن		
أرمل	مطلق	متزوج	أعزب	41: ما فوق	26:40	25 :14
-	1	54	45	21.3	40	38.7
النسبة المئوية						
المستوى التعليمي						
ماجستير	جامعي	دبلوم	ثانوي	إعدادي	ابتدائي	
-	60	9.3	21.3	9.3	-	النسبة المئوية
متوسط الدخل						
لا يعمل	عالي	متوسط	منخفض			
10.7	5.3	49.3	34.7	النسبة المئوية		
الانتماء القبلي						
Tooro	Munyankoli	Muganda	Alur	Baganda		
1.3	8	42.7	2.7	32	النسبة المئوية	
			Murundi	Musoga		
			8	5.3		

جدول رقم (1) الخصائص الديموجرافية لعينة الاستبيان

أما الخصائص الديموجرافية لعينة المقابلة فهي:

الخصائص الديموجرافية لعينة المقابلة						
الديانة				النوع		
Born Again	مسيحي	مسلم	أنثى	ذكر		
15	40	45	30	70	النسبة المئوية	
الحالة الاجتماعية				السن		
أرمل	مطلق	متزوج	أعزب	41: ما فوق	26:40	25:14
-	-	70	30	20	60	20
النسبة المئوية						
المستوى التعليمي						
ماجستير	جامعي	دبلوم	ثانوي	إعدادي	ابتدائي	
5	30	35	15	5	10	النسبة المئوية
متوسط الدخل						
لا يعمل		عالي	متوسط	منخفض		
10		15	40	35		
النسبة المئوية						
الانتماء القبلي						
Tooro	Acholi	Lugbara	Ankoli	Baganda		
10	20	5	10	55		
النسبة المئوية						

جدول رقم (2) الخصائص الديموجرافية لعينة المقابلة

أولاً- المعتقدات الثقافية

تعد المعتقدات بمثابة السلطة الأمرة قوية التأثير في حياة الأفراد في شتى جوانب الحياة وخاصة فيما يتعلق بالصحة والمرض، فالمعتقدات تؤثر بوضوح في تمثلات الأفراد للصحة والمرض كما تؤثر في تشخيصهم للمرض وتفسيرهم لأسبابه وفي اختيار طرق العلاج المناسبة، فهناك بعض المعتقدات تعزو حدوث المرض للعين الشريرة، وأخرى تعزوه إلى تأثير الجن، وغيرها إلى السحر⁽¹⁾، وما زالت هناك الكثير من المجتمعات البسيطة في إفريقيا تسودها كثير من المعتقدات التقليدية التي ترتبط بالدين والسحر، وما ينتج عن ذلك من أنماط سلوكية تظهر في شكل طقوس وعادات وذلك للسيطرة على الظواهر الكونية

(1) مختار رحاب: مرجع سبق ذكره، ص 441.

والأحداث، وللسيطرة أيضًا على المرض، لدرجة أن هذه الطقوس والممارسات أصبحت تمثل جزءًا من النظم الثقافية الخاصة بهذه المجتمعات وأصبحت تمثل جزءًا هامًا من الطريقة التي يتبعها المجتمع في التعامل مع الأخطار والأمراض التي تواجهها⁽¹⁾.

لذلك يتضح لنا أن مفهوم المرض وتصوره يختلف من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى نتيجة خضوعه لمجموعة من الاعتبارات منها المعتقدات الشعبية، المخلوقات المختلفة وعلاقتها بالكون وبني البشر، القوى الطبيعية وفوق الطبيعية كالجن والرياح، ورؤية الإنسان للحياة والموت والصحة والمرض، فالمعتقدات السائدة في الوسط الاجتماعي الذي يعيش به الإنسان تؤثر تأثيرًا واضحًا على تقييم الناس لأعراض المرض وتفسير أسبابه وتحديد الجهات التي يتم اللجوء إليها طلبًا للعلاج⁽²⁾.

ولكل مجتمع من المجتمعات مجموعة من المعتقدات المتعلقة بالرعاية الصحية البعض منها له تأثير إيجابي والبعض الآخر سلبي، وغالبًا ما ترتبط هذه المعتقدات بالثقافة السائدة في المجتمع، وبالبيئة وبمستوى التعليم، وهذا يدل على أن المعتقدات الخاصة ببعض الأفراد والجماعات تلعب دورًا هامًا في الصحة والمرض فهي قد تعمل هذه المعتقدات على الوقاية من بعض الأمراض والتمتع بالصحة الجيدة من ناحية، بينما البعض الآخر قد يسبب الإصابة ببعض الأمراض وارتفاع معدلها⁽³⁾. علاوة على ذلك قد تساهم هذه المعتقدات في التقليل من شأن المرض والتهاون بأعراضه مما يؤدي إلى تأخر اكتشاف ذلك المرض وبالتالي صعوبة علاجه، كما قد تعمل تلك المعتقدات الخاصة بأفراد ثقافة ما على عدم استفادتهم من خدمات الرعاية الصحية الرسمية المتوفرة في المجتمع⁽⁴⁾ نتيجة لعدم اقتناعهم بجدوى وفعالية هذه الوسائل أو لأسباب أخرى، وخير مثال على ذلك انتشار مرض البلهارسيا في ولاية إنوجو بنيجيريا، حيث تعتقد المرأة في هذه الولاية أن البلهارسيا البولية تنتقل من خلال الممارسة الجنسية لذلك تخشى المرأة أن يعلم زوجها بإصابتها بالبلهارسيا فيقوم بطردها من المنزل ولذلك نجدها لا تسعى للحصول على الرعاية الصحية لتمائل الشفاء حتى لا ينكشف أمرها⁽⁵⁾. وهناك بعض المعتقدات التي تحول دون استفادة الأفراد من خدمات الرعاية الصحية مثل الاعتقاد القائم على فكرة حرمة الجسد والذي بمقتضاه لا يسمح لأي شخص الاطلاع على جسد الآخر لكون ذلك من المحرمات⁽⁶⁾، وهذا الاعتقاد يجعلهم لا يقبلون على تلقي خدمات الرعاية الصحية في حالة المرض حتى لا يطلع على جسدهم أحد من الأطباء أو الطبيبات وذلك قد يساعد بدوره على تفاقم المرض وارتفاع نسبة المرضى. لذلك ينبغي على العاملين في مجال الرعاية الصحية مراعاة تلك المعتقدات حتى يتمكنوا من الاستفادة من النافع منها ودحر الضار بقدر الإمكان⁽⁷⁾.

ومن المعتقدات الأخرى التي تترك آثارًا صحية سلبية على الحالة الصحية لمعتنقيها الاعتقاد بأن العين الشريرة تصيب كل ما هو جميل وجذاب وهو ما يدفع هؤلاء الأفراد إلى القيام بتعليق أشياء منفرة ومقززة على ملابس الأطفال تجنبًا لإصابتهم

(1) نجلاء عاطف خليل: مرجع سبق ذكره، ص 202.

(2) على محمد مكاوي: "الأنثروبولوجيا الطبية: دراسات نظرية وبحوث ميدانية"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994، ص 46.

(3) أمال حلي سليمان: "جغرافية الأمراض والرعاية الصحية في إفريقيا"، ط1، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، 2013، ص 45.

(4) إبراهيم عبد الهادي محمد المليجي: "الرعاية الطبية والتأهيلية من منظور الخدمة الاجتماعية"، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2012، ص 20.

(5) أمال حلي سليمان، مرجع سبق ذكره، ص 53.

(6) على محمد مكاوي: مرجع سبق ذكره، ص 34.

(7) Malathi, G., Sharada, & Geroge, A., "Socio- Cultural Perspectives on Health and Illness", Journal of Health Science, Nitte University, 2(3): 61: 67, 2012, P 61.

بتلك العين الشريرة¹⁰، كما يقوم البعض الأخر بتلطix ملابس الأطفال بالطين والقاذورات لحجب العين الشريرة عنه. وبالتالي فإن ارتداء الطفل لهذه الملابس القذرة تجعله عرضه للإصابة بالأمراض⁽²⁾.

ومن ناحية أخرى قد تترك المعتقدات الخاصة بشعب ما أو ثقافة ما أثرًا إيجابيًا على أفراد تلك الثقافة فشعب الأناج في شرق نيجيريا كان يفتقر للخدمات الصحية الرسمية وعندما توفرت تلك الخدمات زاد الإقبال عليها وأنعكس ذلك على صحتهم والسبب الكامن وراء ذلك الإقبال الشديد على تلك الخدمات هو اعتقادهم بأن الأطباء والعاملين في المستشفى لديهم قوة سحرية مستمدة من قوة الله وأن أدويتهم ومهاراتهم منحها الله لهم⁽³⁾.

وفيما يتعلق بأوغندا، فهناك بعض المعتقدات السائدة ذات الصلة الوثيقة بالحالة الصحية والمرضية، ومن هذه المعتقدات الاعتقاد بأن حالات العقم وعدم القدرة على الإنجاب ناتجة عن سحر أصاب الإنسان أو لعنة من الأجداد حلت بهم، ولذلك يلجؤون إلى العرافين والمعالجين الشعبيين، بينما هناك من يلجأ إلى الوسائل الطبية الحديثة ولكن في حالة فشل هذه الوسائل في إيجاد علاج فعال لحالتهم يلجؤون في نهاية المطاف إلى العرافين والمعالجين الشعبيين⁽⁴⁾. ونتيجة لإيمان الكثير من النساء بقدرة المعالجين الشعبيين على شفاء بعض الأمراض تلجأ النساء العاقرات في منطقة واكيسو Wakiso بأوغندا إليهم ليصفون لهن نوعية من الأعشاب تمكنهم من الحمل، في حين يتجه البعض الأخر منهم إلى الأضرحة لالتماس وطلب الحمل⁽⁵⁾.

وقد تبين لنا من واقع الدراسة الميدانية أن الاعتقاد بأن العقم يحدث بفعل الحسد والعين الشريرة قد ساهم في تدهور الحالة الصحية للمرأة وجعلها عرضة للإصابة بالعديد من الأمراض الجنسية، فهناك علاقة وطيدة بين الوضع الاجتماعي للمرأة العاقر في المجتمع الأوغندي وبين حالتها الصحية، حيث أن المرأة العاقر في ذلك المجتمع لا تحظى بنفس المكانة الاجتماعية التي تحظى بها المرأة القادرة على الإنجاب، وبالتالي نجدها تحتل مكانة أقل شأنًا من تلك التي تحتلها المرأة القادرة على الإنجاب، ففي حالة ما يتبين للرجل عدم مقدرة زوجته على الإنجاب يتجه مباشرة إلى الزواج بأخرى مع الاحتفاظ بتلك الزوجة التي لا تنجب في غالبية الأحيان ونادرًا ما يقوم بتطليقها وذلك لرغبته في الإنجاب أو يتجه لممارسة الجنس مع نساء أخريات لتنجب له الأبناء، وفي بعض الحالات تقوم المرأة العاقر بتزويج زوجها من ابنة أخيها لتنجب له الأبناء من ناحية ولتكون لها الصلاحية في السيطرة عليها ولتضمن ولائها لها من ناحية أخرى. على أية حال فإن توجه الزوج لأي خيار من تلك الخيارات المتاحة يترك آثاره السلبية على الحالة النفسية للمرأة، ومما يزيد من صعوبة الأمر الاعتقاد السائد لدى بعض القبائل مثل الباجندا بأن وقوع نظر المرأة العاقر على مولود جديد لامرأة ما أو حملها له بين يديها سترتب عليه وفاة المولود وإصابة الأم بالعقم ولذلك تتجنب الكثير من النساء التي أنجبت مؤخرًا التعامل المباشر مع النساء العاقرات وحجب مولودهن عنهن خشية حدوث ذلك، إضافة إلى أنه لا يسمح للمرأة العاقر المشاركة في المناسبات الاجتماعية وبالتالي تصبح المرأة العاقر شبه منعزلة جزئيًا عن المجتمع.

(1) على محمد مكاوي: مرجع سبق ذكره، ص 23.

(2) سلوى عثمان الصديقي: مرجع سبق ذكره، ص 148.

(3) على محمد مكاوي: مرجع سبق ذكره، ص 49.

4) Otiso, K., "Culture and Customs of Uganda", Greenwood Press, USA, 2006, P83.

5) Adong, H., Knowledge, "Perceptions and Practices in Pregnancy and Childbirth in Uganda: An Exploratory Study of Nangabo Sub-County", Wakiso District, Uganda. (Doctoral dissertation), Makerere University, Kampala, 2011, P 36.

ولقد ترتب على انخفاض مكانة المرأة العاقر في المجتمع ورغبتها المُلحة في الإنجاب إلى اتجاه البعض منهن إلى السحرة والدجالين لالتماس الحلول التي تمكنهم من الإنجاب وغالبًا ما يحاول البعض من هؤلاء الدجالين والسحرة إقناع المرأة بأنها لم تصبح قادرة على الإنجاب إلا بعد أن يمارس الجنس معها، وفي هذه الحالة تضطر المرأة للقيام بذلك حتى تحقق رغبتها في الإنجاب، وبالتالي تصبح المرأة في هذه الحالة عرضة للإصابة بالعديد من الأمراض المنقولة جنسيًا وعلى رأسهما الإيدز وذلك لسببين الأول أن معظم الدجالين والسحرة الذين ترددت عليهم المرأة قد يكونوا نجحوا بالفعل في إقناع الكثير من النساء اللاتي سبقوا تلك المرأة لالتماس مساعدته ومارسوا الجنس معهن، وبالتالي فإن هناك احتمالية كبيرة لأن يكون هؤلاء السحرة والدجالين حاملين للمرض نتيجة تعدد علاقاتهم الجنسية مع العديد من النساء، والسبب الآخر هو أنه من المتوقع أن هذه الطرق التي يتبعونها غير مجدية ولكن المرأة تعيش على أمل الإنجاب وعندما يتبين لها عدم صدق هذا الدجال من المحتمل أن تتجه لآخر وتتضرر لممارسة الجنس معه هو الآخر، وبالتالي فهي الأخرى تدخل في العديد من العلاقات الجنسية بدافع رغبتها في إيجاد الحل المناسب حتى تتمكن من الحمل والإنجاب وهذا ما يزيد فرصة انتقال المرض إليها.

وبتأمل مكانة المرأة في المجتمع الأوغندي نجد أن أهم محدداتها هو قدرتها على الإنجاب في المقام الأول وإنجاب الذكور بصفة خاصة في المقام الثاني، وذلك نابعًا من تفضيل المجتمع الأوغندي لكثرة الإنجاب الذي بدوره يكون مدفوعًا بعدة عوامل منها عوامل اجتماعية وسياسية، فالعوامل الاجتماعية تتمثل في الرغبة في تكوين العزوة وامتداد العائلة واستمرار بقاء أسماها في الوجود، وقد أتضح لنا ذلك من واقع الدراسة الميدانية حيث تبين لنا أن غالبية أفراد العينة لديهم ما لا يقل عن 7 أبناء، وفي ضوء ما أدلى به بعض أفراد عينة الدراسة تبين لنا أن غالبية النساء تظل تحمل وتلد حتى تنجب الذكور على الرغم من أن الكثير من أفراد عينة الدراسة (76%) على دراية ووعي بأن كثرة الإنجاب تؤثر على الحالة الصحية للمرأة، وقد كان من ضمن أفراد عينة الدراسة رجلاً لديه ثمان إناث وذكر واحد وكان الأخير أصغرهم، وبالتالي فإن المرأة الأوغندية تستهلك جزءًا لا يستهان به من صحتها في عمليات الحمل والولادة وينعكس ذلك على حالتها الصحية بالسلب. أما فيما يتعلق بالعوامل السياسية الكامنة وراء تفضيل المجتمع الأوغندي لكثرة الإنجاب فهي تتمثل في رغبة كلاً من المسلمين والمسيحيين في زيادة عددهم في المجتمع حتى يفوق الآخر حتى يتمكنوا من الانفراد بالسلطة والحكم، بمعنى أدق أنه كلما زاد عدد المسلمين مقابل عدد المسيحيين كلما زادت نسب التصويت في الانتخابات وما يترتب على ذلك من الفوز بحكم البلاد والعكس صحيح، وهذا الدافع السياسي يعد من أحد العوامل المسؤولة عن زيادة عدد السكان والنمو السكاني الذي شهدته أوغندا في الآونة الأخيرة، إضافة إلى تأثيره السلبي على حالة المرأة التي تعد الضحية الأولى والخاسر الأكبر لتحقيق ذلك المطلوب.

ومن ناحية أخرى، يسود اعتقاد بين الكثير من الأوغنديين بأن قيام الرجل باستخدام الواقي الذكري أثناء ممارسة العلاقة الجنسية يؤكد إصابته بمرض الإيدز، وكذلك الحال بالنسبة للمرأة التي تطلب من الرجل استخدامه حيث يترتب على طلبها هذا إثارة الشكوك بداخله حول إصابتها بالمرض وما يترتب على ذلك من النفور منها وتجنب الاتصال الجنسي بها، لذلك لا يفضل الكثير من الأوغنديين استخدامه أو الشروع في طلب استخدامه تلافياً للشكوك التي ستثار حولهم بشأن طلبهم هذا، وتلافياً لحالة الاستنفار والنبذ من جهة الآخرين، وهذا المعتقد ترتب عليه ارتفاع معدلات الإصابة بالإيدز والعديد من الأمراض الجنسية، وخاصة بين أوساط المراهقين الذين ينغمسون في الممارسات الجنسية قبل الزواج.

ومن المعتقدات السائدة أيضًا في بعض أجزاء أوغندا أن تعامل أفراد المجتمع مع المرأة المصابة بالإيدز - والتي غالبًا ما ينظرون إليها على أنها زانية - سوف يترتب عليه قتل أبنائهم وبناتهم لذلك يتجنبون التعامل مع المصابات بالإيدز خشية حدوث ذلك، ومن الجانب الآخر نجد أن المصابات بالإيدز لا يقبلن على الإفصاح بأمر إصابتهن بالمرض ويملن إلى إبقاء ذلك سرًا خوفًا

من وصمة العار والعنف الموجه لهن من قبل أفراد المجتمع والأسرة ولذلك لا يقبلن على طلب الرعاية الصحية من المرافق الرسمية في الدولة مما ينعكس بالسلب على حالتهن الصحية.

وفيما يتعلق بالمعتقدات الغذائية نلاحظ أن خلال فترة الحمل تتجنب النساء الأوغنديات تناول البيض اعتقاداً منهن بأن تناوله يجعل الطفل مفتقداً للشعر عند ولادته مما يسبب لها حرج بين أسرتهن، كما تتجنب النساء تناول الأسماك خلال فترة الحمل حتى لا يولد الطفل مشوهاً كأن يولد برأس كبير الحجم.

64

كما يعتقد الكثير من الأوغنديين بأن عدم دفن المشيمة بعد الولادة يسبب العقم لدى المرأة ويؤثر على خصوبتها، لذلك تحرص الكثير من النساء الأوغنديات على إتمام عملية الولادة على أيدي القابلات التقليديات اللاتي يكن على دراية جيدة بمعتقداتهم الثقافية ويقمن بدفن المشيمة بمجرد الولادة توخيًا وتجنبًا لتأثيرها الضار من وجهة نظرهم⁽¹⁾. وهذا الاعتقاد يجعل حياة المرأة محفوفة بالمخاطر فهو يدفعها للعزوف عن التماس الرعاية الصحية من المرافق الصحية الرسمية في الدولة وتفضيل الولادة المنزلية بمساعدة القابلات التقليديات والتي غالبًا ما تتم في ظروف غير صحية إضافة إلى افتقار غالبية القابلات للتقنيات الحديثة المتبعة لحل مشكلة تعسر الولادة والتي تتمثل في العمليات القيصرية.

ثانيًا- الممارسات الثقافية التقليدية

هناك بعض الممارسات الثقافية التي تتبعها بعض القبائل والمجتمعات الإفريقية تساهم بدورها في انتقال وانتشار بعض الأمراض، ومن هذه الممارسات الثقافية عادة ختان الإناث أو ما يعرف بالختان الفرعوني التي تمارسها العديد من المجتمعات والتي تتم بشكل جماعي، وعادة التخليخ واختلاط الدماء عن طريق إحداث جرح في الأيدي لخلق نوع من الأخوة بين أفراد الجماعة "أخوة الدم"، فمعظم هذه الممارسات الثقافية غالبًا ما تتم باستخدام أداة حادة معينة مع جميع الأفراد في نفس الوقت وهذا ما يساعد على نقل الكثير من الأمراض مثل مرض الإيدز⁽²⁾. وهناك شكل آخر من أشكال طقوس الأخوة منتشر في الكثير من جهات القارة الإفريقية وخاصة في الجهة الشرقية عند الباجندا في أوغندا، ويتمثل هذا الشكل من الممارسات الثقافية في عمل قطوع صغيرة في جسم الشابين المراد إقامة علاقة الأخوة فيما بينهم حتى يسيل الدم، ويتم إعطاء كل منهما دم الآخر ليشربه، ويعلن كل منهما بالوفاء لأخيه ويتعهد كل منهما بتقديم المساعدة للآخر بكل الوسائل الممكنة وأن يرضى كل منهما أطفال الآخر، وبالتالي فإن هذا الطقس يكون الغرض منه خلق علاقة حميمة دون النظر إلى الأمراض التي يمكن أن تنتقل من خلال ذلك الفعل⁽³⁾.

إضافة إلى ما سبق هناك ممارسة ثقافية أخرى تساهم بدورها في نقل الكثير من الأمراض وهي عملية ختان الذكور التي يتم إجرائها في كثير من المجتمعات الإفريقية لأسباب ثقافية، حيث تعتبر هذه العملية من شعائر التكريس وأحد طقوس

1) Nudelman, A., "Gender-Related Barriers to Services for Preventing New HIV Infections among Children and Keeping Their Mothers Alive and Healthy in High Burden Countries: Results from a Qualitative Rapid Assessment in the Democratic Republic of Congo", Ethiopia, India, Nigeria and Uganda, UNAIDS, Geneva, 2013, P15.

2) Hrdy, D. B., "Cultural Practices Contributing to the Transmission of Human Immunodeficiency Virus in Africa". Review of Infectious Diseases, 9(6), 1109-1119, 1987, P114.

3) محمد عبد الغني سعودي: "التنمية والثقافة في إفريقيا"، ندوة قضايا التنمية والبيئة في إفريقيا، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2000، ص ص 11:12.

الانتقال إلى مرحلة الرجولة، ويقوم بإنجاز هذه العملية أحد الأفراد غير المدربين طبيًا ويستخدم أداة حادة واحدة مع جميع الأفراد الذين يخضعون لشعائر التكريس، وهذا قد يساعد بدوره على انتقال المرض من أحدهما للآخرين⁽¹⁾.

على الرغم من ذلك أشارت بعض الدراسات إلى أن عملية ختان الذكور لها تأثير واثق من انتقال فيروس الإيدز بالنسبة للأفراد الذين خضعوا لإجرائها، حيث يعمل الختان على وقايتهم من انتقال الفيروس من الإناث إليهم أثناء عملية الاتصال الجنسي⁽²⁾، كما أشار جراهام Graham أن سرطان عنق الرحم يقل انتشاره بين نساء المسلمين والعرب الذين يعتادون القيام بعملية ختان الذكور، بينما ترتفع الإصابة به لدى المجتمعات ذات المستوى الاجتماعي والصحي المتدني والتي لا تقوم بعادة ختان الذكور، وأشار موضحًا إلى أن السبب الكامن وراء الإصابة بسرطان عنق الرحم هو أن الذكور غير المختونين يتركون مادة في عنق الرحم تسمى سميجمما Smegma وهذه المادة تعد من المولدات السرطانية المسببة للمرض⁽³⁾.

أما فيما يتعلق بالممارسات الثقافية السائدة في أوغندا، رصدت الدراسة بعض هذه الممارسات التي تركت العديد من الآثار الصحية والنفسية والاجتماعية على القائمين بها والخاضعين لها، وقد سعت الدراسة في هذا الصدد إلى التعرف على العوامل المسؤولة عن انتشارها والآثار المترتبة عليها، ومدى وعي وإدراك أفراد المجتمع لهذه الآثار والمخاطر المترتبة عليها، ومن هذه الممارسات:

(1) تعاطي الكحوليات

يعد تعاطي الكحوليات من الممارسات المتأصلة والمتجذرة في الثقافة الأوغندية، فهو عنصر أساسي في المناسبات والاحتفالات العامة كطقوس العبور، احتفالات الزواج، الولادة، وطقوس ختان الذكور وغيرها من المناسبات، وقد صنفت منظمة الصحة العالمية أوغندا بكونها المستهلك الرئيسي للكحول على مستوى العالم، حيث بلغ متوسط استهلاك الفرد من الكحول حوالي 19,5 لتر سنويًا⁽⁴⁾، فهي تحتل المركز الأول على مستوى العالم في استهلاك الكحول من أصل 185 دولة⁽⁵⁾.

وقد أشارت الكثير من الدراسات التي أجريت في هذا الشأن بأن الذكور من الأوغنديين يستهلكون كميات كبيرة من الكحول مقارنة بالإناث، ولكن مع تقدم العمر يقل استهلاك الكحول بين الذكور ويزداد استهلاكه بين الإناث، إضافة إلى أن استهلاك الكحوليات يزداد بين الأشخاص الذين يدينون بالمسيحية ويقل بين المسلمين⁽⁶⁾. كما أكدت دراسة Kafuko (2008) على أن عادات الشرب تختلف باختلاف الجنسين فالرجال تستهلك المشروبات الكحولية بكميات كبيرة ويسمح لهم بالشرب في أي مكان مع جماعة الأقران ولكن لا يسمح لهم بتناولها مع كبار السن، في حين لا يمكن للمرأة أن تتناول المشروبات الكحولية خارج المنزل، أو قبل الانتهاء من عملها. كما ينظر للأطفال والشباب الذين يتناولون الكحول على أنهم وصلوا بالفعل إلى مرحلة الرجولة، بينما أرتبط تناول المشروبات الكحولية بين الفتيات بعدم الاحترام وعدم صلاحيتها للزواج.

1) Wilcken, A., Keil, T., & Dick, B., "Traditional male circumcision in eastern and southern Africa: a systematic review of prevalence and complications". Bulletin of the World Health Organization, 88(12), 2012 P 912.

2) ipid, p 907.

3) على محمد مكاوي: مرجع سبق ذكره، ص 20.

4) Schaffer, J., "Alcohol use and abuse of youths in Kampala" (Doctoral dissertation, uniwien,)2012, p1.

5) Ntale, C., "Drinking into Deeper Poverty: The New Frontier for Chronic Poverty in Uganda". chronic poverty research center, Policy Brief No.1, 2007, P1.

6) Schaffer, Op cit, pp45:46.

وقد أتضح لنا ذلك أيضًا خلال الدراسة الميدانية حيث أكدت الغالبية العظمى من عينة الدراسة (98,7%) على انتشار تناول الكحوليات بين أوساط الرجال والنساء كما برز لنا أيضًا أن تناول الكحوليات لم يعد قاصرًا على المسيحيين فحسب، بل يتناوله أيضًا المسلمون من أفراد المجتمع وخاصة فئة الشباب، بل أصبح الأطفال أيضًا في الفترة الراهنة يتناولون الكحوليات، ولكن الاختلاف بين الرجال والنساء يكمن في المناطق التي يسمح لكل منهما بالشرب فيها، فالرجال يسمح لهم بتناول الكحوليات في المنزل، الشوارع، الحانات، الجامعات، بينما النساء يقتصر تناولهن للكحوليات على المنزل وقلما تناولنه في الشوارع والجامعات، وإن كان ينتشر تناوله في الحانات بين العاملات في مجال الجنس، ولربما يعزو عدم تناول النساء للكحوليات في الشوارع والأماكن الأخرى بخلاف المنزل إلى نظرة أفراد المجتمع للمرأة أو الفتاة التي تتناول الكحوليات على أنها غير محترمة ولا تصلح للزواج وبالتالي فإن عدم إقبالهن على تناوله في تلك المناطق يعد بمثابة تفاديهن لرد فعل المجتمع تجاههن. وفيما يتعلق بالعمر الذي يبدأ فيه كل من الشباب والفتيات بتناول الكحوليات تبين لنا أن غالبية الشباب يتناولون الكحوليات بعد اجتيازهم سن العاشرة من العمر، ولكن الفتيات يتناولن الكحوليات بعد اجتيازهم سن الخامسة عشر من العمر، في حين أشار البعض من أفراد العينة بأن هناك اتجاه بين أوساط الأطفال ممن هم أقل من عشر سنوات في الأوقات الحالية لتناول الكحوليات وأن ذلك نابغًا من تأثير جماعة الأقران.

(أ) أسباب تعاطي الكحوليات

وبالنظر للأسباب التي جعلت تناول الكحول أمرًا مقبولاً من الناحية الثقافية في المجتمع نجدها متعددة ومتنوعة، فالكثير من القبائل والجماعات الأوغندية لديها ثقافة تخمير الكحول التقليدي في المنازل كمصدر للدخل، حيث ارتبطت صناعة الكحول في أوغندا بالثراء، إضافة إلى ذلك هناك العديد من القبائل التي يمثل تناول الكحول بالنسبة لها جزء لا يتجزأ من مراسم الاحتفالات، فعند الباجندا لا يسمح للشباب المتقدم للزواج أن يصطحب الفتاة التي يرغب في الزواج منها من منزل والدها إلا بعد أن يقدم لأسرتها قدر من الخمور التي تم تخميرها في المنزل⁽¹⁾. كما أن الكثير من الأوغنديين وخاصة في شمال أوغندا يقمن بإمداد الأطفال بالمشروبات الكحولية اعتقادًا منهن بقدرتها على الشفاء من بعض الأمراض كالسعال، نزلات البرد، وديدان البطن⁽²⁾.

كما يلعب الفقر دوره في زيادة معدلات استهلاك الكحول في المجتمع، فالكثير من الأطفال تتجه للعمل في مجال بيع الكحوليات وهذا ما دفع بالكثير منهم إلى تناول المشروبات الكحولية في سن مبكر، كما أن جماعة الأقران هي الأخرى لعبت دورها الفعال في ارتفاع معدلات الاستهلاك، حيث أن بعض الجماعات لا تسمح للعضو الجديد الانضمام إليها إلا بعد أن يقوم بتناول كميات كبيرة من المشروبات الكحولية كوسيلة لإثبات قوته وبعدها يحصل على عضوية الجماعة⁽³⁾.

وقد أكدت دراسة نامارا Naamara (2014) أن هناك بعض الأسباب التي دفعت بالكثير من الشباب لتناول الخمور منها فقدان أحد الوالدين في سن مبكر وما ترتب عليه من غياب الرقابة الأسرية، تخمير الأسرة للكحول في المنزل، وتناول الوالدين للكحول. كما أشارت دراسة UYDEL (2008) التي أجريت على عينة من شباب المناطق العشوائية في كامبالا إلى أن الكثير من الشباب يقبل على تناول الكحول نتيجة تدهور أحوال المعيشة وعدم توافر الدخل، تدعيم الشعور بالشجاعة

1) Naamara, W., & Muhwezi, W. W., "Factors associated with alcohol dependence among adult male clients in Butabika Hospital, Uganda". Journal of social work practice in the addictions, 14(3), 2014, p324.

2) UYDEL, "State of Alcohol Abuse in Uganda: Young people drinking deeper into poverty", Kampala: Uganda Youth Development Link, 2008, p3.

3) Schaffer, Op cit, pp 60.

والثقة بالنفس والقدرة على السيطرة للقيام بأفعال معينة مثل الدخول في علاقة جنسية مع إحدى الفتيات، الرغبة في الحد من التوتر والاكنتاب والشعور بالملل.

ومن العوامل الأخرى التي دعمت انتشار تناول المشروبات الكحولية في أوغندا وارتفاع معدلات استهلاكها؛ الافتقار لوجود سياسة وطنية واضحة تجاه تناول المشروبات الكحولية وضعف القوانين وعدم تنفيذها، إضافة إلى عدم فرض الدولة الضرائب على صناعة الكحوليات، وهذا وفر أرضاً خصبة لانتشار الكحوليات وجعل أمر الوصول إليها سهل المنال ويمكن الكثير من الشباب من تناولها في أي مكان⁽¹⁾. فقد أكدت دراسة سشافير Schaffer (2012) على أن تناول المشروبات الكحولية منتشر بشكل واضح في شوارع كامبالا ومدارسها وجامعاتها وخاصة في المناطق العشوائية الفقيرة الموجودة على أطرافها، كما أكدت على أن الكثير من الأطفال وصلوا لمرحلة إدمان الكحوليات وخاصة الأيتام وأطفال الشوارع، وأن ذلك الانتشار الواسع للمشروبات الكحولية يعزو إلى انخفاض أسعارها وسهولة الحصول عليها وإمكانية تناولها في أي مكان لعدم وجود رقابة على تناولها. كما أكدت دراسة UYDEL (2008) على أن تعاطي الخمر ينتشر بوضوح بين طلاب جامعة كامبالا وبين المحاضرين بتلك الجامعة، فالمشروبات الكحولية يتم بيعها داخل الجامعات في أكياس معبأة، كما تنتشر أيضاً بين طلاب المدارس الابتدائية والثانوية حيث يتم تسريب المشروبات الكحولية وبيعها خلسة داخل المدارس.

وباستطلاع آراء عينة الدراسة بشأن تناولهم للكحوليات من عدمه وطبيعة الأسباب التي دفعهم لتناول الكحوليات أتضح لنا أن (38,7%) يتناولون الكحوليات بصفة مستمرة وكانت هذه النسبة لعينة من المسلمين والمسيحيين معاً، ويظهر (جدول رقم 3) المبررات والدوافع التي ذكرها أفراد عينة البحث والتي تتسبب في الاتجاه نحو تناول الكحوليات:

النسبة المئوية	عدد الاستجابات	أسباب تناول الكحوليات
7,42%	32	ضغط الأقران
7,34%	26	الهروب من مشكلات وضغوط الحياة
20%	15	البطالة
7,34%	26	الرغبة في الحد من التوتر والاكنتاب
3,21%	16	الرغبة في تعزيز الثقة بالنفس
3,9%	7	الرغبة في زيادة الطاقة الجنسية
7,10%	8	تأكيد الوصول لمرحلة النضج والتحرر
16%	12	العمل في مجال بيع أو صناعة الكحوليات
3,21%	16	تناول الوالدين للكحول
7,18%	14	تصنيع الأسرة للكحول بالمنزل والقيام ببيعه
4%	3	علاج بعض الأمراض كالسعال ونزلات البرد، وديدان البطن
7,14%	11	كونها ممارسة ثقافية يقوم بها غالبية أفراد المجتمع

جدول رقم (3) أسباب تناول الكحوليات

1) Naamara. Op cit. p325.

تظهر النتائج أن أهم الدوافع الكامنة وراء تناول الكثير من أفراد العينة للكحوليات تتمثل في ضغط الأقران والرغبة في التخلص من مشكلات وضغوط الحياة اليومية والحد من التوتر والاكئاب، وكانت غالبية استجابات فئة الشباب بشأن أسباب تناولهم للكحوليات تنحصر بين رغبتهم في تعزيز الثقة بالنفس وزيادة القدرة الجنسية عند الدخول في علاقة جنسية مع فتاة والبعض منهم تناوله نتيجة اعتقاده بأن تناول الكحوليات يعد بمثابة الوصول لمرحلة الرجولة والنضج، في حين كان تصنيع الأسرة للكحوليات والقيام ببيعها من العوامل التي دفعت بالبعض منهم لتناول الكحوليات وخاصة أنهم نشأوا ووجدوا والديهم يتناولونه وبالتالي أصبح أمر تناول الكحوليات بالنسبة لهم أمراً عادياً ومقبولاً ما دام الوالدين يتناولونه. وقد أكد البعض أن من أهم أسباب انتشار تناول الكحوليات بكثرة في المجتمع هو البطالة وتوافر وقت الفراغ لدى العديد من الشباب إلى جانب أن هذه المنتجات الكحولية رخيصة الثمن ويسهل الحصول عليها ولا يعاقب عليها القانون ما دام يتم تناولها في المنازل وليس في الأماكن العامة فلا توجد قوانين مفعلة بشأن تناول الكحوليات في المجتمع، هذا إلى جانب أن غالبية أفراد المجتمع من المسيحيين والكحوليات بالنسبة لهم غير محرمة وتعد بمثابة شعيرة دينية مباحة بالنسبة لهم وهذا بدوره ساعد على الانتشار الواسع لتناول الكحوليات.

(ب) الآثار الناجمة عن تعاطي الكحوليات

وفيما يتعلق بالعواقب المترتبة على إساءة استخدام المشروبات الكحولية فقد أشارت دراسة Kafuko (2008) التي أجريت على عينة من الشباب والفتيات الأوغنديين إلى أن هناك العديد من العواقب سواء الصحية أو الاجتماعية المترتبة على استخدام المشروبات الكحولية، فالعواقب الاجتماعية تتمثل في العنف الأسري، توتر العلاقات الأسرية، الانفصال والطلاق، الضغوط المالية، انتقال عادة تناول المشروبات الكحولية للأطفال كمحاكاة للوالدين أو إحداهم، أما العواقب والمشكلات الصحية فهي تتمثل في فقدان الذاكرة، تليف الكبد، السرطان، فقدان الوزن، الأمراض العقلية، الانغماس في السلوكيات الجنسية المحفوفة بالمخاطر كممارسة الجنس دون وقاية وما يترتب عليه من الإصابة بالأمراض المنقولة جنسياً. كما أشارت الدراسة إلى أن الإفراط في تناول الكحوليات يترتب عليه الإصابة بأمراض الكلى والقلب والكبد، قرحة المعدة، فقدان القدرة الجنسية، وتغير لون البشرة، وتساقط الشعر⁽¹⁾. كما أكدت وزارة الصحة في أوغندا على أن تناول الكحوليات يعد من الأسباب الرئيسية للإصابة بالأمراض العقلية⁽²⁾.

وباستطلاع آراء عينة الدراسة لمعرفة مدى وعيهم بالآثار المترتبة على تناول الكحوليات اتضح لنا أن غالبيتهم (92%) يدركون جيداً مدى الآثار السلبية الناجمة عن الإفراط في تناول الكحوليات ومدى ارتباط ذلك بالإصابة ببعض الأمراض مثل أمراض الكبد، والسرطان، الأمراض المنقولة جنسياً وعلى رأسها الإيدز مبررين الإصابة بتلك الأمراض المنقولة جنسياً على أنها نتاج لانغماس الفرد في الممارسات الجنسية المحفوفة بالمخاطر بعد تناوله الكحوليات دون اتخاذ تدابير الوقاية وذلك لأنه في هذه الحالة يكون غير مدركاً للموقف وغير قادر على التفكير وتصرفاته تتسم باللاعقلانية، إضافة إلى ذلك أشارت عينة الدراسة إلى أن الإفراط في تناول الكحوليات يترتب عليه الإصابة بالأمراض العقلية والنفسية، وبالتالي يتضح لنا أن الكثير منهم على دراية جيدة بكافة الآثار المترتبة على تناول الكحوليات ولكن على الرغم من ذلك مازال الكثير منهم مستمراً في تناوله للكحوليات ولم يتوقف عن تناولها وبسؤالهم عن السبب في الاستمرار في تناولها اتضح لنا وفق ما أدلوا به أن السبب الكامن

1) Kafuko, A., & Bukuluki, P., "Qualitative research in Uganda on Knowledge, attitudes and practices concerning alcohol". Health Communication Partnership (HCP), Afford Project, Young Empowered and Healthy (YEAH), 2008, pp 14:19.

2) Naamara, Op cit, p323.

وراء استمرارهم في ذلك هو ضغط الأقران وتوافر وقت الفراغ الناجم عن البطالة في ظل الرغبة في الخروج من حالة التوتر والاكتئاب التي يمر بها البعض منهم، كما أن الغالبية العظمى أكدت على أن تناول الكحوليات يؤثر على المرأة الحامل كما يؤثر على الجنين ويعمل على إضعافه ويمكن أن يحدث بعض التشوهات في تكوينه لذلك يحذرون على المرأة الحامل تناوله أثناء فترة الحمل.

هذا بالإضافة إلى ذكر بعض الآثار الاجتماعية الأخرى المترتبة على تناول الكحوليات والتي جاءت في مقدمتها توتر العلاقات الأسرية والانغماس في العلاقات الجنسية المحفوفة بالمخاطر كممارسة الجنس دون اتخاذ التدابير الوقائية اللازمة، هذا بالإضافة إلى بعض الآثار الأخرى الموضحة بالجدول (4) كما يلي:

النسبة المئوية	عدد الاستجابات	الآثار المترتبة على تناول الكحوليات
7,42%	32	توتر العلاقات الأسرية
7,62%	47	انتشار العنف المنزلي
7,26%	20	التعرض للوصم والنبذ من الأسرة والمجتمع
3,33%	25	فقدان الأصدقاء
3,17%	13	الاكتئاب والاتجاه للعزلة عن أفراد الأسرة والمجتمع
7,30%	23	عدم الانتظام في العمل
7,42%	32	الانغماس في العلاقات الجنسية المحفوفة بالمخاطر

جدول رقم (4) الآثار المترتبة على تناول الكحوليات

كما أشار البعض بأن الإسراف في تناول الكحوليات يترتب عليه الفقر نتيجة لاستهلاك جزء لا يستهان به من الدخل في شراء تلك المنتجات إضافة إلى أن متناولي الكحوليات غالبًا لا ينتظمون في عملهم ويعانون من عدم القدرة على التركيز وهذا يسبب لهم الكثير من المشكلات في مجال العمل وربما يصل الأمر في نهاية المطاف إلى تخلي جهة العمل عنهم، كما أشار البعض الآخر إلى أن تناول الكحوليات يترتب عليه فقدان احترام المجتمع لهم وفقدان الأخرين للثقة بهم إلى جانب التعرض للكثير من الحوادث أثناء القيادة.

خاتمة:

لقد تبين لنا في ضوء العرض السابق كيف أثرت المعتقدات السائدة في أوغندا على الحالة الصحية وخاصة بالنسبة للمرأة، فقد باتت المرأة الأكثر تعرضًا للآثار الناجمة عن تلك المعتقدات السائدة، وخاصة تلك المعتقدات المتعلقة بحدوث العقم نتيجة السحر والعين الشريرة وعدم دفن المشيمة بعد الولادة، والتي دفعت الكثير من النساء إلى اللجوء إلى العرافين

والسحرة وتفضيلها للولادة المنزلية المحفوفة بالمخاطر بمساعدة القابلات التقليديات غير المدربات جيداً لضمان إتمام عملية دفن المشيمة حتى لا تصاب بالعقم وتتمكن من الأنجاب مجدداً. وكذلك المعتقد المتعلق بتعامل الأفراد مع المرأة المصابة بالإيدز وما يترتب عليه من وفاة أبناء هؤلاء الأفراد، فقد ترتب عليه تجنب العديد من النساء بالإفصاح عن إصابتهن بالإيدز وعد سعيهن لطلب خدمات الرعاية الصحية، وما ترتب على ذلك من تدهور حالتهن الصحية في نهاية المطاف.

أما فيما يتعلق بالممارسات الثقافية، فقد تبين لنا أن تعاطي الكحوليات يعد عنصراً أساسياً في المناسبات والاحتفالات ولا يمكن الاستغناء عنه، كما أن تناوله لا يقتصر على الذكور فحسب، كما لا يقتصر تناوله على المسيحيين دون المسلمين، فتناول الكحوليات يعد بمثابة ثقافة متوارثة انتقلت عبر الأجيال حتى أصبح الأطفال أنفسهم يتناولونه في الآونة الأخيرة إما كنتيجة لتناول الوالدين له أو كنتيجة لعملهم في مجال بيع الخمر الذي يدر عليهم الربح.

ومن ناحية أخرى، تبين لنا مدى تأثير تعاطي الكحوليات على الجوانب الاجتماعية والنفسية والتي تمثلت في انتشار العنف المنزلي (62,7%) وتوتر العلاقات الأسرية (42,7%) وغيرها من الآثار. وعلى الرغم من إدراك الكثير من أفراد المجتمع للآثار السلبية الناجمة عن تناول الكحوليات، إلا أن الكثير منهم يستمرون في تناوله كوسيلة للهروب من المشكلات والحد من التوتر والاكئاب (34,7%)، أو كنتيجة لضغط الأقران (42,7%) كما أضح لنا سابقاً. في حين ربط البعض الآخر بين تناول الكحوليات والوصول لمرحلة الرجولة والنضج، واعتبروا تناوله علامة مميزة للتأكيد على الوصول لتلك المرحلة.

قائمة المراجع:

أولاً: المراجع العربية

الدمهوري، سهير: "المشكلات الاجتماعية والبيئية في إفريقيا وأثرها على صحة الطفل: دراسة لمنطقة حلوان"، أعمال مؤتمر الصحة والمرض في إفريقيا في إطار الاحتفالية المئوية بجامعة القاهرة وتكريم أ.د. سعاد شعبان، سلوى درويش (محرر)، القاهرة: معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 2007، ص ص 173-203.

الصدقي، سلوى عثمان: "مدخل في الصحة العامة والرعاية الصحية"، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2005.

المليحي، إبراهيم عبد الهادي محمد: "الرعاية الطبية والتأهيلية من منظور الخدمة الاجتماعية"، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2012.

خليل، نجلاء عاطف: "في علم الاجتماع الطبي: ثقافة الصحة والمرض"، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2006.

رحاب، مختار: "الصحة والمرض بين التصور التقليدي وممارسات الطب الحديث"، في: الدكتورة حكمت أبوزيد من القرية إلى الوزارة: دراسات في علم الاجتماع عن العالم العربي، (تحرير: علي المكاوي)، القاهرة: مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية- كلية الآداب- جامعة القاهرة، 2008، ص ص 427:456.

سعودي، محمد عبد الغني: "التنمية والثقافة في إفريقيا"، ندوة قضايا التنمية والبيئة في إفريقيا، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 2000، ص ص 8:15.

سليمان، أمال حلي: "جغرافية الأمراض والرعاية الصحية في إفريقيا"، ط1، القاهرة: معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 2013.



شعبان، محب محمد: "دراسة الأمراض المعدية: الاتجاهات المنهجية في أبحاث الأنثروبولوجيا الطبية"، في: بحوث المؤتمر الدولي الثالث لكلية العلوم الإنسانية، العلوم الاجتماعية والدراسات البيئية من منظور تكاملي، ج 1، (تحرير: محمد الخزامي عزيز)، جامعة الكويت، كلية العلوم الاجتماعية، 2007، ص ص 518:557.

عوض، مصطفى: "الأنثروبولوجيا الطبية، في الأنثروبولوجيا في المجالات النظرية والتطبيقية". (محرر) محمد عباس إبراهيم، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2007. ص ص 255:282.

مكاوي، على محمد: "الأنثروبولوجيا الطبية: دراسات نظرية وبحوث ميدانية"، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1994.

خليل، نجلاء عاطف: "في علم الاجتماع الطبي: ثقافة الصحة والمرض"، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2006.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

Adong, H.: "Knowledge, Perceptions and Practices in Pregnancy and Childbirth in Uganda: An Exploratory Study of Nangabo Sub-County, Wakiso District, Uganda" (Doctoral dissertation, Makerere University, Kampala). 2011.

Hrdy, D. B.: "Cultural Practices Contributing to the Transmission of Human Immunodeficiency Virus in Africa". Review of Infectious Diseases, 1987. 9(6), 1109-1119.

Kafuko, A. & Bukuluki, P.: "Qualitative research in Uganda on Knowledge, attitudes and practices concerning alcohol. Health Communication Partnership" (HCP). Afford Project, Young Empowered and Healthy (YEAH). 2008.

Malathi, G., Sharada, & Geroge, A.: "Socio- Cultural Perspectives on Health and Illness", Nitte University Journal of Health Science, 2(3): 61: 67, 2012, retrieved from: <http://nitte.edu.in/journal/SepSplit/spohai.pdf>, at: 20 January 2015.

Naamara, W., & Muhwezi, W. W.: "Factors associated with alcohol dependence among adult male clients in Butabika Hospital, Uganda". Journal of social work practice in the addictions, 2014, 14(3), 322-326.

Ntale, C.: "Drinking into Deeper Poverty: The New Frontier for Chronic Poverty in Uganda", chronic poverty research center, Policy Brief No.1, 2007. Retrieved from: <http://iogt.org/wp-content/uploads/2015/03/Drinking-into-deeper-poverty-Uganda-policy-brief.pdf>, at 6 February 2016.

Nudelman, A.: "Gender-Related Barriers to Services for Preventing New HIV Infections among Children and Keeping Their Mothers Alive and Healthy in High Burden Countries: Results from a Qualitative Rapid Assessment in the Democratic Republic of Congo", Ethiopia, India, Nigeria and Uganda, UNAIDS. 2013.

Otiso, K.: "Culture and Customs of Uganda", Greenwood Press.. 2006.

Schaffer, J.: "Alcohol use and abuse of youths in Kampala" (Doctoral dissertation, uniwienn). 2012.



UYDEL: "State of Alcohol Abuse in Uganda: Young people drinking deeper into poverty", Kampala: Uganda Youth Development Link. 2008.

Wilcken, A., Keil, T., & Dick, B. "Traditional male circumcision in eastern and southern Africa: a systematic review of prevalence and complications". Bulletin of the World Health Organization, 2010, 88(12), 907-914.

النزعة الماركسية في فلسفة سمير أمين الإقتصادية

الباحث سفيان بقاش/جامعة الجزائر2

ملخص:

لم تمت الفلسفة الاشتراكية الماركسية اقتصاديا بمجرد انهيار المعسكر الشيوعي، وإن فخ الرجعية هو ما وقع فيه سيد قطب وغيره من الإسلاميين من خلال تفكراتهم المغلفة بالإسلامية الإصلاحية الأبدية الراضية للنقد؛ التي تعتبر ما لا يتماشى وأقولها أنه عداء وكفر في كثير من الأحيان، إن تلك الهموم مع غايات سمير أمين تأتي نظريته حول المركز والمحيط التي يقع العالم العربي تابعا للمركزية الغربية تحت الزعامة الأمريكية، والتحرر من تلك التبعية هو غرض الاقتصاد والأيدولوجيات الاقتصادية الماركسية، والتغيرات الراهنة في ظل ما يسمى بالربيع العربي الذي شهدته مصر بداية من سنة 2011 بعد ركود سنوات إنه في حقيقته يحمل فآل خير من أجل مصر تقدمية تتحرر من القيود التي فرضها عليها قادتها السابقين في تلك الفترة، وعلى الرغم من انتقادات برهان غليون وجورج طرابيشي لما يقترحه سمير أمين بشأن إقصائه لعامل الدين اقتصاديا واجتماعيا و فشله في تكوين مشروع فلسفي عربي أوقعه في مصيدة المحيط التي كلف نفسه عناء تحرير العرب منها، فإن سمير أمين بروحه الوطنية القومية حاول أن يجعل العلاقات الإنسانية بما فيها العربية ترتقي لمستوى العالمية الاشتراكية التي تحترم الخصوصية المندمجة مع العولمة الكونية، ذلك أن الاقتصادي الإصلاحي هو الماركسي، والماركسي لن يكون ماركسيا إلا إذا بدأ حيث انتهى ماركس، وفكر خارج حدوده التي بناها هو وأتباعه السابقين، ليس بالقطيعة بل بالبناء والترقيع والنقد المتواصل المفتوح.

الكلمات المفتاحية: سمير أمين، الماركسية، فلسفة، اقتصاد.

مقدمة:

في ظل الأوضاع الراهنة التي تعرف تغيرات سياسية تبعثها تغيرات اقتصادية واجتماعية، رغم أن مثل هذه التغيرات ليست بجديدة؛ لأن وضع العالم معروف بالتغير والتقلب في أحواله منذ أن خلق وخلق معه الإنسان، وما يعيننا من هذه التغيرات الحاصلة هو آخرها وما هو معاصر منها داخل البقعة العربية، وكأي تغيير لا بد من مروره على مشرحة فكرية تحلل عناصره لاكتشاف بنيته حتى يمكن التنبؤ بانعكاساته المستقبلية، والمشرحة الفكرية لا يقوم بها إلا مفكر، وهو ما قام به سمير أمين اقتصاديا، مستعينا في ذلك الماركسية كأداة لتحليل الوضع الاقتصادي العربي المعاصر، ووجود مثل هذا النشاط لم يكن إلا باستدعاء من طرف واقع معين فرض نفسه على العقل المنتج للأفكار، ليستجيب هذا العقل بمعطيات يحاول أن يجعل منها أكثر انطباقا مع الواقع وأكثر استجابة لمتطلباته، وبما أن الماركسية كانت هي الاستجابة التي قام بها سمير أمين اقتصاديا، فلا بد أن يكون لذلك مبرره، ومبرره هو التغيير، وهذه هي الوظيفة التي تجعل من سمير أمين يلتقي مع ماركس حتى انخرط معه في ذات التوجه الفكري، لكن ماذا بعد هذا التوجه؟ إلى أين يريد أن ينتهي بنا سمير أمين في الطريق الذي أخذه عن ماركس؟ بل ومن أين بدأ؟ وهل القول بأنه سمير أمين ماركسي الاتجاه يعني أنه إعادة ارتداء لنفس عباءة ماركس أم أنه إعادة ترقية لتلك العباءة؟ أم أنه اتجه لغاية جعل تلك العباءة شيئا آخر؟ المفارقة العجيبة أن سمير أمين يستعين بالماركسية إلى غاية القرن الحادي والعشرين في عصر هيمنت به الإمبريالية والرأسمالية الغربية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية التي ألحقت هزيمة أيديولوجية لذلك الفكر الإشتراكي الذي مثله قطب آخر بزعامة الاتحاد السوفياتي، والذي انهار بشاهد تاريخي أمام العالم معلنا عن فشل الماركسية الاشتراكية بزعمائها القيايين في العالم، وعليه ما الجدوى من عودة الماركسية في بيئة عربية بعد الانهيار الذي شهدته عالميا؟ لماذا يستدعي سمير أمين هذا التوجه متمسكا به حتى بعد انهياره عالميا وبعد تخلي النظم العربية عنه لتتخرب في التوجه الإمبريالي الرأسمالي الأمريكي في العالم؟ ما داعي التفكير اقتصاديا بشكل ماركسي رغم هشاشة استهلاكه وتبخر واقعيته يوما بعد يوم؟

1- ماذا يعني أن تكون ماركسيا؟

يجيب سمير أمين عن هذا السؤال بالعبارة التي وضعها عنوانا لمقدمة كتابه " قانون القيمة المعولة" والتي جاءت بالصيغة التالية: "ماركس بلا ضفاف"، وهو يعني من خلال هذه العبارة أن الماركسي هو الذي لا يتوقف عند ماركس، لا ينته إلى ما انتهى إليه، بل هو الذي يتخذ من ماركس نقطة بدايته لمواصلة مسيرته إلى مالا نهاية حسب ما يقتضيه الواقع الذي لا ينته بتغيراته التي تطرأ عليه، الماركسي هو الذي يغذي نفسه بنفسه، أي أن يحرص على نقد ذاته باستمرار من أجل انتاج ميادين فكرية جديدة هدفها مصلحة الإنسان؛ وهذا هو المعنى الذي يتضمنه قوله التالي: <<أن يكون المرء ماركسيا يعني استكمال العمل الذي بدأه ماركس، حتى وإن كانت تلك البداية في منتهى القوة، إنه لا يعن التوقف عند ماركس، بل البدء من عنده. وماركس ليس نيبا جميع استنتاجاته جميعا "صحيحة" و"نهائية"، وعمله ليس نظرية مغلقة، فماركس "بلا ضفاف"، لأن الانتقاد الذي بدأه بلا ضفاف، يحتاج دوما للاستكمال والانتقاد (...). والماركسية يجب أن تغني نفسها دائما بالانتقاد الجذري، وأن تعتبر أية تجديدات ينتجها النظام كميادين جديدة للمعرفة الإنسانية>>¹.

الماركسية إذن ليست تقليدا بل تجديدا، أو بالأحرى إعادة صياغة جديدة لفكر ماركس حتى يبقى حيا في كل زمان، وهذا ما ينبغي على الماركسي أن يتحلى به مهما آمن بقوة وشدة تماسك أفكار كارل ماركس وماتوصل إليه مجمل الفكر الماركسي، وعبارة أخرى ما يريد أن يقوله لنا سمير أمين بعبارة أخرى " الفكر الماركسي فكر مفتوح واسع الأفق، غير قابل للنهية عند حد ما".

¹ سمير أمين، قانون القيمة المعولة، ترجمة سعد الطويل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012، ط1، ص14.

إنه بهذا المعنى يوجه نقدا ضمنيا لكارل بوبر الذي يصف ماركس بأنه أحد أعداء المجتمع المفتوح إضافة إلى أفلاطون وهيكل، خاصة وأن كارل بوبر يذهب إلى اعتقاد أن ماركس ناقض مبادئه، فبدل أن يثور على فلسفات غيره ثار على فلسفته ربما من حيث أنه يدري أو لا يدري، فهو كسقراط وكانط آمن بأن عقل الإنسان مبدأ جوهرى لوحدة النوع البشري، إلا أن ماركس وقع فيما وقع فيه هيكل الذي سعى لقلبه لينقلب معه بالوقوع في براغماتيته التي عجلت بانحطاط معتقده مشكلا تهديدا لكل من اليمين واليسار، لقد طرح ماركس أسئلة اقتصادية واجتماعية عقلانية، وهي أسئلة كانت تتحرك بصعوبة لمقاومة اللاعقلانية في التاريخ التي ظلت ذات ملامح غامضة، لتتحول تلك الأسئلة إلى آلات هجومية على نسقها الفلسفي، هذا الحكم قد تقرر ليس فقط مع ما وقع فيه ماركس، وإنما قبل اللحظة الماركسية التي برز فيها الصراع بين العقلانية واللاعقلانية ليتحول هذا الصراع بعد ذلك إلى أكثر المواضيع أهمية فكريا وقيمية، وتم تأكيده مع اللحظة الماركسية، بل وصار موضوع هذا الزمان لدرجة تفاقمه الذي فرض هيمنته على الساحة الفكرية، وبما أن ماركس قد وقع فيه فإن ذلك يعني أيضا الساحة الماركسية، استمرارية هذا الصراع دليل على غموض الحمولة الدلالية لكليهما¹.

عداوة ماركس للنمذجة المعرفية المفتوحة وللمجتمع المفتوح حسب ما يفرضه التحليل السابق، يكمن في أنه يقدم نسقا معرفيا قائم على التناقض الذي يعمل وفق مفاهيم مستغلقة على ذلك النسق الذي يتعامل معها تعاملًا أعمى، يجهل أعماقها المعبرة عن جوهرها الذي ينبغي أن يفترضه النسق الفلسفي الماركسي.

يتسم الماركسي بالاستقلالية وهذا ما ميز المدارس الماركسية بعد ماركس، التي اتخذت تأويلات ضد ماركس وأخذت توجهات وفروع دارت بينها مواجهات حادة، إنهم ماركسيون رغم أن الماركسية بصيغتها التقليدية تصفهم بأنهم منحرفون.

يرى سمير أمين في الماركسية إضافة إلى الكينزية إحدى أدوات التنمية المساعدة في بناء مشاريع الاجتماع البشري نظرا لما تقدمه من استراتيجيات، وامتلاك مثل هذه الاستراتيجيات يتطلب امتلاك قدرة على تحليل النظام، إضافة لما يفرضه من نقد اجتماعي وللمشاريع المقترحة التي ينبغي أن تتلائم مع أهدافها، وبعبارة أخرى تلاؤم الفكرة مع تجسدها في الواقع².

تلاؤم الفكرة مع واقعها يوجي بذلك الإعجاب بفلسفة ماوتسي تونغ التي لبّت مطالب الشعب الصيني نتيجة تطوير المنهج المادي، إن عملية التنمية وانطباق أفكار مشاريعها مع واقعها يقتضي منهجا مناسباً وهو منهج المادية الجدلية³، المنتهى المراد لدى الماركسيين ليس عالم الأفكار بل هو عالم تشيئ الأفكار في الواقع الذي يعكس العبرة من كل فكرة وإلا ظلت حبيسة أيديولوجيا فارغة من المعنى، فوظيفة الماركسي في نهاية المطاف هي تغيير العالم وليست تغيير الأفكار، إذ قد يكون من الأفكار ما يعجز عن تغيير العالم رغم تغيرها لأنها في تلك الأحوال لن تمس سوى عوارض هامشية من حياة الإنسان، إنها دعوة ماركسية منطوية لأن مجال الإنسان الذي يمارس فيه ما يعبر عن جوهره هو العالم المادي وليس العالم الفكري، وهذا العالم الأخير إن كان موجودا ومخلوقا فما خلق وتم ممارسة النشاط فيه إلا لخدمة الواقع المادي الموضوعي.

أن تكون ماركسيا يعني أن تمتلك أسلوبا قادرا على تحقيق تنمية، أي أن تكون فاعلا، وفعالية الماركسية ما يدل عليها هو سيطرة فلسفتها بمؤسسها ماركس على القرن العشرين، ويظهر إعجاب سمير أمين بماركس وكينز جليا في كتابه "الاقتصاد السياسي للتنمية في القرنين العشرين والواحد والعشرين" أين يقول: >> ليس عجيبا أن يسيطر ماركس وكينز على الفكر

¹ K.R.Popper, The open society and its enemies, volume 2, George Routledge and sons . LTD, London, p 212.

² سمير أمين، الاقتصاد السياسي للتنمية في القرنين العشرين والواحد والعشرين، ترجمة فهيمة شرف الدين، دار الفارابي، لبنان، 2002، ط1، ص 47.

³ مجموعة من الأكاديميين العرب، موسوعة الفلسفة العربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2014، ط1، ص 430.

الإجتماعي في القرن العشرين (...). ماركس وكينزي قدما هذه الوسائل لذلك كانا الشخصيتين المهيمنتين على القرن العشرين¹. والقصد من الوسائل هنا هو وسائل التنمية، يبدو أن هدف الماركسي هو الاقتصاد، ولذلك ليس غريبا أن يرى مفكر اقتصادي أولا وقبل كل شيء مثل سمير أمين في الرجل الماركسي رجل اقتصاد، ولعلنا يمكن أن نستنتج سمير أمين بعد ما قيل هنا بأن الإقتصاد هو العلم الأول بالنسبة إليه، ونحن هنا لا نريد أن نجازف بالقول أنه علم كلي بالنسبة إليه يقود عالم الأفكار والأشياء على السواء رغم أن توجهه في الكتابة والتفكير يقود إلى هذه الفكرة.

2- قراءة سمير أمين لفلسفة ماركس:

من خلال تعليقه على كتاب "رأس المال" يرى أن الخطاب الاقتصادي ينبغي أن يرتبط بالخطاب الاجتماعي لأنه خطاب لا يقع خارج التاريخ، وبالنسبة إليه فإن انتقاد الاقتصاد السياسي الذي تضمنه الكتاب لا يقصد ماركس من خلاله تدمير نظام ليحل محله نظام آخر، بل إنه ند يتضمن دعوة لإصلاح الاقتصاد السياسي معرّفيا بعد الكشف عن أوجه النقص فيه والمعبرة عن طبيعته البرجوازية المحدودة². إذن لا قطيعة بين النظم الإقتصادية فأن تقطع نظام لتشكيل نظام آخر يعني ضرب المنطق الجدلي الذي تطورت بموجبه النظم السابقة، المنطق الطبيعي الذي تتطور بموجبه المجتمعات وتتحرك به اقتصاديا لا يغيب عنه قانون الصراع بين فئاته الإجتماعية فالمجتمع في النهاية بنيته محكوم عليها بالحركية والديناميكية ليستمر كيانها وهذه الديناميكية لا تتحرك بشكل قائم على الاستقرار المطلق فطبيعته تطلب دائما التغيير وهو تغيير يقصد الإصلاح بحثا عما هو أفضل لعالم أكثر فضلا حتى وإن توقف عند عالم أفضل.

يريد ماركس من خلال خطابه ربط علم الاقتصاد بالمادية التاريخية، والوسيط في ذلك علم المجتمعات المبني على فكرة أن هناك صراع بين الطبقات، وهذا الصراع هو ما يحرك التاريخ، هذا الصراع تحكمه قوانين اقتصادية، وسمير أمين يحاول في مشروعه أن يبين كيف ترتبط تلك القوانين بذلك الصراع ضمن الرأسمالية، ومن منطلق أن المادية التاريخية هي جوهر الماركسية فإن قوانين الاقتصاد تظل خاضعة لذلك الشرط، وفي ظل الانتاج الرأسمالي تأخذ تلك القوانين وضعا آخر، لأن ظهورها ارتبط بظهور النظام الرأسمالي للإنتاج، وهذا يعني أن قوانين الاقتصاد ذات صبغة رأسمالية تمتع بوجود موضوعي وتخضع لقانون القيمة³. إذا كان العامل الإقتصادي يستمد شرط حركته مما هو إجتماعي فإن أصل الجدلية القائمة هو المجتمع، وليس الإنسان كفرد منعزل عن غيره بل الإنسان كمتواجد له علاقة مع غيره من بني جنسه في إطار عملية الإنتاج الجماعي ومردود هذه العملية الذي ينعكس على مجموعه إما بالرجعية أو التقدم في مختلف ما يمسه من مجالات بما في ذلك السياسية.

إطلاع سمير أمين على الفكر الماركسي منذ أطوار سنّه الأولى قاده إلى أنّ ماركس يفترق في فلسفته إلى وجود تحليل عالمي للرأسمالية، كما لم يربط بين السلطة كرمزية سياسية وبين الاقتصاد، هذا القصور سببه أن عمل ماركس لم ينته، ولذلك فليس حلا أن نبتعد عن ماركس إذا ما وقفت أفكاره موقف العجز أمام بعض المسائل وفي حال ما إذا لم نجد إجابات شافية لديه، وهذا ما فعله سمير أمين حين لم يجد إجابته بشأن قضية "التخلف" في مجتمعات آسيا وإفريقيا المعاصرة، لذلك فمن الواجب أن لا نشعر بالافتقار الذاتي فكريا أمام ماركس، إن مواجهة الاقتصاد البرجوازي لا تعتمد فقط على الأسلوب النظري، فماركس اعتمد في مواجهته على عدّة من الوقائع المنظمة، هذه الوقائع يرى فيها سمير أمين يجب أن تخضع بشكل ضروري

¹ سمير أمين، الاقتصاد السياسي الاقتصاد السياسي للتنمية في القرنين العشرين والواحد والعشرين، المصدر السابق، ص 47-48.

² سمير أمين، قانون قيمة المعولة، المصدر السابق، ص 14.

³ المصدر نفسه، ص 14.

لقابلية في التجميع من أجل كشف المسار المعولم للرأسمالية. وبالنسبة إليه تعتمد المادية التاريخية على ربط بين السياسي والاقتصادي¹، ويبدو أن السياسي في قراءته يشمل ماهو أيديولوجي وثقافي.

قراءة ماركس كانت دافعا لابتكار سمير أمين مجموعة من المفاهيم التابعة للماركسية مثل مفهوم: نظام الانتاج الخراجي، قانون القيمة المعولة.... الخ، والمحاولة في وضع هذا المفهوم الأخير ارتبط بمحاولة ماركس التي انتهت باكتشاف قانون القيمة الخاص بالرأسمالية وارتبط بما يفرضه واقع التنمية المعولة غير المتكافئة .

لقد أدرك ماركس دينامية عمل الرأسمالية من خلال نقدها، ليكون بذلك مغبرا لاكتشاف خصائصها الرئيسية، كقدرتها على تجاوز تناقضاتها، وهذا التجاوز لا يعبر عن التخلص من تلك التناقضات أو تقليص من حدتها، بل إن الرأسمالية بتقدمها وبتجاوز تناقضاتها تزداد تلك التناقضات حدة في كل تطور، بالتالي فإن الهمّ يتعلق بكيفية تجاوز الرأسمالية، وهذا جزء من الأسئلة الجوهرية التي طرحها ماركس حسب سمير أمين، وللاستقراء التحديات المعاصرة يستحضر سمير أمين ماركس ويأخذ منه فكرة أن الاستلاب السلعي له علاقة بإعادة إنتاج المجتمع في كليته دون أن يقتصر فقط على النظام الاقتصادي، وهذا يفسر سبب اعتبار الاقتصاد علما في الرأسمالية، وهذا دليل على هيمنة قوانينها على المجتمعات الإنسانية الحديثة وكأنها قوانين طبيعية، ومعنى هذا تجذرها على مستوى الوعي الاجتماعي، وهي في نهاية المطاف نتيجة علاقات إجتماعية يكونها الرأسماليون داخل التاريخ².

الفهم الإجتماعي أو بالأحرى لب الفلسفة الإجتماعية عند سمير أمين وبالمقابل أيضا ماركس هو الإقتصاد، وإن كان سمير أمين يحاول ان يصنع آلة نقد المجتمع والنظم من خلاله فإن عملية الإصلاح تظل نسبية لأن الرأسمالية إن سعت بذاتها لتجاوز ذاتها فإن وجه القصور في النظام يظل قائما وإلا انتهى التاريخ وانتهى الجدل القائم ضمنه، وهذا يعني انه لا عبرة من آليات المنهجية المادية الجدلية لأن الحال سيغرق في ثبات ومطلقية يستحيلان أن يتحققا إلا في عالم المقل المفارقة غير القابلة للتجسد الموضوعي لا سيما إذا تعلق المر بعالم المادة التي هي طبيعة موضوع علم الإقتصاد.

إن الاستلاب السلعي هو أساس التمييز بين القيمة والسعر، ووضع في إطار النقد الاستمولوجي لنظريات الاقتصاد السياسي وفي ظل هذا النقد برز مصطلح الاستلاب السلعي على يد ماركس للتعبير عن السمة التي تميز المجتمع الرأسمالي. يضاف إلى هذا أن النقد الاجتماعي الذي وجهه ماركس للمجتمع الرأسمالي يتأسس على مفهوم أنثربولوجي انتقل منه إلى نقد ملموس لذلك المجتمع، وما يثيره سمير أمين حول هذا المفهوم هو أنه غير مفهوم لأنه ورد في ظل نقد الاقتصاد السياسي من طرف ماركس، وماركس في كتاباته حاول أن ينسى بشكل ما هذا المفهوم، وما يدل على وجود هذه المشكلة المثارة هو عدم توقف الأطروحات الماركسية في تأويلها للاقتصاد السياسي كما أن الكثير من الماركسيين في نظر سمير أمين لا يزالون يتجاهلون هذا المفهوم "الاستلاب السلعي"، أما ألتوسير فخطواته تقول برفض هذا المفهوم والأخذ بالاقتصاد السياسي على نحو إيجابي، وضمن الجدلية القائمة بين البنية التحتية والفوقية التي تتميز بها فلسفة ماركس وحتى يكون فهنا لهذه الجدلية في مستوى الكمال يجب إدراك موقع الاستلاب السلعي ضمن هذه الجدلية التي تعبر فيها عن الأيديولوجية الرأسمالية، أين تكون الأيديولوجيا انعكاسا لحاجيات البنية التحتية وعلى أساس تلك الأيديولوجيا تتحرك القوى الاجتماعية وبكيفية يتطور المجتمع، وإدراك العلاقة بين البنيتين يقتضي توسط الاستلاب السلعي كونه الرابط بينهما من منطلق دعوته لفهم تلك

¹ المصدر نفسه، ص 17.

² سمير أمين: الاقتصاد السياسي للتنمية في القرنين العشرين والواحد والعشرين، المصدر السابق، ص 48.

العلاقات القائمة بينهما، وفهم هذه العلاقة يوفر لدينا إمكانية تحديد الموضوع العام للأيديولوجيا ضمن المادية التاريخية إن الاستلاب السلعي يعبر عن شكل تأخذه الأيديولوجيا الرأسمالية¹.

3- في مشروع سمير أمين الاقتصادي والاجتماعي:

يركز ضمن مشرعه على مفهوم قانون القيمة كما حدده ماركس في الجزء الأول من كتاب "رأس المال"، فاعتمادا عليه يتكون مفهوم تراكم رأس المال، ولذلك فالعودة إلى الواقع دائما تستدعي منا استحضار هذا المفهوم، وعليه فإنه مفهوم مركزي ضمن النسق الماركسي²، لكن سمير أمين ينتقل بنا من قانون القيمة كما حدده ماركس إلى قانون القيمة المعولمة، هذه هي الإضافة الرئيسية التي يضيفها سمير أمين حسب رؤيته، حيث يقول: «وإضافتي الرئيسية تتعلق بالانتقال من قانون القيمة إلى قانون القيمة المعولمة، على أساس التراتب المعولم لأسعار قوة العمل حول قيمتها. وعولمة القيمة هذه، وبجانها الممارسات المتعلقة بالحصول على الموارد الطبيعية، هي أساس الربع الإمبريالي، وأدعي أن هذا هو المحرك للتناقضات الفعلية للرأسمالية/ الإمبريالية كما هي في الواقع، والصراعات المرتبطة بها التي تشتبك فيها الطبقات والأمم بكل الارتباطات المركبة الخاصة بها»³

قانون القيمة ينكشف من خلال استقراء الصراع والتناقض الموجود، ويحاول سمير أمين جعل الماركسية متعايشة مع عصر العولمة حتى تكون صالحة لقراءة الواقع المتجدد باستمرار والسائر نحو طريق التغيير، بالتالي على الماركسية أن تكون ديناميكية تتساير مع معطيات الواقع وديناميكيته، وأن تتعاطى معها حتى وإن بدت معارضة، ودخول الماركسية بتبنيها موضوع العولمة الذي هو بالأساس أثر رأسمالي أمريكي ليبرالي قضى سابقا على الاشتراكية السوفيتية المتبنية للماركسية، يعني أن سمير أمين يحاول إقحام ماركسيته لترويض المفاهيم الليبرالية حتى تكون ذات صبغة ماركسية اشتراكية، إنه بعبارة أخرى يدعو إلى عولمة اشتراكية.

التحول إلى القيمة المعولمة هو ما يسمح لنا بقياس حجم الربع الإمبريالي وفهم العالم بتحليل واقعي للرأسمالية، واعتمادا على هذا الفهم يمكن لنا تحليل الواقع ومن ثمة تغييره باستراتيجية تمكننا من ذلك، وهذه العملية ليست بمستوى النظريات الوضعية التجريبية التي تعتمد فقط على فهم العالم، وبعجزها لن تقدم لنا كشافا عن تلك التحديات التي تعترض العمال وشعوب العالم، وهذا معناه أنها لا تملك قوة التغيير، أما بخصوص النظام الرأسمالي القائم فهو لا يسع لتجاوز نفسه بنفسه، بل يتفوق على ذاته باحثا عن مبررات تعطي مشروعية لمبادئه وتحليلات تخص كيفية إدارته، إنه لا يتجاوز الرأسمالية لأنها بالنسبة إليه "نهاية التاريخ"، وقانون القيمة يلعب في مجال العلاقات الدولية دورا رئيسيا لأنها هي التي تتحكم به ويخضع لتطوراتها، إنه يتأثر بتلك الصراعات التي تتخلل تلك العلاقات بين المجتمعات الإمبريالية والرأسمالية المعاصرة⁴.

يعتقد إلى جانب قراءته لماركس أن المجتمع يتميز باختلال عضوي في حركته، وهذا الاختلال مستمر، وأن اقتراح النظم الاقتصادية لا يمكنه أن يقيم حدا لها، لأن النظام الاقتصادي لا يميل لتحقيق التوازن الذي نبحث عنه، لأنه بشكل ما يحيلنا إلى لا توازن آخر، والسبب أن النظام الاقتصادي قائم على التنافس والصراع بين الرساميل، إن الرأسمالية بعبارة أخرى هي للاستقرار ولا يمكن تصور رأسمالية بعيدة عن إثارة أزمات خاصة السياسية⁵.

¹ سمير أمين، علاقة التاريخ الرأسمالي، بالفكر الأيديولوجي العربي، دار الحداثة، لبنان، 1983، ط1، ص ص 31-34

² سمير أمين، قانون قيمة المعولمة، المصدر السابق، ص ص 18-19

³ المصدر نفسه، ص 19.

⁴ المصدر نفسه، ص 20.

⁵ سمير أمين، الاقتصاد السياسي للتنمية في القرنين العشرين والواحد والعشرين، المصدر السابق، ص 49.

تواجد مجتمع يتمتع بالاستقرار هو نوع من اليوتوبيا اللامعقولة في الحركة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ولذلك فمهما كان نوع الإصلاح الاقتصادي فإن هذا الإصلاح يقربنا نحو الاستقرار، لكن باقتراح تغيير بديل يكون أقل حدة من الوضع السابق وهو وضع قابل للرجعية ما لم تستمر حركة التغيير في رحلة مقاربتها نحو ما أمنا به على أنه يوتوبيا، وبإلها من مفارقة حينما نؤمن بأننا لن نظفر بشيء لكننا نسعى لمحاكاته محاولين الإقتراب إليه إلى أقصى الدرجات قدر الإمكان، لكنها مفارقة تمثل مطلباً لكل العقول السليمة التي تجعل من الإنسان بمعناه قلب مشروع.

4- نقد الأيديولوجيا العربية والمصرية:

بالنسبة لسمير أمين فالأيديولوجيا هي إجابة تفرضها أزمة معينة تواجه القوى الاجتماعية، إنها منتوج لظروف تاريخية مرافقة للأزمة مستلزمة وجود أيديولوجيا كحل للمواجهة، أنها بعبارة أخرى إجابة عن المشكلات التي تعاني منها الجماعات التاريخية البشرية وتكون في شكل مشروع هدفها التغيير وتحديد رؤية للمستقبل تعين على تجاوز الأزمة، وميدان هذه المعارك التي تخوضها الأيديولوجيا هو التاريخ¹.

قد ننع في مآزق هل القرار لعالم المادة أم لعالم الأفكار؟ لا قيمة لهذا السؤال إذ أن كلاهما من الوجهة المنطقية السليمة يعبر كل منهما عن الآخر، وافترض أن هناك عالمين يعني تمايز أو انفصام الكيان الإنساني، إنه كيان واحد في نهاية المطاف يتوزع جهده الذي يمارس به إنسانيته بين ما هو صوري وبين ما هو مادي، وربما من طبيعة أخرى، لكنها في النهاية جميعاً ترتد لخدمة واقعه الموضوعي الذي يسعى للتوافق معه ثم الهيمنة عليه بعد صراع معه، فالنشاط المتجسد في عالم المادة حينما تواجهه أزمات كما هو الحال أمام نظمه الاقتصادية وما يترتب عنها من إفرزات ستستدعي القوة الاجتماعية طلباً يعيد النظر في البنية الفوقية أو صناعة أيديولوجيا قادرة على صناعة واقع بديل يعين على تخطي الأزمات.

وضمن التاريخ توجد جماعة عربية تحاول أن تجد أيديولوجيا، منها أتباع الرؤية السلفية التي تقترح نموذجاً أبدياً مخالفتها يعني الوقوع في السوء وفيها تتخذ شكلاً دينياً، وهذا الحال على العموم يميز أي أيديولوجيا أخرى، في حال انتضامها ونجاحها فإنها مع مرور الوقت تتحول إلى تراث يأخذ نوعاً من القداسة أتباعه لا يختلفون عن الاتجاه السلفي، ومثال ذلك ما فعلته أيديولوجيا الأنوار البرجوازية عبر مشروعها الذي ترى من خلاله استقلال الإنسان بإرادته عن قوانين الطبيعة وخضوعه للمجتمع، وأسست فيما بعد لدين العقل مع الثورة الفرنسية. والأيديولوجيا الماركسية في حد ذاتها لا تختلف عن نموها نحو الطريق الذي أخذت فيه شكلاً سلفياً، الأيديولوجيا بهذا المعنى محكوم عليها أن تتحول إلى عقيدة يتبناها أصحابها لأنها تقترح كما يقترح الدين نظرة شاملة تتضمن الطبيعة والمجتمع والإنسان².

الأيديولوجيا بعد أن تتمركز فكرياً وواقعياً تسعى للدفاع عن وجودها فتتحول عبر أهدافها فبعد أن كانت تهدف لحل الأزمات تتحول في حد ذاتها إلى أزمة بعد أن تملك السيطرة والهيمنة على مجالها وأتباعها، وسبب الأزمة أنها تتحول إلى دوغما قد يصل بها حد التطرف إلى الإنغلاق على ما قد يعترضها من محاولات إصلاحية أو تجاوز فيصعب على أتباعها التخلي عنها لأنها صارت من قبيل العقيدة المترسخة والموجه لنشاط الجماعة التاريخية واقتراحها لنظرة شاملة كما يفعل الدين لا ينف جزئياً على الأقل طموح الأيديولوجيا في أن تتحول إلى ما يشبه الدين إن لم يكن الدين في حد ذاته.

لا بد من الاعتراف أن للوضع الاستعماري والقوى الرأسمالية أثر في تعرض مجتمعاتنا لمشكلات التنمية، وعلى العموم ما يميز المجتمعات سواء كانت رأسمالية أو اشتراكية هو وجود رقابة حول وسائل الإنتاج سواء كانت خاصة أو اجتماعية.

¹ سمير أمين، علاقة التاريخ الرأسمالي بالفكر الأيديولوجي العربي، المصدر السابق، ص ص 61-62.

² المصدر نفسه، ص ص 62-63.

وحيثما نسلط الضوء على كتابات المفكرين الإسلاميين من أمثال "سيد قطب" نجد أنه ينظر إلى ذلك المنتج جعل من المجتمعات العربية المعاصرة غير إسلامية لأنها تبنت جوهرًا ليس إسلاميًا، وهذا ما جعل من تلك المجتمعات تنزع نزوعًا ماديًا مبتعدة عن الأخلاق، أما بالنسبة لموقف سمير من هذه الرؤية فإنه يعتبرها رؤية سطحية تعبر عن موقف إسلامي سطحي، وفي نفس الوقت يعبر عن موقف الكثير من المسيحيين والبوذيين، ودليل سطحية ذلك التحليل يكمن في أنه يتجاهل قيم أثمرها العالم الحديث تعبر عن حرية الإنسان وفلسفة الأنوار والإشراكية وعلى الإسلام حسب هؤلاء المفكرين السلفيين أن يحرق المجتمع من ماديته، إنه موقف يعكس من ناحية أخرى جهل هذا النوع من السلفيين بالوقائع غير الدينية وذلك يترتب عنه جهل بالواقع الوطني والنص، يضاف إلى هذا بخصوص نقد سمير أمين لسيد قطب أنه يستنكر منه هجومه على هيكل الذي اهتم بدراسة الدولة العربية وأنكرها قطب، إذ لا توجد دولة سوى الدولة الإسلامية، إنه نقد يفتقر لأي نقطة تدعو للإثارة إذ لا خطأ في ما توجه إليه هيكل لأن تلك الدولة الإسلامية التي يتحدث عنها قطب هي أيضًا دولة عربية¹.

إن السبب الذي كرس التبعية وأبعد المجتمعات العربية عن تحررها سياسيًا واقتصاديًا يكمن في سبب اقتصادي هو النفط الذي كرس الوهم لدى العالم العربي موقعًا إياه في فخ الاندماج بالنظام الرأسمالي العالمي ليس كندًا أو مماثل للقوى المندمج بها بل كتابع². أي أن التبعية لم تفرض على المجتمعات العربية بشكل خارجي بل هي تبعية نابعة عن قابلية داخلية من صميم المجتمع العربي نفسه الذي اغتر بما يملكه من ثروة نفطية اعتقد أنها علامة قوته العالمية لكن إذا ابتعدت المادة عن استراتيجية قوة تنظيمية سيكون المجال التنظيمي لتلك الثروة مفتوحًا أمام تنظيم آخر مغاير يقوم بملء الفراغ الاقتصادي الذي خلفه النظام الاقتصادي العربي الغائب لغياب استراتيجية محكمة وهذا ما يعرض المجتمع العربي للعيش على الهامش بدل المركز رغم امتلاكها لما قد يجعله يخطو اقتصاديًا خطوات تقدمية وهذا التغيير لن يتمثل إلا بتغير أيديولوجي.

أما بالنسبة للواقع العربي الذي يسعى لتحقيق الوحدة العربية، فإنه واقع كان نصيبه الخذلان الذي منحه الإمبرياليون بداية من صراعاتهم ضد الأتراك 1914م ثم فيما بعد حينما استغل الانحلال المشاعر المرافقة لهذا الشعور لطرده خصومهم الفرنسيين من سوريا ولبنان، لقد كانت الهيئة الممثلة لمشروع الوحدة العربية فيما بعد جامعة الدول العربية، إلا أنها كانت تقدم خدمات للقوى الإمبريالية مما أثار جدلًا حول مشروعها ما إن كان تقدميًا أو رجعيًا، الجدل حول هذه المسألة ليس بدرجة من الأهمية أمام ما ترتب فيما بعد حينما اتجه إقطاعيو العرب إلى الحرب بدل القبول بقرار تقسيم فلسطين، إذ هم بهذا العمل هم في حقيقة الأمر ساروا مع الهدف الصهيوني الذي كان يريد تشتيت القوى المناهضة ضد الإمبريالية الإنجليزية، فكان الثمن توسع مساحة إسرائيل وخسارة فلسطين، وطرده العرب من أراضيهم، وفيما بعد تطاير البلب إلى مصر لكن هذا لا يعن أن تلك الجامعة لم تكن سوى الخسارة للواقع العربي، إذ أنها أثمرت ثمارًا جيدة حينما تحولت إلى أداة سياسية مناهضة للإمبريالية وأداة هدفها صناعة السلام، لتتوج جهودها في باندونغ بصناعة منطقة تجمع آسيوية أفريقية كمنطقة كبيرة للسلام³.

وإذا ما خصصنا رؤية سمير أمين للواقع العربي بتوجهنا إلى النموذج المصري الذي ينتمي إليه، فيرى بأن مصر قد مرت بمدين ثورين طويلين تخللتهما انهيار طويل، فالمد الثوري الطويل الأول عبرت عنه الفترة التي امتدت بين 1920 إلى 1967، أما المد الثوري الطويل الثاني فهو الذي بدأ مع ثورة مصر 2011، بالنسبة للمد الأول فقد تشكل الشق الأول منه منذ سنة 1920 إلى غاية سنة 1924 هي الفترة الأكثر تقدمية في مصر المعاصرة، إلى حين ظهور الارتدادات بعد 1924 نتيجة خيانة بعض

¹ المصدر نفسه، ص ص 80، 84، 86-87.

² المصدر نفسه، ص 124.

³ سمير أمين، قضايا الشيوعية المصرية، دار العين، مصر، 2014، د.ط، ص ص 143-144.

القياديين من أمثال سعد زغلول وبعده السعديون أين تم اغتيال الحزب الشيوعي والتيار اليساري داخل حزب الوفد، فظهرت الديكتاتوريات ليتم بعدها إنشاء منظمة الإخوان المسلمين¹.

أما بعد سنة 1946 فظهر تحالف طلابي مثل الطبقة الوسطى الديمقراطية مع الطبقة العاملة الشيوعية ضد الاستعمار، ولصالح صدقي باشا كانت خيانة الإخوان المسلمين للحركة، وأكثر من ذلك فسمير أمين يواصل لومه واتهاماته للإخوان المسلمين بحريق القاهرة وتديبرهم لمجموعة من العمليات الانقلابية في مصر كانقلاب 1952 و1954 وبدل أن تكون تلك الانقلابات بداية ثورية جديدة فإنها كانت إعلاناً لإنهاء المد الثوري لتدخل المجتمع المصري في مرحلة رجعية كرست الانهيار وأدخلتنا لآخر فصول المد الثوري، أما مع الفترة الناصرية بين 1952 و1956 وعلى أعقاب مؤتمر باندونج، حاول عبد الناصر أن يمنح لمصر صورة تجديدية لكنها كانت صورة زائفة أنهت الموجة الثورية، صحيح أن النظام المصري أنتج نظاماً معاداً للاستعمار كما حقق إصلاحات اجتماعية، لكنها ليست اشتراكية، إنها فوقية لا ديمقراطية، وفي غياب ذلك وانتهز الاستعمار الأمريكي والصهيوني لهذا الوضع ضُربت مصر سنة 1967 ففقدت مصر نفسها، وحينها اضطر عبد الناصر إلى انفتاح اقتصادي استمر مع أنور السادات لينتهي هذا الأخير بالانحياز والتبعية للولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، وهو الطريق الذي استمر عليه حسني مبارك من بعده، وانطلاقاً منذ سنة 1970 دخلت مصر في مرحلة نوم غاب فيها ميزانها العالمي مدة أربعين سنة إلى غاية 2011 أين بدأ مد ثوري جديد آخر يتفاءل به سمير أمين من حيث المكاسب التي تقبل أن تكون أفضل من المد الأول بفضل التوعية الحاصلة مرتبطة بالظروف المحلية والعالمية².

5- منهج المادة الجدلية التاريخية:

تبني فكرة المادة التاريخية على فكرة اقتصادية، على إنتاج المنتوجات ومن بين خصائصها القابلية للتبادل والتوزيع، وهذه الحركة هي حركة أساسية لأي نظام اجتماعي، واعتماداً عليها يتميز المجتمع عن غيره ويتميز بداخله منشئاً نظاماً طبقياً، وهذه الفئات التي تتحدد على أساس ما تنتج وكيفية ما تنتج هي الفئات التي يتضمنها التاريخ، وعليه ينبغي البحث عن أسباب التغيير الاجتماعي والسياسي ضمن نمط الإنتاج وتغييره وليس في التغيير العقلي للمجتمع، والسبيل إلى ذلك هو البحث في علم الاقتصاد الخاص بالعصر المراد تتبعه، علاقات الإنتاج وسياساتها المتبعة من طرف الدولة مع مرور الوقت بظهور طارئ ما عليها، فإنه لا يتم اكتشافه عن طريق العقل، وإنما بالعودة إلى وقائع الإنتاج المادية³، لا نقصد من هذا التعبير إقصاء العقل بل القصد هو تغيير وجهة العقل، فبدل اللجوء إلى نفسه للبحث عن العلة فإنه عليه اللجوء إلى الواقع المادي الذي تتمظهر فيه أساليب الإنتاج الاقتصادية التي تؤثر على تغير الوضع الاجتماعي للمجتمع بطبقاته وممثليه بل وبنيته عموماً ومن ثمة استقرارها.

يعتمد سمير أمين على المادة الجدلية التاريخية، بناء عليها أسس نظريته حول الإمبريالية والتبعية والتي تطورت إلى نظرية "المركز والمحيط" تحتل فيها مقولة التبعية محورا أساسياً، لأنها هي ما يعبر عن العلاقة القائمة بين المركز والمحيط، فالمركز هو الذي يمارس سيطرته على المحيط، وهذا الأخير هو تابع يفقد سيادته أمام المحيط، إنها علاقة قائمة على الاستغلال واللاتكافؤ بين المجتمعين أو المجالين اللذان يكون أحدهما مركزاً والآخر محيطاً، وهذا ما يعكسه الواقع بل وساعد عليه الكثير ممن فرّ من الماركسية متجهاً للتلهيل والترحيب بالليبرالية الأمريكية، وهذا خلافاً لسمير أمين الذي دعا إلى عولمة اشتراكية، وهو في ذلك يدعو للوقوف ضد الإمبريالية العالمية التي في ظلها هيمن البرجوازيون على حساب حقوق الطبقات المقهورة، ولفهم

¹ سمير أمين، ثورة مصر وعلاقتها بالأزمة العالمية، دار العين، مصر، ط1، 2011، ص 41.

² المصدر نفسه، ص 42-43.

³ فريدريك إنجلز، الإشتراكية: الطوباوية والعلم، إشراف سلامة كيلة، دار الفارابي، لبنان، 2013، ط1، ص 122-123.

هذه الواقعة المعبرة عن الدافع الرئيسي لبروز الفكر الماركسي لا بد من الاعتماد على المنهج الجدلي التاريخي لأنه المنهج الأنسب لتحليل وتفكيك وفهم المجتمعات القائمة على قوى وعلاقات إنتاج تتخللها تناقضات تجمعها وحدة دائمة¹.

إذن يقوم المنهج المادي الجدلي التاريخي على الإيمان بأن هناك صراع دائم بين طبقات عبر التاريخ وهذا الصراع هو مايسبب حركيته وسيورته وتوقف هذا الصراع يعني نهاية التاريخ - علما بأن سمير أمين يكره كلمة نهاية حسب ما صرح به لقناة فرانس 24 في حصة ضيف ومسيرة - بل وغياب وجود مبرر للماركسية أساسا.

لهذا فالتحليل العلمي يقتضي وجود صراع ضمن التاريخ، إضافة إلى تحديد طبيعة ذلك الصراع وكيفية عمله وآلياته، إنه المنهج المناسب للكشف عن تناقضات الأنظمة والتغيرات الطارئة، بناء على هذا المنهج أمكن لسمير أمين الكشف عن علاقة الشكل الراهن للرأسمالية بالعوامة².

بالتعبير الروسي يقابل عبارة المادية الجدلية لفظ "الديامات" "Diamat"، وتعتمد على رؤية شاملة تضم الطبيعة والإنسان والمجتمع، كمنتوج ماركسي فإن المادية التاريخية لها ميل نحو المطلق³.

المادية التاريخية سبيل به يمكن لنا ابتكار مجالاً يتميز عن مجال الطبيعة، أو العلم الطبيعي، ومن ناحية أخرى يمكن وضع القيم التي تمثل انعكاساً لوقائع إنسانية ضمن هيكل البناء الماركسي المزدوج بين بنية تحتية وفوقية، ولا ننس أن القيم جزء من الظاهرة الاجتماعية وهذه الظاهرة تختلف في الكيف عن الظواهر الطبيعية، ورغم هذا الاختلاف فإن هذا لا يعن غياب الطموح أو غياب المساعي في جعل الظواهر الاجتماعية تتبنى منهجا علميا، فهذه العملية هي التي هيأت في السابق لفلسفة الأنوار أرضية ملائمة لها، إنها عملية الميل نحو إقامة التماثل بين المجتمع والطبيعة وهو ما ميز فكر القرن التاسع عشر، وما شجع على ازدياد مثل هذا المحاولات هو نجاح العملية مع علوم اللسانيات وعلوم الإحصاء أين صار بالإمكان التنبؤ بسلوك الأفراد والمجتمعات وارتبطت العلوم الرياضية التجريدية بالعلوم الفيزيائية التجريبية، إن منطلق مثل هذه العمليات يعكس إيماننا بأن الإنسان يخضع لقوانين كما تخضع الطبيعة لقوانينها⁴، أي معاملة الإنسان معاملة مادية داخل إطار تاريخي وهذا ما يمثل جوهره، وهذا الجوهر هو ما ينبغي الاستعانة به في ابتكار المناهج الخاصة بدراسة الظاهرة الإنسانية التي تسير في فلك طبيعة مادية تاريخية.

6- سمير أمين بين بعض منتقديه:

سمير أمين ماركسي يقع خارج ماركس، لأنه بدأ حيث انتهى ماركس، فوق تجديد أطروحته فإنه يسعى لتصحيح بعض الأطروحات الماركسية مثل ما فعل في دراسته التي أشار إليها حول دور الائتمان في تحقيق التراكم، ونقد ماركس في فكرة تحديد معدل الفائدة وريع الأرض وهي محاولات يحيلنا فيها مفكرنا المصري إلى كتاب "التنمية غير المتكافئة"⁵.

يظهر من خلال القول السابق أن سمير أمين فيلسوف ماركسي، أو بالأحرى مفكر اقتصادي بالدرجة الأولى يحاول أن يبدو مجدداً، لكن لجورج طرابيشي موقف آخر، إذ أن محاولة سمير أمين في تأسيس فلسفة عربية هي محاولة كغيرها من المحاولات التي قام بها عثمان أمين من خلال الجوانية، وعبد الرحمان بدوي من خلال الوجودية أو غيرهم... لأنها محاولات مستحيلة،

¹ مجموعة من الأكاديميين العرب، موسوعة الفلسفة العربية المعاصرة، المرجع السابق، ص 429، 431.

² المرجع نفسه، ص 430.

³ سمير أمين، علاقة الرأسمالية بالفكر الأيديولوجي العربي، المصدر السابق، ص 63-64.

⁴ سمير أمين، من نقد الدولة السوفييتية إلى نقد الدولة الوطنية، مركز البحوث العربية، مصر، 1992، ط1، ص 105-106.

⁵ سمير أمين، قانون القيمة المعومة، المصدر السابق، ص 17-18.

فالعامل الذي قام به سمير أمين هو مجرد ترجمة وإعادة للفكر الماركسي الغربي لكن بصورة عربية¹. هذه النتيجة تحيلنا إلى أن التحرر الذي يسعى إليه سمير أمين إقتصادي لم يتموضع عليه فكريا لأنه أعلن عن تبعيته مباشرة وبشكل صريح بمجرد إعلانه عن ماركسيته وهو إعلان تبعيته لمركزية غربية فضل فيها البقاء على محيط الفكر ناهلا العظام منه في جو غياب الاستقلالية الفكرية العربية عن المركزية الغربية التي لا تكاد تملك بصمة تعبر عن خصوصيتها المعاصرة.

بخصوص موقف الماركسيين من أمثال سمير أمين حيال التراث العربي، يرى طرابيشي أن التراث حلبة صراع بين أجزائه نتيجة للنزعات الانتقائية من التراث، هذا ما قام به لينين قبل ذلك، لكن لينين لم يكن مفكرا بل كان مناضلا أخذ من تراثه فقط ما يلائم مشروعه، والماركسيين العرب في تعاملهم مع تراثهم العربي أحيوا ما قام به لينين مع تراثه، ومن الضروري في نفس الوقت أن نتذكر أنّ لينين قد تعامل مع التراث بوظيفية ولم يكن يهيمه منه حقيقته التاريخية. لقد ألقى على سمير أمين تهمة العدمية أمام التراث في ندوة "أزمة الديمقراطية في العالم العربي" وهذا ما قد يدفع بالقول أنه ماركسي بالهرطقة نتيجة ما ألقى عليه من لوم ربما هو نتيجة سوء فهم لفكر سمير أمين².

أما بالنسبة لبرهان غليون، فهو ينتقد رؤيته للدين الذي يقلل من شأنه سمير أمين من خلال نظريته الثقافية والدينية التي فيها يرى أن الأديان تتمتع بمرونة كبيرة وأن الدين يمثل العامل المشترك بين مجتمعات القرون الوسطى التي تمتلك بذلك نفس الخصائص، وهذه المرونة التي تتميز بها الأديان تجعل منها قابلة للتماشي مع مختلف الأنظمة سواء كانت رأسمالية أو اشتراكية أو إقطاعية، ونظرا لهذه المرونة فالدين لا جدوى من أخذه بعين الاعتبار في النظرة التحليلية للتحويلات الاقتصادية والاجتماعية إذ هو تابع بشكل تام للبنية الاقتصادية والاجتماعية، وفوق ذلك فإنه قد جعل من رؤيته هذه نظرية في الحضارة لا تقبل الخصوصية الثقافية، فمن الخطأ إزالة الاعتبار الديني في التحليل لأنها تلعب دورا كبيرا في تكوين القيم والهوية التاريخية، وما يؤكد دورها الاجتماعي وقوتها في الهيمنة الاجتماعية صمودها لفترات تاريخية طويلة، الدين عامل ينبغي السير في رواقه حين التعرض لأي خصوصية، كما هو حال نية التعرض لخصوصية الثقافة العربية الإسلامية³، وبخصوص مسألة نقد توجه سمير أمين بهذا الصدد يقول برهان غليون: «وبالعكس، يبدو لي أن سمير أمين يتجاهل الدين تماما، وهو يخطئ في نظري في رفض إعطاء أي دور للدين كما هو بارز في "نظريته" الثقافية والدينية التي ترى "أن جميع المجتمعات الوسطى تتميز بخصائص واحدة وأن الأديان ذات مرونة كبيرة" (...) فإذا كان الدين مرنا لهذه الدرجة وقابلا للتكيف مع جميع الأوضاع، فمن الممكن تماما تجاهله كمتحول في التحليل الاجتماعي لأنه يبدو في هذه النظرة تابعا تبعية تامة للبنية الاقتصادية الاجتماعية، ولا جدوى من إدخاله في الاعتبار التحليلي»⁴

نطرح سؤالاً هاماً هنا بخصوص الدين، هل يعن هذا أن سمير أمين يرفض اعتبار الدين كأيدولوجيا رغم أن ماركس يعتبره جزءاً من البنية الفوقية المعبرة عنها؟ القراءة السابقة تطلعنا على أنه لا يمكن رفض الدين كأيدولوجيا، قد لا يكون أيدولوجيا بحد ذاته من منطلق رفضه في التعامل معه كعامل تحول في المجتمع وسلب وظائفه ضمن الاجتماع الإنساني داخل حيزه، وإذا لم يكن الدين أيدولوجيا فإنه يدخل دون شك في صناعتها جزئياً لا كلياً، وربما هذا اللبس حيال مسألة الدين سيزول إذا ما تعرفنا عن نظرة سمير أمين للدين، والقول السابق ليس بالضرورة تعبير عن احتكار الدين بل قد يكون المراد منه تسليم سمير أمين أن الدين ظاهرة يستحيل أن تنعدم في المجتمعات، المجتمعات تتدين بفطرتها وإذا تحول الدين إلى مسألة بديهية فإنها

¹ جورج طرابيشي، هرطقات، دار الساق، لبنان، 2006، ط1، ص59.

² جورج طرابيشي، مذبح التراث في الثقافة العربية المعاصرة، دار الساق، لبنان، 2012، ط3، ص ص 13-15.

³ برهان غليون وسمير أمين، حوار الدولة والدين، المركز الثقافي العربي، لبنان، 1996، ط1، ص ص 72-73.

⁴ المرجع نفسه، ص 72.

تضحي نقطة غير قابلة للاخذ في التحليل، فموضوع الدين هو المفارق المطلق الخارج عن التاريخ واللاتين، ذلك المطلق المتعدد بين الأديان، الدين لا يرفض اجتماعيا، إنه في التحليل الاقتصادي والاجتماعي لا يناقش ولا يعتد، ليس ذلك لسبب نزعة عدائية للدين، بل من منطلق كونه اتجاه الإنسان نحو الله، وليس اتجاه الإنسان نحو المادة التي هي موضوعه الاقتصادي والاجتماعي في الإنتاج، خاصة وأن الشأن الديني خصوصية اجتماعية وفردية ليس بالضرورة أن تعمم كونيا فيتم جعله معيارا شاملا، وإلا تحولت الأزمة العالمية من طور اقتصادي سياسي إلى طور يشهد أزمات دينية نتيجة صراع ديني لا مفر منه حال أخذ الدين كمعيار شامل وعام ضمن الاقتصاد العالمي، وربما انتبه سمير أمين وأخذ في اعتباره كون أن العالم لا يعرف ديناً بل أديان، موقعها الخصوصية لا الكونية كعولمة، ومن العدل الإنساني أن لا تتجاهل الكونية الليبرالية وحتى الكونية الإشتراكية التي يدعو إليها سمير أمين مسألة تلك الخصوصية وحدودها في الممارسة العالمية.

خاتمة:

خلصنا في آخر تحليل إلى ملامح النزعة العلمانية مع ماركسية سمير أمين، وبغض النظر عن مسألة ما إن نجح سمير أمين في تأسيس فلسفة عربية أو لم ينجح، فإن ذلك لا يعيننا قدر اهتمامنا بما قدمه من خلال هذا المستورد الماركسي الغربي كما يشير جورج طرابيشي. ويبدو أن سمير أمين من خلال دعوته لعولمة مضادة للعولمة الأمريكية؛ كأنه يحاول إحياء الصراع الأمريكي السوفياتي من جديد على نحو عربي، وهذا يعكس وفاءه لتوجهه الماركسي رغم تلاشي فلسفات قاداته العظماء وتلاشي فلسفاتهم عالميا، وتحول البعض منهم إلى الليبرالية، وفي خضم عودة الصراع ضمن كتاباته فإن مفتاح الحياة الاجتماعية والسياسية يختفي خلف الاقتصاد، ومفتاح الاقتصاد هو الإنتاج؛ وجودة الانتاج وفعاليتها تقع خلف الاستراتيجيات والآليات المساعدة على تمثيلها في الواقع الذي تكون صورته الحسنة طبقا لطبيعة الانتاج، الذي ينبغي أن نفهم أنه يعيش اقتصاديا في ظروف تمتاز بالأزمات والتغيرات؛ مما يفرض التعامل معها بطريقة ديناميكية حسب ما تستدعيه المنهجية المادية الجدلية التاريخية، إنها منهجية تعبر عن منطق صيرورة الفكر والواقع، والتحكم بها تحكم في كليهما، نتحكم في الواقع من خلال التحكم في مادته الإنتاجية، ونتحكم في الفكر من خلال القدرة على خلق الأيديولوجيا المناسبة لحل الأزمات دون تحولها إلى وثن مقدس يسعى للاستقرار منافية بذلك المنطق الذي تفرضه الطبيعة التاريخية الذي يقول بالتغير اللانهائي، وهذا هو مضمون دعوة التعامل مع ماركس على أنه بحر بلا ضفاف وتجاوز ماركس في كل لحظة دون أن يموت.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- المصادر:

- 1) سمير أمين، الاقتصاد السياسي للتنمية في القرنين العشرين والواحد والعشرين، ترجمة فهيمة شرف الدين، دار الفارابي، لبنان، 2002، ط1.
- 2) سمير أمين، من نقد الدولة السوفييتية إلى نقد الدولة الوطنية، مركز البحوث العربية، مصر، 1992، ط1.
- 3) سمير أمين، علاقة التاريخ الرأسمالي، بالفكر الأيديولوجي العربي، دار الحداثة، لبنان، 1983، ط1.
- 4) سمير أمين، قانون القيمة المعولمة، ترجمة سعد الطويل، المركز القومي للترجمة، مصر، 2012، ط1.
- 5) سمير أمين، قضايا الشيوعية المصرية، دار العين، مصر، 2014، د.ط.
- 6) سمير أمين، ثورة مصر وعلاقتها بالأزمة العالمية، دار العين، مصر، 2011، ط1.
- 7) برهان غليون وسمير أمين، حوار الدولة والدين، المركز الثقافي العربي، لبنان، 1996، ط1.



ب- المراجع:

باللسان العربي:

- (1) جورج طرابيشي، هرطقات، دار الساقى، لبنان، 2006، ط1.
- (2) جورج طرابيشي، مذبحه التراث في الثقافة العربية المعاصرة، دار الساقى، لبنان، 2012، ط3.
- (3) فريدريك إنجلز، الإشتراكية: الطبواوية والعلم، إشراف سلامة كيلة، دار الفارابي، لبنان، 2013، ط1.

باللسان الفرنسي:

- (1) K.R.Popper, The open society and its enemies, volume 2, George Routledge and sons .LTD, London.

ت- المعاجم:

- مجموعة من الأكاديميين العرب، موسوعة الفلسفة العربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2014، ط1.

التنمية الاقتصادية في الجزائر ودورها في خلق سلوك إنجابي جديد

دراسة ميدانية في مدينة وهران

أ.بلعروسي شريفة /جامعة وهران 2، الجزائر أ.د.الوادي طيب/جامعة وهران 2، الجزائر

87

ملخص:

تعتبر الجزائر كمثيلا لها من الدول العربية حديثة الاستقلال التي عرفت تسارعا كبيرا في زيادة عدد سكانها، لكن السلطات لم تفكر في اتخاذ قرار واضح يقضي بالتحكم في ذلك النمو كجارتها تونس والمغرب، بل عمدت إلى التوجه الديمغرافي المناهض لكل سياسة تعمل على تغيير السلوك الإنجابي في البلاد. فبين الرأي المؤيد للعمل على انتهاج سياسة سكانية كحل أمثل لبناء مجتمع ذات نمو سكاني يتماشى وما يمكن للبلاد أن توفره من مختلف ضروريات الحياة لمواطنيها، و ذلك الرأي الذي يرى في التنمية الاقتصادية طريقا معبدا للوصول إلى نفس نتائج السياسة السكانية الحل الأكثر نجاعة و منطقية، تأتي هذه الدراسة لنحاول فيها التوصل إلى توضيح الفكرة أكثر. فانتهاج الجزائر لسياسة سكانية في الثمانينات حققت نتائج جيدة في تراجع معدلات الخصوبة بفعل استعمال النساء لموانع الحمل، إلا أن الفضل في ذلك يرجع إلى التنمية الاقتصادية التي عرفتها البلاد و ما نتج عنها من تحسن في حياة المواطن على المستوى الثقافي و الاجتماعي والاقتصادي.

الكلمات الدالة: التنمية الاقتصادية، المستوى التعليمي للمرأة، الصحة الإنجابية، الخصوبة.

مقدمة:

اهتم الإنسان منذ القدم بالبحث عن طرق تضمن له البقاء و تحفظ سلامته من كل المخاطر المحدقة به، بعد أن اهتدى إلى الزراعة استقر على ضفاف الأنهار معتمدا على هذه الأخيرة كمصدر أساسي لعيشه لعقود طويلة، ومع زيادة أعداد الناس بظهور التجمعات الإنسانية المختلفة ثم ظهور بعض الأنظمة في المجتمع البشري التي قسمت أبناء الأرض الواحدة إلى طبقات اجتماعية غنية حاكمة و أخرى فقيرة ومحكومة، أخذت بعض الأفكار تراود رجال الدول فيما يخص القضايا السكانية أي بدأ التفكير في علاقة تكاثر الإنسان بالموارد الزراعية للأرض. بني ذلك التفكير على اعتبارات عسكرية واقتصادية تصب في وعاء خدمة الطبقات الغنية و الحاكمة لضمان العيش الكريم لهم، و تمثلت في الاهتمام والتركيز على العدد الأمثل للسكان و ضرورة تشجيع أو إيقاف التزايد السكاني مثلما كان لدى أفلاطون وغيره.

حتى لو كانت هذه الأفكار تعبر عن آراء فردية و تخمينات لشخصيات مرموقة في المجتمع أو لجماعة ما تشترك في خدمة مصالحها و أنها لم ترتكز على أسس علمية واضحة إلا أنها رسمت الخطوط العريضة التي بنيت عليها الدراسات المعاصرة التي تعالج تلك العلاقة القائمة بين السكان و الاقتصاد. فكانت البداية من كتابات "مالتوس" في نهاية القرن الثامن عشر إذ اظهر "مالتوس" في كتاباته اهتماما بالغا بالقضية السكانية و أوضح مدى ارتباطها بالمسائل الاقتصادية والاجتماعية، بحيث أصبحت محل اهتمام العديد من المفكرين ممن جعل تسارع النمو السكاني سببا رئيسيا للفقر والتخلف وان التحكم فيه شرط مهم لكل بناء اقتصادي قوي.

من هذا المنطلق شرعت عدة دول من العالم المتقدم في بناء هيكلها السكاني ومجدها الاقتصادي، و قد عمل العديد من الدول على التحكم في النمو السكاني من اجل خلق نوع من التوازن بين نمو السكان و الاقتصاد.

في المقابل كانت الدول النامية تعرف ظاهرة مغايرة تماما ألا وهي ظاهرة الانفجار السكاني، التي تزامنت مع ضعف كل القطاعات الاقتصادية هذا إن وجدت، مما نتج عن هذه الأخيرة تفاقم البطالة وحدة أزمة السكن ونقص الرعاية الصحية وانخفاض المستوى المعيشي، وغيرها من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية.

حاول العديد من الدول النامية انتهاج سياسة سكانية اقتداء بالدول المتقدمة، ولم تكن الجزائر من الدول السباقة في هذا المجال على المستويين العالمي أو القاري، لأنها في بداية الأمر و طيلة ما يقرب عشرينيتين من الاستقلال كانت تمشي عكس التيار القائم على مبدأ الحد من النمو السكاني من اجل بناء الاقتصاد. حتى بعدما سجلت أعلى معدل للزيادة الطبيعية فاق 3% خلال السبعينات، بالرغم من المحاولات المتكررة من الداخل و الخارج لإرساء سياسة سكانية في الجزائر إلا أنها لم تأثر على التوجه الجزائري الرافض لهذه السياسة.

في سنة (1974)¹ انعقد المؤتمر العالمي للسكان ببوخارست، اثر هذا المؤتمر تأكد الرفض الذي أصر عليه الوفد الجزائري حيث ركز رئيس الوفد على فكرة تحسين العلاقات الاقتصادية والالتزام العادل في توزيع الدخل بين أفراد الدولة الواحدة الذي سيسمح لا محال بالتوفيق بين النمو الاقتصادي ونمو السكان فيها. و تمسك الوفد بفكرة أن التنمية الاقتصادية هي أفضل قرص للتحكم في نمو السكان.

هذا الرأي الجزائري الذي ركز على أن الاقتصاد هو المتحكم في النمو السكاني الذي يتوافق إلى حد ما مع أفكار رواد الفكر الاجتماعي، أمرا بعث فينا حماسة خوض غمار هذه الدراسة لمعرفة مدى واقعية هذا الرأي من جهة، ولأن العديد من الباحثين

¹ احمد عبد الحكيم بن بعطوش، التخطيط العائلي و أثره على القيم الاجتماعية في الأسرة الريفية، ص 68

قدموا أعمالاً عديدة لكن من وجهة نظر واحدة وهي تأثير النمو السكاني على التنمية الاقتصادية وحجتهم في ذلك أن الإنسان هو المتحكم في الاقتصاد وليس العكس، وبعدها بلغت الجزائر درجة تنموية متقدمة مقارنة بما كانت عليه في السابق والتي انعكست على كل جوانب الحياة الثقافية والاجتماعية للمواطن عامة والمرأة بشكل أدق وما حققته من نجاح في مجال التعليم وكذا دخولها سوق العمل مما ساعد على تحسين دخل الأسرة وخلق ثقافة جديدة أثرت على كل مستويات العيش داخل الأسرة بما في ذلك السلوك الإيجابي.

سنحاول التطرق للموضوع من هذا المنطلق، أي أننا سنبحث اثر التنمية الاقتصادية التي عرفتها البلاد ومن ثم الأسرة الجزائرية والمتمثلة في تحسن المستوى الصحي والتعليمي والمادي للزوجين والمرأة على وجه الخصوص على مستوى خصوبتها، للتعرف على هذا الدور سنحاول بعد تحليل نتائج البحث الميداني الإجابة على الإشكال التالي:

هل يمكن أن يكون للتنمية الاقتصادية التي عرفتها الجزائر دور في تراجع منحنى الخصوبة؟

حتى تتمكن من الإجابة على هذا التساؤل علينا أن نجيب على مجموعة من التساؤلات الجزئية التي تكون حوصلة الإجابة عنها مفكاً للعقدة المطروحة في الإشكال الرئيسي، صغنا هذه الأسئلة على النحو التالي:

* هل التراجع المسجل في معدل الخصوبة سببه وعي النساء بضرورة التباعد بين الولادات حفاظاً على صحتهم وصحة أطفالهن؟

* وهل لتحسين المستوى التعليمي للمرأة دور في ذلك؟

* أم أن لدخول المرأة سوق العمل وارتفاع دخل الأسرة الدور الأكبر في ذلك؟

فرضيات الدراسة:

قمنا بتحديد بعض الفرضيات التي نراها بمثابة إجابات مسبقة على الإشكالية المطروحة حول الموضوع فهي تحتمل الخطأ بقدر ما تحتمل الصواب، جاءت على النحو التالي في فرضية أساسية مبنية على:

** تعتبر التنمية الاقتصادية التي عرفتها الجزائر سبباً في تراجع خصوبة النساء.

وفرضيتان ثانويتان تمت صياغتهما بالشكل التالي:

* السياسة السكانية المنتهجة في أواخر القرن الماضي سبب انخفاض خصوبة المرأة.

* التوجه الإيجابي الراهن و الساري المفعول داخل الأسر ناتج عن تحسن المستوى الثقافي و المعيشي للأفراد بفعل التنمية الاقتصادية في البلاد.

أهمية الدراسة:

تندرج أهمية هذه الدراسة في كونها من أوائل الدراسات الموجهة لبحث العلاقة بين الاقتصاد والسكان من منطلق اقتصادي على عكس ما جرت العادة في اغلب الدراسات الديمغرافية التي كانت في مجملها قد تطرقت إلى اثر النمو السكاني الكبير على التنمية الاقتصادية و ما يسببه من صعوبات في مختلف المجالات كالشغل، الصحة و غيرها، حتى أن بعض الدراسات الاقتصادية تطرقت إلى الفكرة بنفس التوجه، و لهذا من الممكن أن تسهم هذه الدراسة مساهمة ايجابية في تزويد المهتمين بمعلومات في الموضوع بتوضيح هذا الترابط بنظرة مغايرة. ثم أن اعتماد الأمم المتحدة مؤشرات غير مالية كمؤشر التنمية البشرية IDH الذي يتم قياسه بالاعتماد على عدة مؤشرات منها أمل الحياة و مؤشر التعليم بالإضافة إلى مؤشر اقتصادي المتمثل في متوسط الدخل، و يعتبر مؤشر التنمية البشرية المعول عليه من طرف الهيئات الدولية في قياس مدى تطور الأمم

قد يمنح لفكرة موضوع هذه الدراسة نوع من الأهمية ومصداقية أوسع حتى تصنف في قوائم الدراسات التي تقدم إضافة جديدة و ليس العكس، هذا من جهة من جهة أخرى قد تساهم في توضيح مدى تأثير العوامل الاقتصادية على نمو السكان، ومن جهة ثالثة قد تساهم في زيادة كفاءة و فعالية البحث مما سينعكس إيجابا على فتح شهية الباحثين لدراسات قادمة في نفس المجال أو ممن يرغب في توجيه النقد قصد الإثراء المعرفي.

منهج الدراسة:

خلال مجريات هذا البحث حاولنا أن نتبع أسلوب البحث العلمي الذي يمكننا من التوصل إلى إجابة عن الإشكالية التي طرحناها مسبقا، من اجل ذلك اعتمدنا المنهج الوصفي الذي سيساعدنا في تحليل و تفسر وتلخص كل ما تم جمعه من الميدان خدمة للأهداف المسطرة حتى نتوصل إلى الإجابة عن الإشكالية المطروحة.

الوسائل المعول عليها في الدراسة:

يعتبر العمل الميداني إضافة توضيحية لما يقوم به الباحث في الجانب النظري لأي دراسة، لهذا لم نكتفي بقدر المعلومات الذي جمعناه من مختلف المصادر و المراجع أردنا أن نثمن هذا العمل النظري ببحث ميداني للتقرب أكثر من الواقع المعاش و البحث عن المعلومة الأكثر حداثة و لان البحث الميداني يتطلب جهدا عضليا و فكريا و فترة مالية ثم وقت لإجرائه كما يعلم أصحاب التخصص اقتصر هذا البحث الميداني على دائرة وهران فقط ثم أن هذه الدائرة لا تختلف عن باقي الدوائر في الولاية، و لا تنفرد بخصوصيات عن اغلب مناطق الوطن كما أننا لا نسعى إلى تعميم النتائج المناطق، لكن هذا لا يمنع من أن يكون هذا البحث الميداني صورة تقريبية لواقع نعيشه يوميا في مختلف أنحاء الوطن و الولاية (وهران) خاصة، نأمل أن تكون هذه الدراسة الميدانية إضافة حسنة لما قدم من طرف الباحثين من الأساتذة و الطلبة في الميدان.

الاستبيان أو الاستمارة:

حاولنا جاهدين أن نطرح كل الأسئلة التي رأينا رابطا بينها وموضوع البحث و تمت صياغة الاستبيان في شكله النهائي بالتعاون مع الأستاذ المشرف على المذكرة ، كما قمنا بتصحيح بعض الأسئلة وحذف أسئلة أخرى فور إجراء الدراسة الاستطلاعية. احتوى هذا الاستبيان عدة أسئلة سهلة و بسيطة في تناول كل المبحوثات.

التي قسمت إلى خمس محاور:

* محور حول خصائص المسكن.

* محور المعلومات الشخصية و الحالة المهنية للمرأة.

* محور المعلومات الشخصية و الحالة المهنية للرجل.

* محور خاص بمعلومات حول خصوبة المرأة.

* محور أخير حول الوضع الاقتصادي (المادي) للأسرة.

كما اعتمدنا في هذا الاستبيان على الأسئلة المغلقة فكانت الأسئلة تتناوب بين أسئلة مغلقة ذات اقتراحين نعم أو لا، و أسئلة مغلقة مرفقة باقتراحات إذ يمكن للمرأة أن تختار إجابة واحدة أو أكثر و كذلك ليتسنى لنا تحليلها بشكل جيد وواضح ويخدم أهداف الدراسة.

الحدود المكانية و البشرية للدراسة (اختيار العينة) :

في انتظار إجراء إحصاء آخر سنة 2018 و الحصول على قاعدة بيانات جديدة تم الاعتماد على قاعدة بيانات آخر إحصاء عام للسكن و السكان الذي أجرته الجزائر سنة 2008، تم استخراج قاعدة البيانات الخاصة بولاية وهران في اختيار عينة الدراسة المتمثلة في الأسر التي تتوزع عبر 12 مقاطعة التي تمثل في مجملها دائرة وهران ، تم اختيار عينة مكونة من 350 امرأة متزوجة ممن لديهم طفل أو أكثر موزعة عبر أحياء هذه المقاطعات الاثنا عشر.

حدود للدراسة: تميز المجال الزمني للدراسة بفترتين.

الفترة الأولى: الدراسة الاستطلاعية.

الدراسة الاستطلاعية حسب عبد الرحمان عيساوي"هي دراسة استكشافية تسمح للباحث بالحصول على معلومات أولية حول موضوع بحثه كما تسمح له كذلك بالتعرف على الظروف و الإمكانيات المتوفرة في الميدان ومدى صلاحية الوسائل المنهجية المستعملة قصد ضبط متغيرات البحث.

كما تعتبر الدراسة الاستطلاعية المرحلة المهمة و الخطوة الفعالة و المنظار الذي يكشف الواقع في البحث العلمي، نظرا لارتباطها بالميدان فمن خلالها يتأكد الباحث من وجود عينة الدراسة ومعرفة بعض حثيات الميدان بالتركيز على إمكانية إجراء البحث بشكل سهل يخلو من المشاكل، ويعمل على أخذ كل الاحتياطات في حال وجود صعوبات ليتمكن من إتمام بحثه بسلام.

تمت الدراسة الاستطلاعية التي أجريت على عينة مكونة من 30 أسرة خارج العينة الكلية في شهر جويلية 2016.

الفترة الثانية:

بعد التأكد من وجود عينة الدراسة من خلال الدراسة الاستطلاعية، شرع في تطبيق الدراسة الميدانية التي دامت من أوت 2016 إلى فيفري 2017 تم خلال هذه المدة ملاً الاستمارات بالتعاون مع زميلاتي في القسم بكلية العلوم الاجتماعية بعد زيارتنا للأسر .

البرنامج المستعمل لتحليل النتائج:

بعد إنهاء العمل الميداني تأتي مرحلة تحليلي البيانات ولا يمكننا أن نقوم بتحليل نتائج دراسة ميدانية ذات العدد الكبير يدويا، لذا يجب الاعتماد على احد البرامج الإحصائية المتوفرة و على اختلافها و تعددها اخترنا البرنامج الإحصائي المعروف بالحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS في طبعته العشرين(20) لأنه البرنامج الذي نحسن استعماله و نعتمده في العلوم الاجتماعية لتحليل نتائج الدراسات الميدانية فتم تفرغ الاستمارات و جدولت النتائج بحسب ما تقتضيه الأهداف المسطرة و الإشكالية المطروحة لدراستها.

تحليل النتائج المستقاة من الميدان:

تقديم العينة حسب بعض خصائص المسكن:

توزيع العينة حسب نوع السكن:

تتوزع العينة حسب نوع السكن بنسب متفاوتة فالأغلبية منها (40.9%) يسكن في شقق في حين تصل نسبة من يسكن في فيلا 28% و هي نسبة معتبرة لتراجع النسب بتدني نوع المسكن، فان دل هذا على شيء إنما يدل على ذلك التحسن في حصول المواطن الجزائري على سكن لائق بالرغم من العوائق و الصعوبات التي يتلقاها المواطن جراء البروقراطية التي غزت كل مجالات

الحياة اليومية أو جراء سوء التسيير للقطاع. فهذا لم يمنع من حدوث تحسن في الظروف التي تعيشها الأسر الجزائرية عامة والوهرانية خاصة تمنحنا ولو بصيص أمل في إمكانية استمرار العمل على تحقيق العيش الكريم للمواطن في مختلف المجالات.

جدول رقم(1): توزيع العينة حسب نوع وحالة المسكن.

النسب المؤوية	التكرارات	حالة المسكن	النسب المؤوية	التكرارات	نوع المسكن
%54.9	192	ملكية شخصية	%40.9	143	شقة
%18.3	70	مسكن مستأجر	%20	70	فيلا
%26.8	94	حالة أخرى	%28.3	99	حوش
%100	22	المجموع	%6.3	22	بناء قصديري
المصدر: نتائج البحث الميداني 2017/2016			%4.6	16	حالة أخرى
			%100	350	المجموع

توزيع العينة حسب حالة المسكن. (انظر الجدول أعلاه و الجدول رقم1 من الملحق)

عند الحديث عن حالة المسكن حسب ما توصلت إليه نتائج البحث الميداني نجد ما يقارب 55%(192/350) من سكنات العينة ملكا لأصحابها فيما يخص كل أنواع السكنات من بينها ما يفوق الثلث هي شقق وهو ما قد يعطي صورة و لو جزئية عن تلك الجهود التي قامت بها الدولة الجزائرية عامة و سلطات وهران على وجه الخصوص التي تمثلت في توزيع العديد من السكنات على الأسر حرصا منها على تحسين مستواهم المعيشي، ولعل السكن احد أهم الوسائل التي قد تساهم في رفع مستوى حياة المواطن، لان السكن اللائق يساعد على تكوين الفرد من الناحية العلمية إذ يمنح للأبناء فرصة الدراسة في جو هادئ في حين امتلاكهم لغرف خاصة بهم بدل الدراسة في المطبخ أو غرف الجلوس، فمعدل شغل المسكن أو الغرفة الذي كانت كل أنحاء الجزائر بما فيها مدينة وهران تعاني من ارتفاعه إذ كان يتعدى 6 أشخاص في المسكن و يقارب 3 أشخاص في كل غرفة كان احد العوائق التي وقفت أمام الطفل لتعيق مشواره الدراسي، كما أن السكن الذي تتوفر فيه شروط الحياة الضرورية من تهوية و نظافة و نظام في كل أنحائه عامل مهم في بناء مجتمع ينعم بالصحة الجيدة بفعل التنشئة الجيدة لأفراده.

هذا لا ينفي وجود تلك الحالات ممن يسكن في سكنات غير لائقة كالبيوت القصديرية و ممن أجاب عن سؤال ما هي حالة المسكن بحالة أخرى، فهم من استأجر بطريقة غير قانونية بما فيها السكن غير لائق أو استئجار الشقق التي وزعتها الدولة من أصحابها قبل انقضاء المدة المحددة من طرف الدولة في ملكية الحق في بيع أو استئجار المسكن أو ممن لا يزال يقيم عند الآباء و يسكن منزلا ملكا لغيره مما يعرضه إلى عدم الاستقرار النفسي و الذي قد ينعكس على مردوده العلمي أو حالته الصحية التي تتحول إلى عبء اقتصادي على الدولة و قد تجعل من بعض الأفراد عالة على المجتمع بدل العمل على جعلهم عناصر فعالين فيه.

فيما يخص الإجابات عن السؤال هل يتوفر المسكن على: الماء الكهرباء، الغاز و غيرها فكانت الأغلبية الساحقة من مساكن العينة 87.4% يتوفر فيها: الماء ، الكهرباء، الغاز و قنوات صرف المياه الصحية وهو ما قد يؤكد فعالية العملية التنموية التي اعتمدت في الجزائر و لازالت متواصلة للرفع من نوعية الحياة اليومية للمواطن، فيما تبقى نسبة 11.2% لم تنعم باستعمال الغاز الطبيعي إلى يومنا هذا و 0.9% من الأسر لم تصلها الكهرباء و نسبة 2.9% من البيوت لا تتوفر على قنوات الصرف الصحي بالرغم من أن النسبة ضئيلة إلا أنها قد تعمل على ظهور بعض الأمراض داخل الأسر المحرومة من هذه الضرورة الملحة و هو ما يعود دائما وأبدا على عاتق الدولة، و قد يكلف التخلص من تلك الأمراض و المشاكل الصحية التي تظهر جراء هذه النقائص أكثر بكثير مما قد يكلفه توفير تلك الحاجة(قنوات الصرف الصحي)، و الجدول أسفله يؤكد هذه النسب.

جدول رقم(2) توزيع العينة حسب مدى توفرالسكن على بعض ضروريات الحياة (الماء والغاز وغيرهما).

النسب المؤوية	التكرارات	يتوفر المسكن على
1.1	4	الكهرباء و قنوات الصرف الصحي
6.9	24	الماء، الكهرباء و قنوات الصرف الصحي
0.9	3	الكهرباء، الغاز وقنوات الصرف الصحي
87.4	306	الماء، الكهرباء، الغاز وقنوات الصرف الصحي
2.3	8	الماء و الكهرباء
0.6	2	الماء، الكهرباء و الغاز
0.3	1	قنوات الصرف الصحي
0.6	2	الماء و قنوات الصرف الصحي
100	350	المجموع

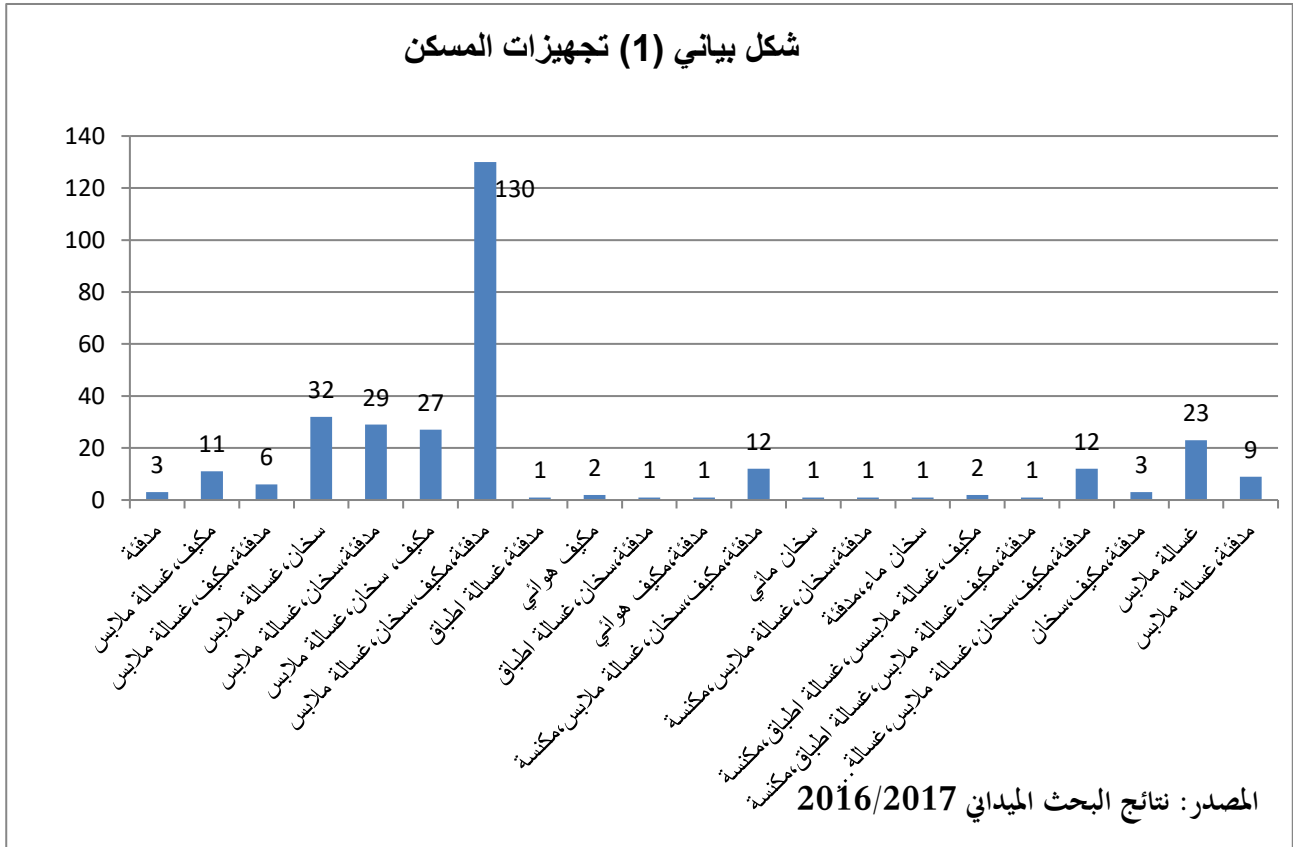
المصدر: نتائج التحقيق الميداني 2016/2017

توزيع العينة حسب توفر المسكن على بعض التجهيزات:

من خلال التمثيل البياني الموالي يمكننا أن نميز مدى احتواء المسكن على بعض التجهيزات العصرية التي أصبحت من الضروريات في السنوات الأخيرة خاصة بعد دخول المرأة إلى عالم الشغل لأن هذه الوسائل تساعدها في أداء الأعمال المنزلية بسرعة و في أوقات قياسية حتى تتفرغ للاهتمام بأبنائها و زوجها و باقي الأفراد إن وجدوا هذا بالنسبة للمرأة العاملة، لكن هذه التجهيزات العصرية تتواجد في اغلب البيوت لأنها تساعد حتى المرأة الغير عاملة فاستقلال الأسرة الصغيرة في المسكن منح للزوجين خاصة المرأة حرية أكثر في اختيار طريقة معينة للعيش بما في ذلك اتخاذ قرارات مهمة كتحديد عدد الأطفال المرغوب فيهم على سبيل المثال، لكنها ألفت على عاتق المرأة مسؤولية القيام بكل الأعمال المنزلية لوحدها فكانت هذه الأجهزة بمثابة مساعد لها.

هذه التجهيزات الضرورية كما سبق الذكر كغسالة الملابس تتواجد عند غالبية أسر العينة.

امتلاك الأسر لبعض الوسائل:



من بين الوسائل التي تسهل حياة الإنسان و تقربه من غيره عن طريق الاتصال به توفر خدمة الانترنت في المسكن، نصف عينة الدراسة تستفيد من خدمات هذه الشبكة 50.3%، لكن هذا لا يعني أن النصف الثاني محروما من هذه الخدمة بل الأغلبية من الناس تتوفر لديهم هذه الخدمة على هواتفهم المحمولة خاصة بعد الانتشار المذهل في الاعتماد على مواقع التواصل الاجتماعي.

نفس الشيء بالنسبة لاحتواء منازل أسر العينة على حاسوب 60.6% منها مجهزة بحاسوب بالرغم من أن الكثير منهم يستعمل الهاتف لكن الحاسوب يشغل حيزا كبيرا في قائمة احتياجات الأفراد فمنهم من يستعمله للأبحاث العلمية و للعمل في المنزل في حالة امتلاك حاسوب محمول، المهم أن هذا الجهاز يحظى بشعبية كبيرة في مجتمعنا، في حين نجد امتلاك الأسر للسيارة يزيد بقليل عن النصف 52.6% (انظر الجدول رقم 2 في الملحق) من الأسر تملك سيارة لأن هذه الأخيرة أصبحت مؤخرا من

الأولويات، حتى أن في بعض الحالات نجد كلا الزوجين يملك سيارته الخاصة لان كلاهما يعمل و حتى يوفقان بين عملهما ونقل الأطفال إلى المدرسة أو الروضة إذ تعتبر السيارة وسيلة مساعدة للزوجين خاصة المرأة التي أصبحت تحتاج إلى كل دقيقة من وقتها لأداء تلك الأدوار المتعددة التي تنتظرها لاسيما زوجات الأثك الرجال الذين لا يحركون ساكنا عند عودتهم إلى المنزل.

توزيع العينة حسب نوع السكن و عدد الأطفال:

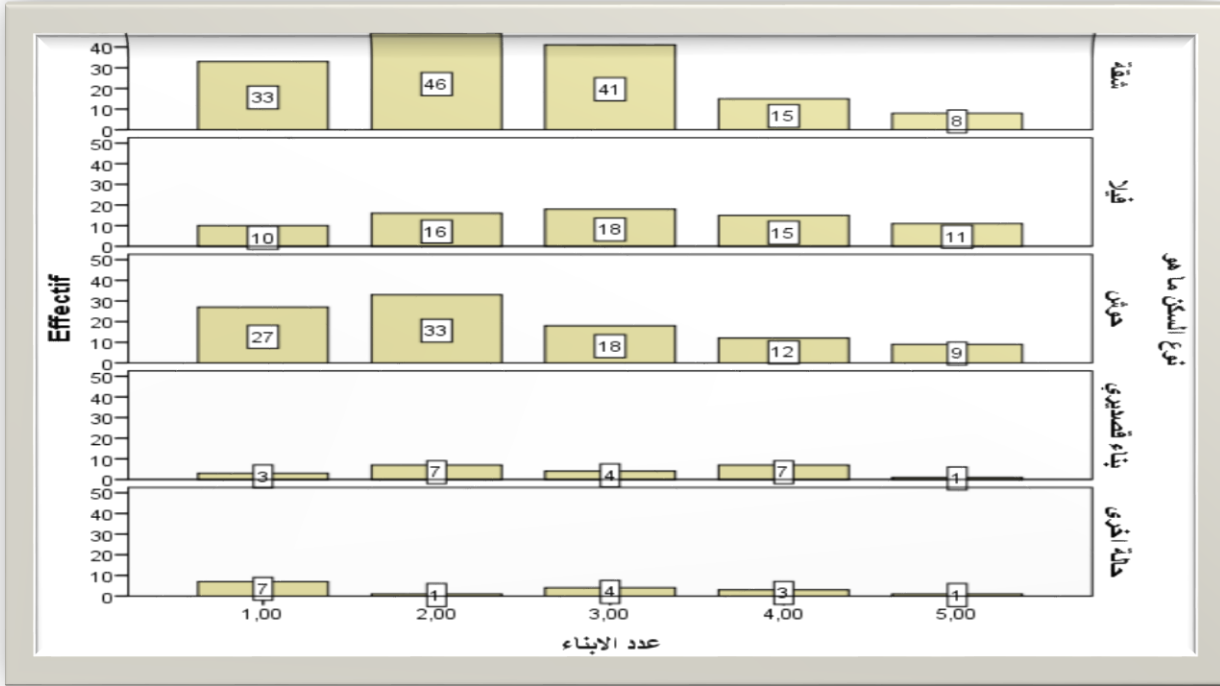
من خلال الشكل البياني(2) لتوزيع الأسر حسب عدد الأطفال و نوع المسكن يتضح لنا بان حوالي 55% ممن يسكن في شقة لديهم طفل أو طفلان و 28% من الأسر لديهم طفلان و الباقي (16%) لديها أربعة أطفال أو أكثر لان معظم الأسر تسكن شققا ممنوحة من طرف الدولة و شقق بصيغة السكن الاجتماعي أو السكن التساهمي و منه فان هذه الشقق لا تتسع لعدد كبير من الأطفال و لا يمكننا أن ننسى بان هذا النوع من السكنات هو الأكثر انتشارا في المجتمع.

فبالرغم من تراجع معدلات الفقر في الجزائر لكن يبقى العديد من الأسر لا يستطيع شراء قطعة ارض لبناء مسكن فردي هذا بالنظر إلى أوسع شريحة في المجتمع لكن تبقى نسبة لبأس بها ممن يملك فيلا تمثل حوالي 20% من المجموعة الكلية لعينة الدراسة أما عدد الأطفال في هذه الأسر فانه يتوزع بشكل متساو نسبيا كما يبدو في الشكل البياني رقم 2، فعدد الأسر يتراوح ما بين 10 اسر لديها طفل واحد كأدنى حد إلى 18 أسرة لديها ثلاث أطفال كأقصى حد، مرورا بـ 15 و 11 أسرة لديها أربعة أطفال أو أكثر على التوالي.

أما الأسر التي تسكن في مسكن من نوع حوش فان 60% من تلك الأسر لديها طفل أو طفلان و تتوزع نسبة الأربعة بالمائة المتبقية تنازليا بين الأسر التي أنجبت ثلاثة أطفال فما فوق.

ويبقى توزيع الأسر حسب عدد الأطفال ونوع المسكن فيما يخص البناءات القصديرية و الحالات الأخرى تحتل اقل النسب و تتوزع بطريقة عشوائية حسب عدد الأطفال.

شكل بياني (2): توزيع العينة حسب نوع السكن و عدد الأطفال:



توزيع العينة حسب السن الحالية:

تنقسم عينة الدراسة حسب السن الحالية إلى تسع فئات عمرية بدل السبع فئات العمرية المألوفة من 15 إلى 49 عند دراسة الخصوبة نظرا لخصوصية الموضوع وارتباط الخصوبة بتلك الفترة من عمر المرأة وهي تلك الفترة الفاصلة بين سن البلوغ و سن اليأس. من خلال هذا التوزيع يظهر بوضوح أن 90% من نساء العينة تتراوح أعمارهن بين 20 سنة و 54 سنة و 10% المتبقية من العينة تتوزع على من هن اقل من 20 سنة بنسبة 1% و 9% تمثل مجموع النساء اللاتي تتراوح أعمارهن بين 55 سنة و 59 سنة (انظر الجدول رقم 3 من الملحق).

أما توزيع عينة الدراسة حسب سن الزواج فنجد أكثر من ثلثي نساء العينة (74.3%) تزوجن في أحسن فترات خصوبتهن أي ما بين 20 و 34 سنة (شكل بياني رقم 3) وهذا يعني أن النساء أصبحن واعيات كل الوعي بكل ما يتعلق بصحتهن و كذا صحة أبنائهن، و السبب الأول في ذلك هو انتشار الوعي الصحي في الأوساط النسوية بفعل تعدد المنشآت الصحية و توزيعها عبر التراب الوطني بغض النظر عن مستوى الخدمات المقدمة التي تتفاوت من مؤسسة صحية لأخرى.

أما السبب الآخر الذي يلعب دورا لا يستهان به في جعل المرأة تطلع وتفهم كل الأمور المحيطة بها و هو المستوى التعليمي الذي استطاعت أن تحققه المرأة بفضل سهر الدولة على تمكين المرأة من كل حقوقها المشروعة التي كانت إلى وقت قريب محرومة منها كالتعليم و العمل.

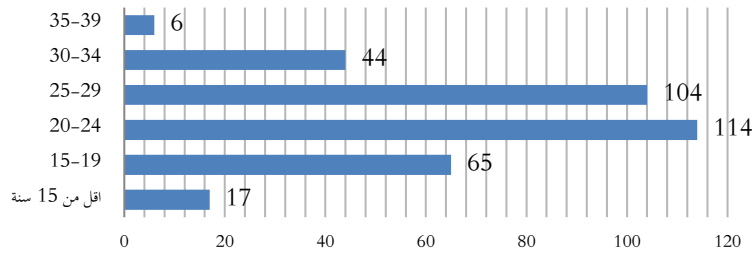
ما يميز نساء العينة هو أن ما يفوق 60% متعلقات أي صاحبات مستوى ثانوي فما فوق فيما تبقى الأخريات يتوزعن على المستويات كما يلي: 20%، 10% و 9% في المتوسط و الابتدائي و دون مستوى على التوالي (انظر جدول رقم 4 من الملحق).

هذا المستوى التعليمي للمرأة هو نتيجة لارتفاع معدلات تلمذ البنات في الجزائر عامة و وهران على الخصوص بفعل إجبارية التعليم و مجانيته مما سمح لكل فرد في المجتمع بالالتحاق بالمدرسة كما أن إجبارية التعليم قد حلت عقدة التسلط تلك التي منعت البنات من التعلم و بمجرد كسر ذلك الحاجز و دخول البنات إلى المدارس استطاعت أغلبية المتدرسات من أن يواصلن

مشوارهن التعليمي هذا في الأوساط الريفية خاصة و حتى في أوساط بعض العائلات المحافظة (المتعصبة) في المدن ممن يجعل تعليم البنات مساس بمكانة العائلة و نكرانا للعادات و القيم التي ورثوها عن الأجداد، فيما يخص النساء المتعلمات ممن تزيد أعمارهن حاليا عن الخمسة و الأربعين عاما، أما النساء الأقل سنا فقد استفدن من ذلك التحول في التفكير ووجهات النظر التي لم تعد تحب بقاء البنات في البيت بل أصبحت العائلات و الأسر الجزائرية تفكر و تخطط لمستقبل الفتاة الدراسي و حتى المهني، والعامل المؤثر في ذلك بعد إجبارية التعليم و مجانيته هو انتشار الأسر النووية الذي قلص من التمسك بالعادات والتقاليد.

فالارتفاع المسجل في معدلات التمدرس قد اثر هو الآخر على خصوبة النساء ، إذا تتبعنا توزيع المبحوثات في عينة الدراسة حسب المستوى التعليمي و عدد الأطفال نلمس ذلك التأثير و مدى تباينه (الجدول رقم 5 من الملحق).

شكل بياني (3) توزيع العينة حسب سن الزواج

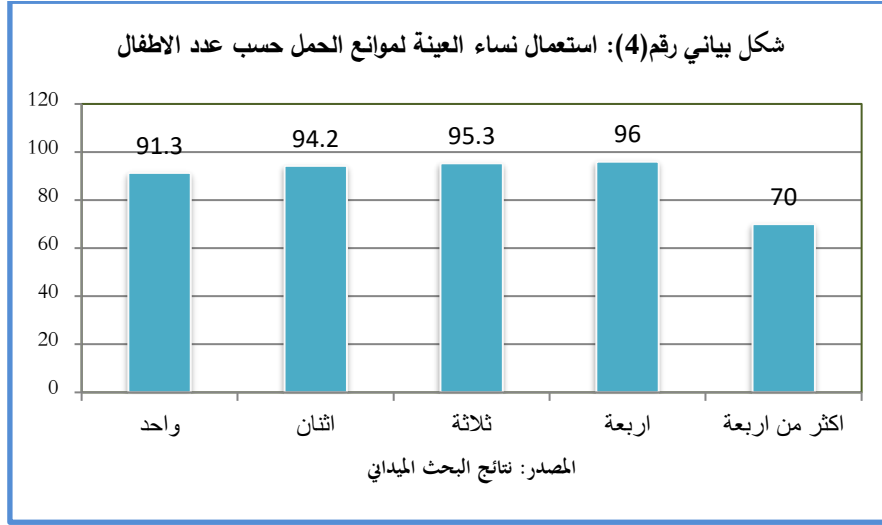


المصدر: نتائج التحقيق الميداني 2016/2017

هذا فيما يخص التعريف بالعينة و بالتوزيعات المختلفة باختلاف المتغيرات التي تتداخل فيما بينها و يؤثر بعضها على البعض الآخر، ولان هذا المقام لا يسمح بذكر كل التوزيعات حسب كل المتغيرات المدروسة سنحاول أن نناقش الفرضيات على ضوء بعض النتائج المتحصل عليها من البحث الميداني بداء بالفرضية الجزئية الأولى المبينة على:

الفرضية الجزئية الأولى:

*السياسة السكانية المنتهجة في أواخر القرن الماضي سبب انخفاض خصوبة المرأة.



الاستعمال الواسع لوسائل منع الحمل يظهر جليا لدى مجموعة نساء الدراسة ابتداء من إنجابهن للطفل الأول وتأخذ النسب في الارتفاع بطريقة طردية مع عدد الأطفال لديهن ثم تتراجع بعد إنجابهن لا أكثر من أربعة أطفال، قد يكون هذا التراجع في استعمال النساء لموانع الحمل راجع إلى بلوغ العديد منهن سن اليأس نهائيا أو قد أنجبن ما كتب لهن من الأطفال و بدخولهن مرحلة سن اليأس و ما يطرأ على المرأة من تذبذبات في الافرازات الهرمونية قد تكون سببا في عدم الإنجاب بالرغم من أن المرأة لم تبلغ سن اليأس بشكل نهائي.

جدول رقم(3) توزيع العينة حسب وقت بداية استعمال وسيلة تباعد الولادات.

النسبة %	التكرارات	بداية الاستعمال
7.7	25	قبل ولادة الطفل الأول
77.6	250	بعد ولادة الطفل الأول
11.8	38	بعد ولادة الطفل الثاني
1.9	6	بعد ولادة الطفل الثالث
0.9	3	بعد ولادة كل الأبناء
100	223	المجموع

المصدر: نتائج التحقيق الميداني

إن التفكير في استعمال موانع الحمل بغرض التباعد أو تأخير الولادة من طرف المبحوثات يبدأ في وقت مبكر من حياتهن الزوجية، فنسبة المستعملات لإحدى هذه الوسائل قبل الإنجاب أي مباشرة بعد الزواج بلغت 7.7 %، على ضآلة هذه النسبة مقارنة بالنسب الأخرى فأنها تبدو جد هامة إذا ما ربطناها بمدى تمسك الأزواج بضرورة الإنجاب في بداية الحياة الزوجية خوفاً من الوقوع في مشكلة عدم الإنجاب أو تأخر العملية لمدة طويلة بسبب استعمال إحدى الموانع خاصة الكيميائية منها (حبوب، حقن الخ.....)، لكن المرأة ترفع التحدي مرة أخرى وتسعى إلى تأخير الإنجاب بعد الزواج مباشرة قدر المستطاع حتى تتمكن من التأقلم مع الوضع الجديد و تعمل على إعادة ترتيب أمورها خاصة إذا كانت عاملة ، لان مرونة حياتها اليومية في البيت و العمل قبل الزواج قد تنقلب رأساً على عقب بعده لاسيما إذا كانت كسولة و غير منظمة في حياتها.

أما الاعتماد على هذه الوسائل بعد إنجاب الطفل الأول فإنه يبدو بالغ الأهمية إذ نجد أكثر من 77 % من المبحوثات قد اعتمدن مانعا للحمل بعد ولادة الطفل الأول، لتراجع النسب تدريجيا بعد ولادة الطفل الثاني فالثالث إلى أن تصل نسبة الاستعمال بعد ولادة كل الأبناء (العدد المرغوب فيه من الأبناء) إلى ما يقل عن الواحد بالمائة (0.9%).

جدول رقم(4) توزيع العينة حسب مصدر اقتناء وسيلة منع الحمل.

النسب %	التكرارات	المصدر
579.	256	الصيدلية
15.2	49	القطاع الصحي العام
8.2	9	القطاع الصحي أو الصيدلية
2.5	8	عيادة خاصة
100	223	المجموع
المصدر: نتائج البحث الميداني 2017/2016		

و منه فإن الوعي باستعمال موانع الحمل من طرف النساء يبدو جليا من خلال ما قدم و يظهر دور سياسة التباعد بين الولادات التي اعتمدت في البلاد في تراجع خصوبة النساء باختلاف أعمارهن و مستوياتهن و حتى حالتهم المهنية، حتى بعدما تخلت الدولة عن توفير تلك الوسائل بالقدر الذي عملت به عند بداية العمل بفكرة التباعد بين الولادات التي انطلقت في بداية الثمانينات من القرن المنصرم.

الجدول أعلاه يبرز لنا بان تخلي المراكز الصحية العمومية عن تقديم تلك الخدمة المجانية لم يمنع النساء من تغيير الوجهة نحو الصيدلية بنسبة تقارب 80 % لاقتناء ما تحتاج إليه من هذه الوسائل، وعليه فان دور سياسة تباعد الولادات أو تنظيمها كما سيمت في البداية قد عملت على توطيد فكرة تعريف النساء بمختلف تلك الوسائل وطرق استعمالها خاصة العمل الجاد للتوصل إلى تقبل الأزواج (الرجال) للفكرة، و لم يكن الوصول إلى ذلك المبتغى إلا بعد تحقيق مستويات تعليمية عالية لدى الذكور و الإناث على حد سواء.

الفرضية الجزئية الثانية:

*التوجه الإيجابي الراهن و الساري المفعول داخل الأسر ناتج عن تحسن المستوى الثقافي و المعيشي للأفراد بفعل التنمية الاقتصادية في البلاد.

تحديد النسل و الحالة المادية للأسرة:

تلعب الحالة المادية للأسرة دورا فعالا في تحديد عدد الأطفال فيها فحسب نتائج هذه الدراسة المدرجة في الجدول رقم 6 من الملحق التي توضح بان ما يقارب 45% من أسباب التفكير أو العمل على تحديد النسل مادية محضة، في حين تتأرجح أجوبة المبحوثات حول سبب سعيهن وراء فكرة تحديد النسل بين الأسباب المادية مرفوقة بسبب آخر قد يكون مجرد غطاء عن رغبة المرأة في إنجاب عدد محدد من الأبناء مثل الأسباب الصحية و الأسباب الأخرى و الدراسة فيما تشغل الأسباب الصحية ما يفوق 20% من المبحوثات الراغبات في تحديد انسل.

الحالة المهنية للمرأة واستعمال موانع الحمل:

تعتبر الحالة المهنية أحد الأسباب التي رفعت من نسب استعمال موانع الحمل فإذا تتبعنا معطيات الجدول رقم (6) نجد أن نسبة استعمال النساء العاملات لموانع الحمل أكبر من تلك المسجلة عند الماكثات في البيت أو الغير عاملات، ثم أن ما يقارب 94% من العاملات قد أنجبن ثلاثة أطفال و قلة منهن من لديهن أربعة حوالي 6% و لا واحدة منهن لديها أكثر من أربعة أطفال، و تبقى الغير عاملات هن الأكثر إنجابا من غيرهن حوالي 19% لديهن أربعة أطفال و ما يقرب من 13% هن أمهات لأكثر من أربعة أطفال.

لكن هذا لا ينفي أهمية موانع الحمل عند الماكثات في البيت فممن المتعلمات اللاتي يعرفن الكثير عن الصحة الإنجابية و ما مدى فعالية التباعد بين الولادات للحفاظ على صحة الأم و طفلها و منهن من قررت تحديد النسل لان دخل الزوج لا يكفي لتربية عدد كبير من الأبناء. و منه يمكننا أن نقول بان السياسة السكانية المتضمنة لفكرة التباعد بين الولادات والتي عملت الدولة على نشرها في أوساط النساء بكل شرائحهن و بمختلف مستوياتهن ساهمت في تبني النساء لفكرة التقليل من عدد الأبناء في تلك المرحلة و استمرت الفكرة متداولة بين النساء إلى يومنا هذا لكن إذا أضفنا متغير الحالة المهنية للمرأة يتضح بان النساء الماكثات في البيت هن الأكثر إنجابا من العاملات فيظهر دور دخول المرأة سوق العمل أكثر فعالية من دور نشر سياسة استعمال موانع الحمل في الأوساط النسوية.

بناءً على ما سبق يمكننا أن نستنتج بان سياسة نشر الوعي باستعمال موانع الحمل قد لعبت دورا في تراجع خصوبة النساء لكن دور عمل المرأة الذي تأثر بدوره بتحسّن مستواها الدراسي و الانتشار السريع للأسر النووية على حساب الأسر الممتدة كان تأثيرها أكثر فعالية على خصوبة المرأة (انظر الجدولين 7 و 8 من الملحق).

* تعتبر التنمية الاقتصادية التي عرفتها الجزائر (وهران) سببا في تراجع خصوبة النساء.

من خلال مراجعة ما توصلت إليه نتائج مناقشة الفرضيتان الجزئيتان الأولى و الثانية إضافة إلى تحسّن الوضع الصحي وتوفر السكن اللائق و مختلف ضروريات العيش للمواطن و التي لا يسعنا التفصيل في جزئياتها خلال هذا المقام، نجدها قد عملت مجتمعة على التوصل إلى السلوك الإيجابي الراهن و السائد في أوساط المجتمع الجزائري بشكل عام والوهراني على وجه الخصوص.

خلاصة:

إن العمل التنموي الذي تبنته الجزائر منذ استقلالها إلى يومنا هذا و المتمثل في تحقيق تمدن لبلنات بمعدلات عالية مما سمح لها باقتحام سوق الشغل و توليها لمختلف المناصب قد ساهم بقدر كاف في تحسين المستوى المادي للأسرة، و كذا تخلي المجتمع عن العديد من العادات بما فيها الرغبة في العيش تحت لواء الأسر الممتدة بفعل توفير الدولة لأعداد معتبرة من السكنات بمختلف الصيغ، وانتشار المنشآت الصحية عبر التراب الوطني بعد الاعلان عن سياسة مجانية العلاج مما ساعد على رفع أمل الحياة عند الولادة و تراجع معدلات وفيات الأمومة و وفيات الرضع و حتى تراجع معدل الوفيات العامة.

كان ذلك نتاجا للعملية التنموية التي عرفتها البلاد على تأرجح مستويات جودة الخدمة المقدمة (السكن، التعليم، الصحة) بتأرجح الظروف الاقتصادية و السياسية التي مرت بها البلاد، فلا يمكن أن نقارن التحسن والتقدم الذي تحقق في البلاد بما تحقق في الدول المتقدمة لان ذلك يحتاج إلى قرون عديدة و أفكار جديدة و سياسات مدروسة لتحقيقها، و إنما نتحدث عن تحسن و تقدم بالمقارنة مع ما كانت عليه البلاد، على أمل الوصول إلى تحقيق الرقي الفعلي بالمقاييس الدولية في مختلف المجالات قريبا بإذن الله تعالى علينا الاعتراف بذلك الكم من الخدمات التي قدمتها الدولة للمواطن و التي ساهمت في تغيير عدة سلوكيات في المجتمع الجزائري بما فيها السلوك الإنجابي.

ملحق الجداول

جدول رقم(1) توزيع العينة حسب حالة المسكن.

النسب %	المجموع	حالة المسكن			نوع المسكن
		حالة أخرى	مسكن مستأجر	ملكية شخصية	
40.9	143	52	41	50	شقة
20	70	3	5	62	فيلا
28.3	99	20	13	66	حوش
6.3	22	10	0	12	بناء قصديري
4.6	16	9	5	2	حالة أخرى
100	350	94	64	192	المجموع

المصدر: نتائج البحث الميداني 2017/2016

جدول رقم (2) امتلاك الأسر لبعض الوسائل.

هل تملكون السيارة		هل تملكون الحاسوب		هل المنزل مزود بشبكة الانترنت		
النسب %	التكرارات	النسب %	التكرارات	النسب %	التكرارات	
52.6	184	60.6	212	50.3	176	نعم
47.4	166	39.4	138	49.7	174	لا
100	350	100	350	100	50	المجموع
المصدر: نتائج البحث الميداني 2017/2016						

جدول رقم (3) يمثل توزيع العينة حسب السن الحالي (عند وقت إجراء البحث الميداني).

الفئات	19-15	24-20	29-25	34-30	39-35	44-40	49-45	54-50	59-55
التكرارات	3	17	42	71	57	51	35	42	32
النسب %	0.9	4.9	12	20.3	16.3	14.6	10	12	9.1
المصدر: نتائج التحقيق الميداني 2017/2016									

جدول رقم (4) توزيع العينة حسب المستوى التعليمي للمرأة.

المستوى التعليمي	بدون تعليم	ابتدائي	متوسط	ثانوي	جامعي	ما بعد التدرج	المجموع
التكرارات	32	35	70	95	102	16	350
النسب %	9.1	10	20	27.1	29.1	4.6	100
المصدر: نتائج التحقيق الميداني 2017/2016							

جدول رقم (5): توزيع العينة حسب عدد الأطفال والمستوى التعليمي للمرأة.

المجموع	عدد الأطفال					المستوى التعليمي للمرأة
	أكثر من أربعة	أربعة	ثلاثة	اثنان	واحد	
32	10	10	8	3	1	بدون تعليم
35	5	11	7	9	3	ابتدائي
70	12	17	21	13	7	متوسط
95	2	8	27	35	23	ثانوي
101	1	6	21	34	39	جامعي
17	0	0	1	9	7	ما بعد التدرج
350	30	52	85	103	80	المجموع

المصدر: نتائج البحث الميداني 2016/2017

جدول رقم (6) سبب الرغبة في تحديد النسل.

النسب %	التكرارات	سبب الرغبة في تحديد النسل
22.4	32	الدخل لا يكفي لإعالة عدد كبير من الأطفال
0.7	1	الدخل لا يكفي + أسباب صحية + أسباب أخرى
0.7	1	الدراسة
22.4	32	الدخل جيد لكن الإنفاق على عدد أقل من الأطفال أفضل
20.3	29	أسباب صحية
9.1	13	الدخل لا يكفي + أسباب صحية
4.9	7	الدخل جيد + أسباب صحية

14	20	أسباب أخرى
1.4	2	الدخل لا يكفي + أسباب أخرى
2.1	3	الدخل جيد + أسباب أخرى
2.1	3	أسباب صحية + أسباب أخرى
100	143	المجموع
المصدر: نتائج البحث الميداني 2017/2016		

جدول رقم (7) توزيع العينة حسب الحالة المهنية واستعمال موانع الحمل وعدد الأطفال.

		الحالة المهنية				عدد الأطفال		
		لا		نعم				
		استعمال موانع الحمل		استعمال موانع الحمل				
		لا	نعم	لا	نعم			
0.86	01	32.76	38	% 2.60	06	%14.95	35	واحد
1.72	02	34.48	40	%1.70	04	%24.36	57	اثنان
0	00	24.14	28	%1.70	04	%22.65	53	ثلاثة
0.86	01	5.17	6	%0.43	01	%18.80	44	أربعة
0	00	0	0	%3.84	09	8.97%	21	أكثر من أربعة
3.44	04	96.56	112	10.27	24	89.73%	210	مجموع جزئي
		116 امرأة عاملة		234 امرأة غير عاملة				المجموع
المصدر: نتائج البحث الميداني 2017/2016								

جدول رقم (8) توزيع العينة حسب المستوى التعليمي، الحالة المهنية وعدد الأطفال.

الحالة المهنية										المستوى التعليمي للمرأة
نعم					لا					
عدد الأطفال					عدد الأطفال					
أكثر من أربعة	أربعة	ثلاثة	اثنان	واحد	أكثر من أربعة	أربعة	ثلاثة	اثنان	واحد	
0	0	2	0	0	10	10	8	3	1	بدون مستوى
0	2	1	1	0	5	11	5	9	3	ابتدائي
0	1	15	14	8	12	15	20	12	7	متوسط
0	4	10	24	25	2	7	12	21	15	ثانوي
0	0	0	3	6	1	2	11	10	14	جامعي
0	7	28	42	39	0	0	1	6	1	ما بعد التدرج
116 امرأة عاملة					234 امرأة غير عاملة					المجموع
المصدر: نتائج البحث الميداني 2017/2016										

قائمة المراجع:

1. عبد الرحمان العيساوي، الصحة النفسية والعقلية، دار النهضة العربية، بيروت 1992.*
2. أحمد عبد الحكيم بعطوش، التخطيط العائلي وأثره على القيم الاجتماعية في الأسرة الريفية، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع العائلي، جامعة الحج لخضر باتنة، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الديموغرافيا، 2013/2014.
3. قاعدة بيانات الخاصة بولاية وهران، الإحصاء العام للسكن والسكان في الجزائر 2008.

أثر غياب المرأة العاملة المتزوجة على اهتمامها بأطفالها:

دراسة ميدانية في مدينة وهران، الجزائر

الباحثة عمري فاطمة/جامعة وهران 2، الجزائر

107

ملخص

تعتبر تنشئة الطفل والاعتناء به لاسيما خلال الفترات الأولى من حياته أساسية، تتخللها مسؤولية كبيرة ملقاة على الأم لأنها امتداد لأدوارها داخل أسرتها، ومن ناحية أخرى تستغرق وقت طويل بشكل يومي لإنجاح هذه العملية الاجتماعية و ضمان الرعاية السليمة لطفلها.

على غرار ذلك، تواجه الأم العاملة تحديات كبيرة لضمان القيام بدورها داخل البيت و خارجه ، فمن هذا السياق سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية معرفة تأثير الوقت الذي تقضيه الأم العاملة على تنشئة أطفالها ، إضافة إلى معرفة تأثير عدد الأطفال في مدى توفيقها بعملها داخل و خارج البيت ، و ذلك بالاستناد على بيانات الدراسة الميدانية .

الكلمات المفتاحية: تنشئة الطفل ، الأم العاملة ، ادوار الأم العاملة ، اثر وقت العمل ، عدد الأوقات.

مقدمة :

تعتبر الأم مركز الاستقرار الداخلي والخارجي لأسرتها، فقد كرمها الله سبحانه وتعالى بوظيفة الإنجاب الذي تعكس لنا إعطاء روح جديدة للحياة ، فللطفل مكانة عظيمة لديها يظهر ذلك من خلال حرصها الدائم على تربيته و تنشئته ضمن مختلف المجالات اقتناعا منها بأنه رجل الغد ، بيد أن الواقع اليوم فرض عليها بطريقة أو بأخرى زيادة دور جديد تمارسه تتمثل خارج البيت فبالتالي إضافة ضغط جديد على البرنامج التي تعده كل يوم لتنجح في مختلف أدوارها ، لأن المسؤولية تقع مجملها عليها إذا ما اتسمت نظرتنا بالسلبية .

اتسم موضوع ولوج الأم إلى سوق العمل العديد من الآراء والجدل، لأن الوقت التي تقضيه المرأة خارج البيت يقتطع من رعايتها لأسرتها ولأسيما أطفالها، الذين يحتاجون إلى الرعاية والمتابعة في مختلف أعمارهم وبشكل اخص السنوات الخمسة الأولى.

فمن هذا السياق سطرنا الإشكاليات الآتية لإثارة موضوع الدراسة :

- هل يؤثر الوقت الذي تستغرقه المرأة العاملة المتزوجة خارج البيت على دورها في تنشئة أطفالها؟
 - هل توجد علاقة ما بين عدد الأطفال ونجاح المرأة الأم العاملة في التوفيق ما بين دورها داخل وخارج البيت ؟
- هذه التساؤلات من أجل الإجابة على الأهداف الآتية :

- معرفة تأثير الوقت الذي تقضيه الأم العاملة على اهتمامها بأطفالها.
 - معرفة تأثير عدد الأطفال في مدى توفيقها بعملها داخل وخارج البيت .
- نقترح الفرضيات الآتية للإجابة عن تساؤلاتنا :

- يؤثر الوقت الذي تقضيه الأم العاملة خارج البيت على اهتمامها بأطفالها .
 - يؤثر عدد الأطفال على مدى توفيق الأم العاملة لدورها داخل وخارج البيت.
- سنقوم بتقسيم الورقة البحثية إلى :

أولاً: الإطار النظري و المنهجي لموضوع الدراسة .

ثانياً: تحليل بيانات الدراسة الميدانية.

ثالثاً : الإجابة على فرضيات الدراسة .

رابعاً :الخاتمة .

أولاً : الإطار النظري و المنهجي لموضوع الدراسة

(1) المنهج المستخدم في الدراسة:

يعد المنهج الوصفي التحليلي من أهم المناهج المستخدمة في مختلف العلوم ولأن هذا الأخير "لا يقتصر فقط على وصف أي ظاهرة و إنما يتضمنه أيضا " جمع البيانات عنها و وصف الظروف و تحليل البيانات و استخراج الاستنتاجات و مقارنة المعطيات و بالتالي التوصل إلى نتائج يمكن تعميمها في إطار معين"¹.

¹ سلطانية بلقاسم ، 2014، ص 141.

² دكتور حسين عبد الحميد أحمد رشوان، 2011، ص 96.

(2) مفاهيم الدراسة :

أ. مفهوم عمل المرأة :

يعرف الدكتور حسين عبد الحميد أحمد رشوان¹ عمل المرأة على انه كل " ما يعتبر منه يدويا أو بدنيا أو ذهنيا سواء كان العمل حرفة حرة منزلية و غير منزلية أو كان باجر أو بمرتب أو بمكافئة أو المشاركة أي المساهمة في مؤسسة تمييزية بالعمل أو الخبرة مقابل حصة في الأرباح ، و يستوفي كذلك أن يكون العمل زراعيا أو تجاريا أو صناعيا مهنيا أو غير مهني طالما سمحت به طاقة المرأة و صلاحيتها لأدائه " و لقد انتقد تصنيف عمل المرأة فقط خارج البيت لأنه يرى انه " من الخطأ أن ننظر إلى العمل على انه مجرد مصدر للإيراد فحسب بل هو مظهر للنشاط الإنساني ، فالفرد غير العامل هو إنسان فارغ الحياة ، و لذلك من الخطأ الفادح اعتبار المرأة مخلوق فارغ .

أما الديوان الوطني للإحصائيات² بالجزائر فيعرف عمل المرأة أو ما يعرف بالمجتمع النشط النسوي الشغيل بأنه يتضمن مجموع العاملات خارج البيت مقابل أجر .

ب. المفاهيم الإجرائية للدراسة الميدانية:

1 مفاهيم خاصة بادوار المرأة :

- دور المرأة الاجتماعي: " تقوم بالأداء التعبيري بتوفير الدعم العاطفي و جوانب التنشئة الاجتماعية و الرعاية " ³ إضافة إلى الأعمال المنزلية كالطهي و ترتيب المنزل .
- دور المرأة الاقتصادي: في الماضي القريب كانت "الإعالة الاقتصادية منحصرة على الرجال " ⁴ و لكن في الوقت المعاصر تغير هذا النمط فمع خروج المرأة إلى العمل أصبحت مستقلة نسبيا اقتصاديا فحصلها على اجر مادي أتاح لها فرصة المساهمة الاقتصادية في أعباء المنزل .

(3) عينة الدراسة :

يستلزم أن تتوفر الشروط الآتية في عينة الدراسة :

- يتراوح سن المرأة ما بين (16-59) سنة يوم الاستقصاء.
- تشمل الحالة المدنية متزوجة .
- في حالة وجود أكثر من امرأة عاملة متزوجة داخل الأسرة المستوجبة، تخصص استمارة حسب عددهن.
- تمارس نشاطا مأجورا خارج البيت في إطار رسمي على الأقل منذ أسبوع قبل يوم الاستقصاء.

³ التعريفات موجودة في مختلف منشورات الديوان الوطني للإحصائيات المتعلقة بمسوحات الشغل و البطالة .

⁴ المحامي عبد الهادي عباس، 1986، ص(83-99).

⁵ سناء الخولي، الأسرة و الحياة العائلية، الطبعة الثانية، دار المسيرة، الأردن، 2015، ص 50.

⁶ أسماء المقاطعات الإدارية بالترتيب (سيدي الهواري، الأمير، سيدي البشير، المقرئ، الصديقية، ابن سينا، الحمري، العثمانية، المقراني، المنزه، البدر، بوعمامة)

4) الحدود المكانية للدراسة الميدانية:

- أسلوب اختيار العينة:

تم استخدام قاعدة بيانات السكن الخاصة بالإحصاء العام للسكان و السكن سنة 2008 لولاية وهران في اختيار العينة (الأسر).

1. تحديد وحدة العينة (الأسر):

اخترنا 500 أسرة من اجل التحقيق الميداني فسنوزع حجم عينتنا على 12 مقاطعة بطريقة نسبية.

جدول (01) : توزيع الأسر على مقاطعات دائرة وهران

رقم المقاطعة ¹	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	المجموع
مج الأسر	949	77832	7795	20093	6181	6841	4386	4694	4120	2834	7184	7579	89029
النسبة %	10,7	8,8	8,8	22,6	6,9	7,7	4,9	5,3	4,6	3,2	8,1	8,5	100
عينة الأسر	53	43	43	112	35	39	25	27	23	16	41	43	500

المصدر: من إنجاز الأستاذ الدكتور فضيل عبد الكريم بالاعتماد على بيانات السكن الخاصة بالإحصاء العام للسكان و السكن سنة 2008 لولاية وهران .

5) الحدود الزمنية للدراسة الميدانية:

تم القيام بالدراسة الميدانية خلال الفترة الممتدة ما بين (أوت 2016- فيفري 2017) ، استطعنا من خلالها استجواب أفراد العينة المختارة .

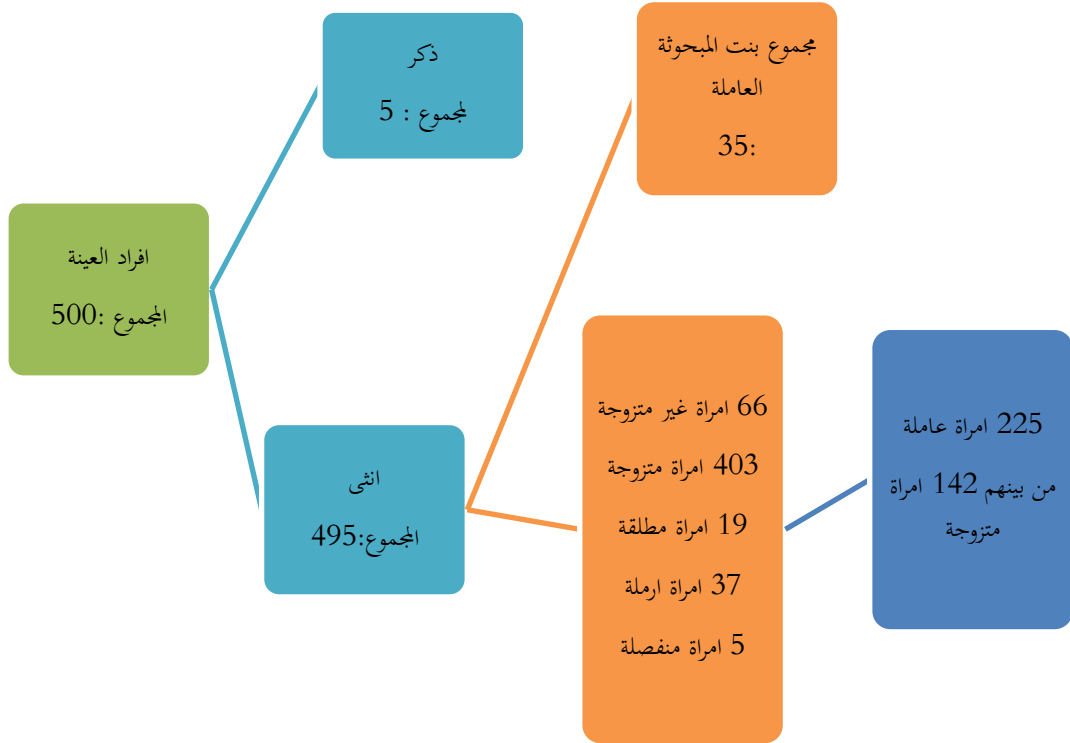
ثانيا : تحليل بيانات الدراسة الميدانية :

تعد هذه الدراسة الميدانية جزء من أطروحة الدكتوراه ، التي بنيت الاستمارة الخاصة بها للإجابة على مختلف الأهداف المتعلقة بعمل المرأة ، تم استجواب مختلف الحالات الاجتماعية على غرار المرأة غير متزوجة ، المتزوجة ، المطلقة ، الأرملة ، و المنفصلة ، فهذا ما ساعدنا من استخدام قاعدة البيانات الخاصة بفئة المرأة العاملة المتزوجة² .

² تم حذف باقي الفئات من قاعدة بيانات و ذلك وفق خاصية في برنامج SPSS ، المتمثلة فيما يلي :

(donnée----- sélectionner des observations---dans un intervalle de temps ou d'observations)

شكل بياني (01): توزيع أفراد عينة الدراسة الميدانية:



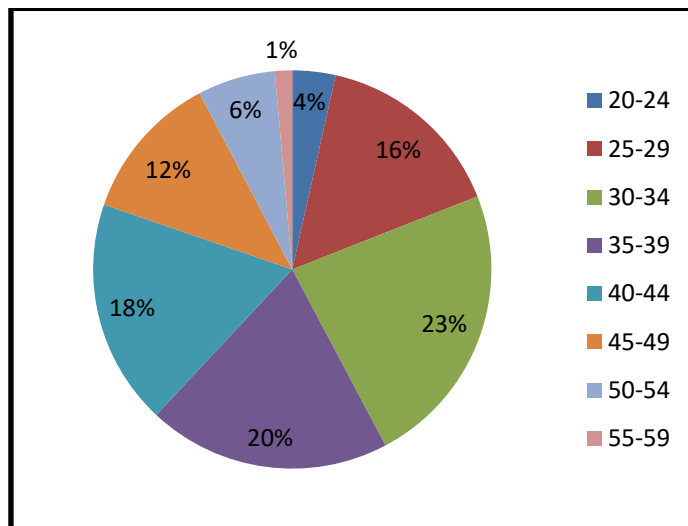
المصدر: قاعدة بيانات الدراسة الميدانية

1. البيانات الديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية للمرأة الأم العاملة

- توزيع عينة الدراسة وفق الفئات العمرية

يتبين لنا من خلال بيانات نتائج الدراسة استجواب نسبة كبيرة من الأمهات العاملات تتراوح أعمارهن ما بين (30-34) بنسبة 23,2 % ، تليها الفئة العمرية (35-39) بنسبة 19,7 % ، أما فيما يخص الفئة (40 – 44) بلغت النسبة 18,3 %.

شكل بياني(02): توزيع نسب عينة الدراسة وفق الفئات العمرية

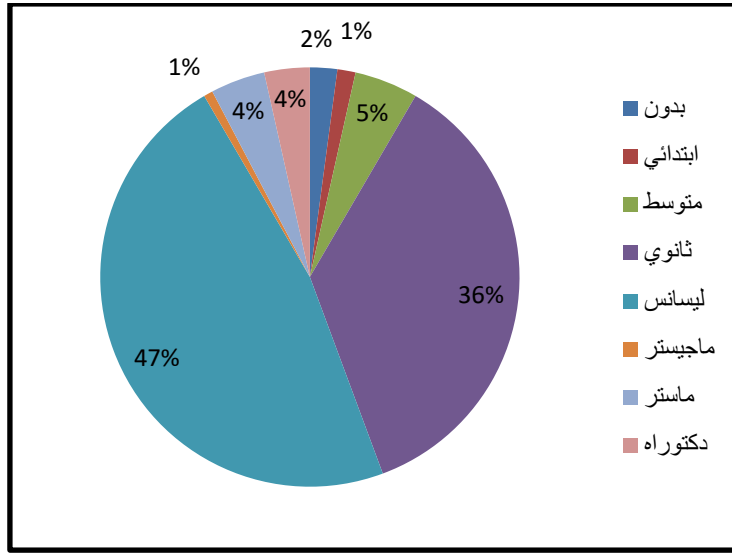


المصدر: بيانات الدراسة الميدانية

- توزيع عينة الدراسة وفق المستوى التعليمي

يعد فتح المجال لتعليم المرأة من أهم العوامل المساعدة على تسهيل الاندماج الاقتصادي، فالعلاقة طردية كلما ارتفع المستوى التعليمي ازدادت فرصة الظفر بوظيفة، من خلال الدراسة الميدانية نجد بأن نسبة من 47% من الأمهات العاملات حاصلات على شهادة ليسانس و هذا بمجموع 67 امرأة، يليها الحاصلات على مستوى ثانوي بنسبة 35,9%، أما باقي المستويات فقد شهدت انخفاض و لم تتجاوز نسبة 5%.

شكل بياني (03): توزيع نسب عينة الدراسة وفق المستوى التعليمي



المصدر: بيانات الدراسة الميدانية

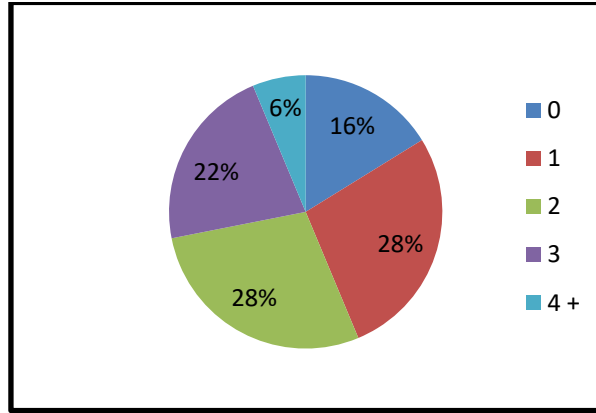
- توزيع نسب عينة الدراسة وفق عدد الأطفال الأحياء المقيمين عند أهلهم

يؤثر عدد الأطفال في المسؤولية الملقاة على الأم العاملة من ناحية تنشئتهم و رعايتهم طوال سنوات عديدة، بشكل خاص في الفترات العمرية الأولى للطفل التي تعتبر فيه الأم، فالفترات العمرية المبكرة يلزم استغلالها من طرف الأم لأنها تعتبر الموجه الرئيسي لمحيطه الخارجي.

من خلال بيانات 142 أم عاملة يتبين لنا أن نسبة إنجاب من طفل إلى طفلين حالة مناسبة للتوفيق ما بين عملهن داخل و خارج البيت، فقد شكلت نسبة الأمهات المنجبات لطفل 27,5% و المنجبات لطفلين 28,2%، على غرار ذلك أيضا نجد المنجبات لثلاث أطفال بلغت نسبة معتبرة قدرت 21,8%.

فمن خلال ذلك نستنتج بأن عامل الأطفال لا يؤثر بشكل كبير على الأم العاملة و استمرارها، لأن نسبة الأمهات العاملات بدون أطفال منخفضة مقارنة بما سبق ذكره فقد بلغت النسبة 16,2%.

شكل بياني(04) : توزيع نسب عينة الدراسة وفق عدد الأطفال الأحياء المقيمين عند أهلهم



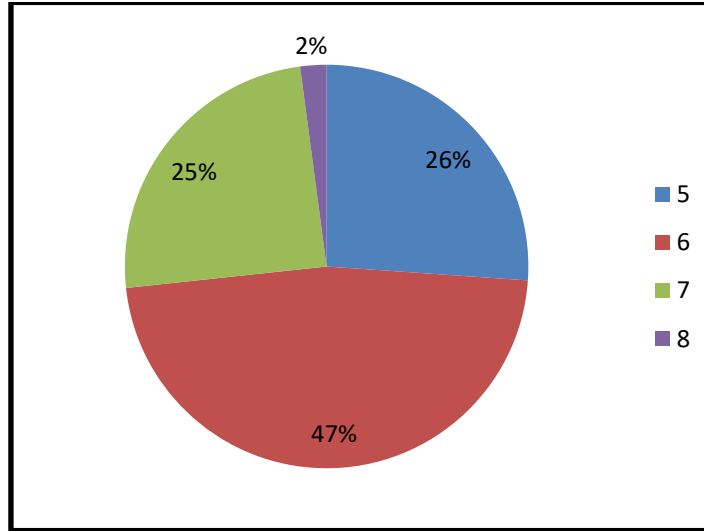
المصدر: بيانات الدراسة الميدانية

- توزيع عينة الدراسة وفق ساعة الاستيقاظ .

يتطلب العمل داخل وخارج البيت جهد كبير للام العاملة، ويعتبر وقت استيقاظها ابرز عامل مساعد للتخطيط معرفة كيفية تسيير يوم جديد ، مع ضمان أحداث التوازن ما بين أدوارها.

تبين لنا أن نسبة 47 % من عينة الدراسة تكون الساعة 6 صباحا ملائمة لاستيقاظهن، تليها نسبة 26 % يستيقظن على الساعة 5 صباحا ، و بنسبة متقاربة 25 % تكون فترة الاستيقاظ على الساعة 7 صباحا ، أما الساعة 8 صباحا فتشكل أدنى نسبة 2 % .

شكل بياني (05): توزيع نسب عينة الدراسة وفق ساعة الاستيقاظ



المصدر: بيانات الدراسة الميدانية

- توزيع عينة الدراسة وفق القيام بالأعمال المنزلية قبل الذهاب إلى العمل .

تمارس الأم العاملة بالعديد من الأعمال المنزلية قبل ذهابها إلى العمل بشكل خاص :

- تحضير وجبة الغداء فقد بلغت نسبة الأمهات اللواتي يقمن بذلك 66,9%.

- تنظيف وترتيب المنزل فقد بلغت النسبة الأمهات اللواتي يقمن بذلك 17,6% و تمثل أدنى نسبة، ويرجع ذلك بأن معظم الأمهات يقمن بهذا العمل خلال فترة عطلة الأسبوع لأن أيام العمل لا يتسنى لهن الوقت لذلك غسل الأواني فقد سجلنا النسبة المرتفعة من المستجوبات اللواتي يقمن بذلك بلغت 66,9%.
- غسل الملابس فقد قدرت نسبة 41,5% من المستجوبات صرحن بأنهن أحيانا يقمن بذلك.

جدول (02) توزيع عينة الدراسة وفق القيام بالأعمال المنزلية قبل الذهاب إلى العمل

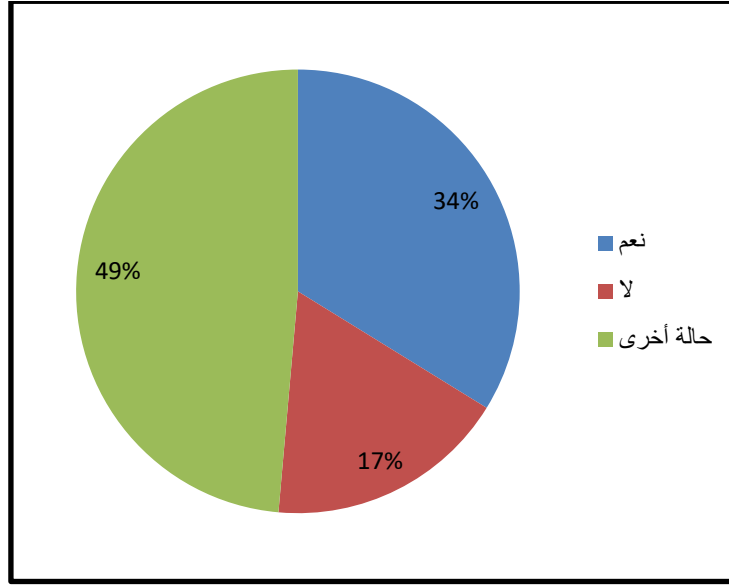
غسل الملابس		غسل الأواني		تنظيف وترتيب المنزل		تحضير وجبة الغذاء		الاحتمالات
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
1,4	2	66,9	95	17,6	25	66,9	95	نعم
57,0	81	18,3	26	54,9	78	21,8	31	لا
41,5	59	14,8	21	27,5	39	11,3	16	أحيانا
100,0	142	100,0	142	100,0	142	100,0	142	المجموع

المصدر: بيانات الدراسة الميدانية

- توزيع عينة الدراسة وفق الشخص المكلف بتوصيل الأطفال إلى مدارسهم. يعتبر القيام بتوصيل الأطفال إلى مدارسهم من أهم مظاهر الاعتناء بهم، لما يبعث في نفسياتهم مدى الاهتمام المحاط بهم من طرف الوالدين .
- فمن خلال السؤال المطروحة لعينة الدراسة حول ذلك، تبين لنا أن نسبة 34% منهن يقمن بذلك، أما اللاتي لا تقمن بذلك فقدرت النسبة 17%.

أما نسبة 49% فقد صرحن بحالة أخرى و يرجع ذلك كما أسلفنا الذكر بأن أطفالهن دون سن التمدرس .

شكل بياني (06): توزيع نسب عينة الدراسة وفق توصيل الأطفال إلى مدارسهم



المصدر: بيانات الدراسة الميدانية

- توزيع عينة الدراسة وفق توصيل الأطفال إلى المدارس وامتلاك سيارة .

إضافة إلى ذلك تقوم الأمهات العاملات بتوصيل أطفالهن إلى مدارسهن بشكل يومي وبلغ مجموعهن 48 امرأة، وهذا أمر ليس بالهين لأنه يتطلب وجود وقت لأننا نعرف بان في غالبية الأحيان يكون دوام العمل مثل دوام المدرسة ، فلذلك لابد من معرفة إذا كان هناك علاقة ما بين امتلاكهن لسيارة .

فنسبة الأمهات العاملات الممتلكات لسيارة و توصلن أطفالهن إلى المدارس مجموع 15 امرأة، بيد أن مجموع 33 امرأة لا يملكن سيارة و لمن يوصلن أطفالهم إلى المدارس.

جدول (03): توزيع عينة الدراسة وفق توصيل الأطفال إلى المدارس وامتلاك سيارة

هل تمتلكين سيارة ؟			السؤال
نعم	لا	المجموع	
15	33	48	هل تقومين بتوصيل أطفالك إلى مدارسهم ؟
9	17	26	
24	53	74	المجموع

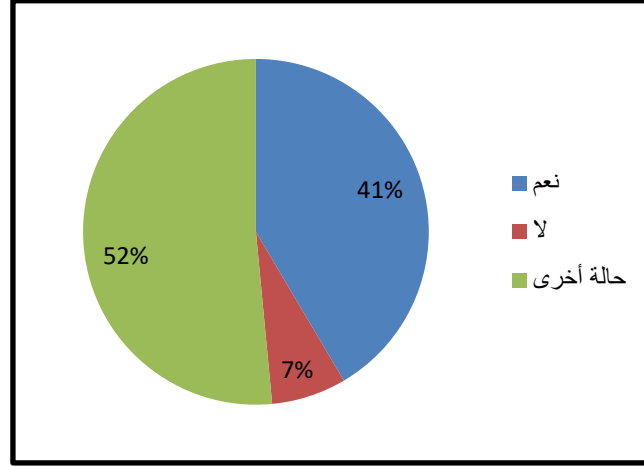
المصدر: بيانات الدراسة الميدانية

- توزيع عينة الدراسة وفق تدريس الأطفال

يعد تدريس الأطفال من بين أسس التنشئة السليمة ، فيستلزم على الأم العاملة أن يكون ذلك من أولوياتها وسط الزخم الكبير الذي تعرفه .

بيد أن نسبة 41% من الأمهات العاملات تقمن بتدريس أطفالهن، بالرغم من تزامن ذلك بشكل خاص وقت رجوعهن من العمل و من ناحية أخرى أثناء قيامهن بالأعمال المنزلية و إعداد وجبة العشاء وفق ما صرحت به العديد منهن .

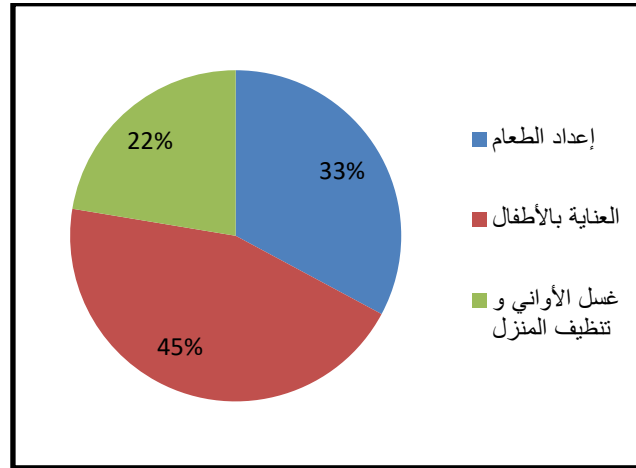
شكل بياني (08): توزيع نسب عينة الدراسة وفق تدريس الأطفال



المصدر: بيانات الدراسة الميدانية

أما نسبة 52% من عينة الدراسة من الأمهات العاملات أجبن "حالة أخرى" يرجع السبب لأن بعضهن أطفالهن ليسوا في سن الدراسة، أما البعض الآخر من هذه النسبة فترجع مهام التدريس للأب، فنستدل أيضا في هذا السياق بان نسبة 45% من المستجوبات صرحن بأن من ابرز المساعدة التي يتلقينها من طرف أزواجهن تتمثل في العناية بأطفالهم تتضمنها تدريسهم .

شكل بياني (07): توزيع نسب مساعدة الزوج للام العاملة



المصدر: بيانات الدراسة الميدانية

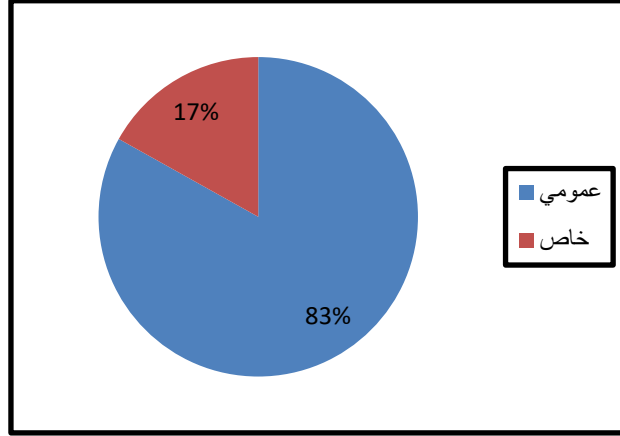
2. البيانات المهنية لعينة الدراسة:

- توزيع عينة الدراسة وفق قطاع العمل

تتوزع نسبة 83% من المستجوبات بشكل مرتفع في القطاع العمومي، يرجع ذلك إلى مختلف المزايا التي يشهدها هذا القطاع لاسيما: وقت العمل، ضمان التقاعد و كذا عطلة الأمومة و ساعات الرضاعة، يشهد هذا التوزيع بقدر كبير تشابه مع نسبة

العاملات في هذا القطاع على المستوى الوطني الذي بلغ نسبة 63 % سنة 2016 وفق الديوان الوطني للإحصائيات¹، أما القطاع الخاص فبلغت النسبة 17 % من العاملات .

شكل بياني (09):توزيع نسب عينة الدراسة وفق قطاع العمل

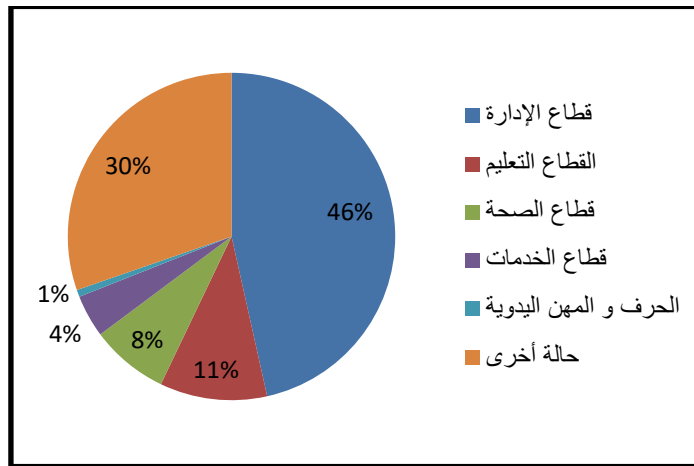


المصدر: بيانات الدراسة الميدانية

- توزيع عينة الدراسة وفق القطاع الإداري

أما القطاع الإداري فنجد بأن نسبة 46% من المستجوبات يشغلن مناصب في قطاع الإدارة ، يليه قطاع التعليم بنسبة 30 % ثم قطاع الخدمات بنسبة 11 %، يعد التوزيع امتدادا لما تقوم به من اهتمامات داخل البيت فبالتالي الولوج إلى سوق العمل لم يصاحبه التميز ضمن تخصصات تكنولوجية أو علمية ، واقتصرت المشاركة الاقتصادية في "القطاعات النسوية" .

شكل بياني(10):توزيع نسب عينة الدراسة وفق القطاع الإداري

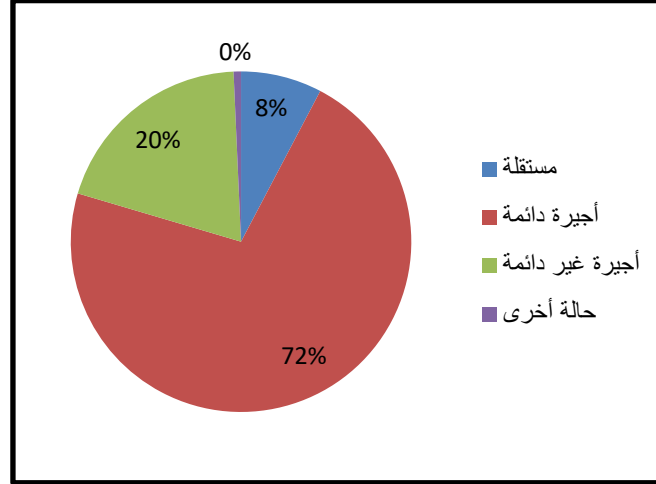


المصدر: بيانات الدراسة الميدانية

- توزيع عينة الدراسة وفق وضعيتها في العمل

تعتبر وضعية عمل للأم العاملة ضروري لمدى استمرارية نشاطها، ما يفسر لنا ذلك بيانات المستجوبات في هذه الناحية فقد بلغت نسبة 72 % منهن تعملن في إطار "أجيرة دائمة"، تليها نسبة 20 % تعملن كأجيرة غير دائمة.

شكل بياني (11): توزيع نسب عينة الدراسة وفق وضعيتها في العمل



المصدر: بيانات الدراسة الميدانية

- توزيع عينة الدراسة وفق الأجر الشهري لعمليها

كما سبق الذكر نسبة الأمهات العاملات الحاصلات على شهادة ليسانس تشكل أعلى نسبة، لذلك نجد الأجر الذي تتقاضاه مرتفع مقارنة بباقي الحالات فنسبة 40,1 % منهن يحصلن شهريا على أجر يتراوح ما بين (30000 - 50000) دج يليها الأجر الذي يتراوح ما بين (20000-30000) دج بنسبة 35,9 %.

جدول (04): توزيع عينة الدراسة وفق الأجر الشهري لعمليها

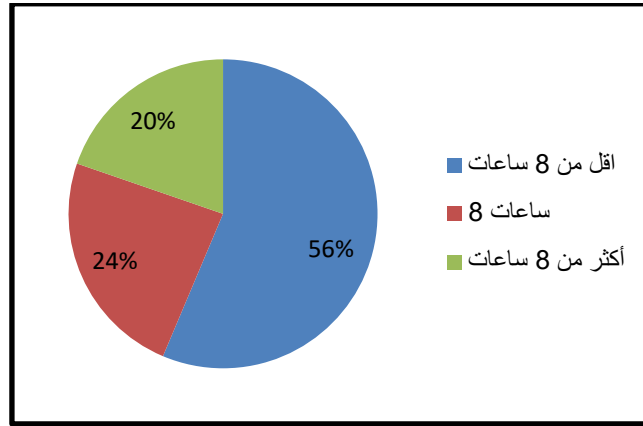
النسبة	التكرار	قيمة الأجر
6,3	9	اقل من 15000
14,8	21	15000-20000
35,9	51	20000-30000
40,1	57	30000-50000
2,8	4	60000-10000
100,0	142	المجموع

المصدر: بيانات الدراسة الميدانية

- توزيع نسبة عينة الدراسة وفق ساعات العمل خارج البيت

تشكل فترة الغياب عن المنزل للأم العاملة إرهاق بشكل كبير، فوفق تصريحات المستجوبات نجد بأن نسبة 56% منهن يعملن لأقل من 8 ساعات، و نسبة 24% منهن تعملن لمدة 8 ساعات، بينما اللواتي يعملن لأكثر من 8 ساعات يوميا فبلغت النسبة % 20

شكل بياني (12) : توزيع نسبة عينة الدراسة وفق ساعات العمل خارج البيت



المصدر: بيانات الدراسة الميدانية

تنقص عدد ساعات العمل من فترة تواجدها، لذلك يلزم على أي أم عاملة ضرورة إيجاد بديل لها أو بمعنى أصح من سيعوض غيابها؟ و من سيرعى أطفالها خلال هذه الفترة؟

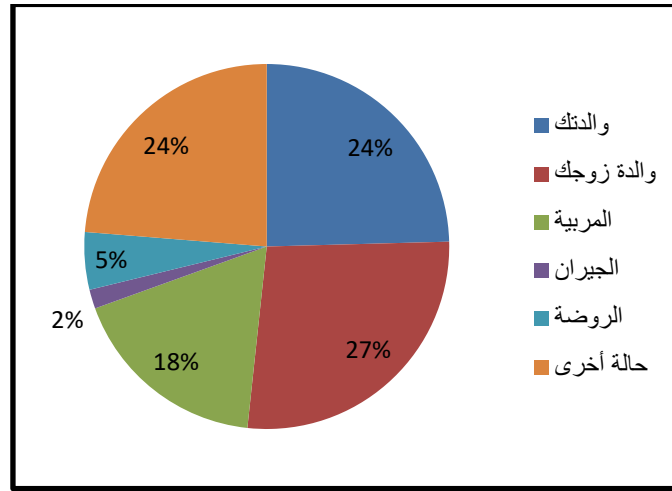
فهذا ما دفعنا إلى معرفة الشخص المؤتمن لتولي هذه المهمة فمن خلال مختلف إجابات الأمهات العاملات، تبين لنا أن نسبة 27% منهن تكون "والدة الزوج" المتكلف الرئيسي بالعناية بأطفالها فيعتبر ذلك أمر مميز لأنه من جهة يعكس مدى التغيير الثقافي لدى أسرة الزوج اتجاه المرأة العاملة، و من جهة أخرى الاستقرار و الطمأنينة التي تتمتع بها جل المستجوبات .

على غرار ذلك نجد النسب متساوية المقدرة ب 24% ما بين "والدة الأم العاملة" التي امتدت مساندها لابنتها بالرغم من زواجها فنستنتج بأن الأدوار التي كانت ترثها البنت عن والدتها في الماضي القريب كالأعمال المنزلية و رعاية العائلة تغيرت إلى ضرورة عمل البنت مع منحها المساعدة .

أما بالنسبة للإجابة الحاصلة على نفس النسبة تمثلت في "حالة أخرى" فوفق تصريحات المستجوبات فبعضهن ليس لديهن من يعتني بأطفالهم مع العلم أن أطفالهم لهم المقدرة بشكل نسبي الاهتمام بأمورهم الشخصية مثلا خلال فترة الخروج من المدرسة يتوجهون مباشرة إلى المنزل و يقومون بتناول الغذاء و تحضير واجباتهم المنزلية . و من جهة أخرى يوجد بعض المستجوبات صرحن بأن الأب المسؤول عنهم فترة غيابهم .

أما باقي الحالات فنجد بأن نسبة 18% اخترن "المربية"، أما فيما يخص الروضة بلغت نسبة 5% من النساء اللواتي يلجأن إلى هذا الخيار، و نسبة 2% منهن يدعن أطفالهن لدى الجيران.

شكل بياني (13): توزيع نسب عينة الدراسة وفق الشخص الذي يرعى أطفالها

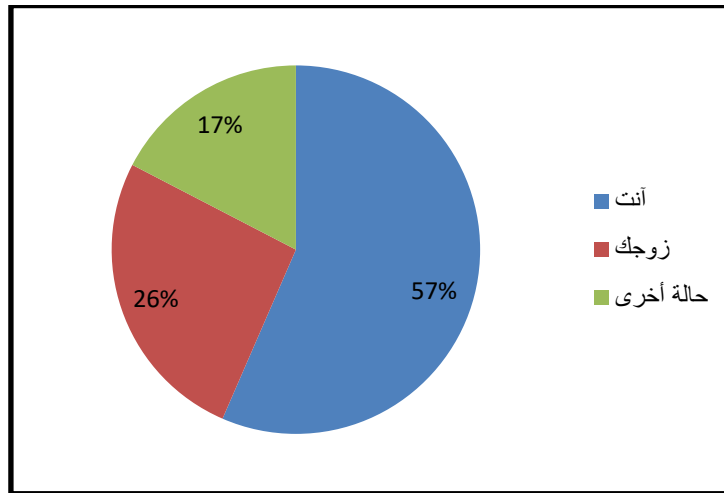


المصدر: بيانات الدراسة الميدانية

بلغ مجموع الأمهات العاملات اللواتي اخترن المربية كبديل لرعاية أطفالها 23 امرأة، بحيث نسبة 91% منهن تكون الرعاية في بيتها، و نسبة 9% في بيت الأم العاملة .

تتكلف المرأة بتوصيل أطفالها إلى بيت المربية فبلغت النسبة 57%، و ذلك ليس مقتصر عليها فقط فنجد بأن الزوج يتقاسم ذلك أيضا فقد صرحت نسبة 26% من الأمهات العاملات بأنه يقوم بذلك، أما نسبة 17% فيقوم أحد أفراد الأسرة بذلك.

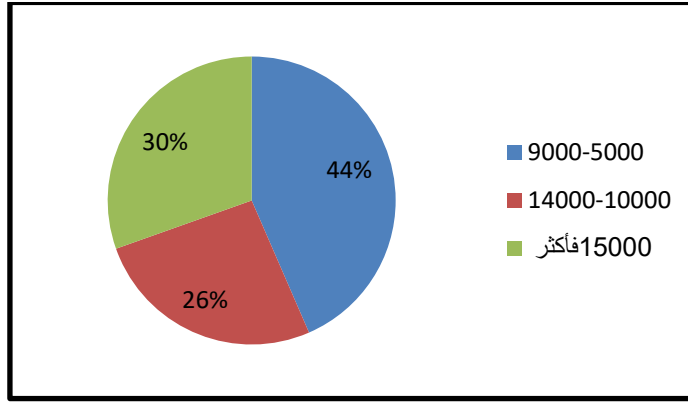
شكل بياني (14): توزيع نسبة عينة الدراسة وفق المكلّف برعاية الأطفال.



المصدر: بيانات الدراسة الميدانية

من جهة أخرى الأجر التي تتقاضاه المربية تدفعه الأم العاملة ، بحيث نجد بأن نسبة 44% تدفع الأجر يتراوح ما بين 5000 - 9000 دج ، يليه نسبة 30% تدفع قيمة الأجر 15000 دج فأكثر ، أما قيمة الأجر الذي يتراوح ما بين 10000-14000 دج بلغت نسبة النساء التي تدفع ذلك 26%.

شكل بياني (15): توزيع نسبة عينة الدراسة وفق الأجر الذي تتقاضاه المربية

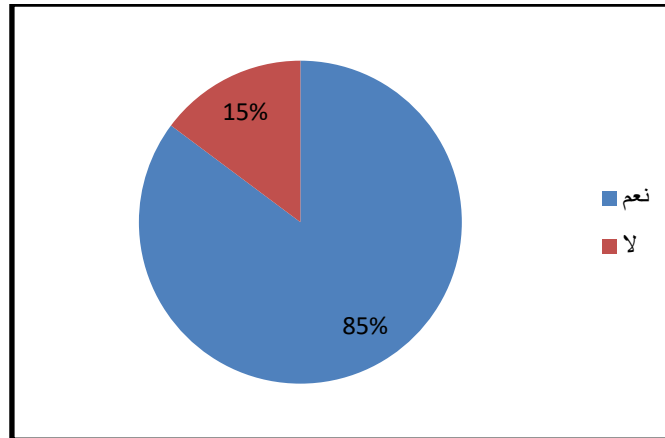


المصدر: بيانات الدراسة الميدانية

- توزيع عينة الدراسة وفق التوفيق في العمل داخل وخارج البيت

تمارس الأم العاملة مختلف الأدوار ما بين كونها أم و زوجة و مربية و فاعلة اقتصادية، فالتساؤل الذي أثار العديد من الجدل هل تستطيع التوفيق بين كل ذلك ؟ فكانت نسبة الإجابة على ذلك ماهرة للغاية استطاعت نسبة 85 % منهن النجاح في ذلك ، أما نسبة 15 % لم تستطعن ذلك ليس ضعفا منها و إنما نظرا للمسؤوليات الثقيلة .

شكل بياني (16) توزيع نسب عينة الدراسة وفق مدى نجاح المرأة في التوفيق ما بين عملها داخل وخارج البيت .

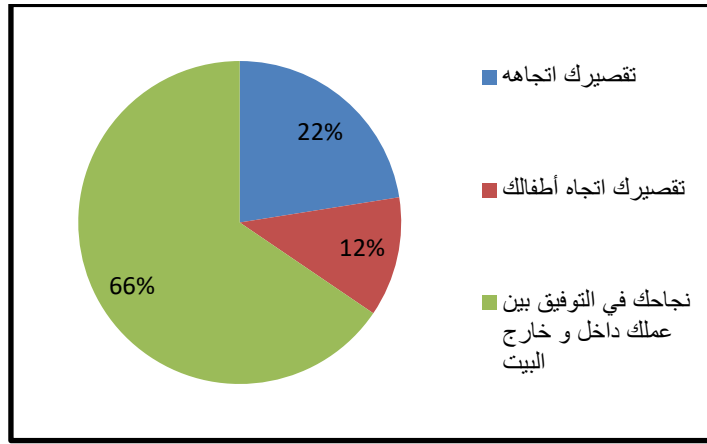


المصدر: بيانات الدراسة الميدانية

النجاح الذي أظهرته الأم العاملة في التوفيق ما بين واجبها اتجاه عائلتها و عملها خارج البيت، استلزم علينا أيضا معرفة تقييم آراء أزواج المستجوبات حول هذا السياق .

فمن خلال بيانات الدراسة نجد أن نسبة 65 % من العاملات صرحن بأن أزواجهن يرون بأنهن نجحن في التوفيق ما بين عملهن داخل و خارج البيت ، على غرار ذلك نجد بأن 22 % من العاملات يرى أزواجهن بأنهن مقصرات اتجاههم ، أما أدنى نسبة 12 % فيرى أزواج المستجوبات بأنهن مقصرات اتجاه أولادهن .

شكل بياني (17): توزيع نسب آراء أزواج المستجوبات حول مدى توفيقهن في عملهن داخل وخارج البيت



المصدر: بيانات الدراسة الميدانية

ثالثا: تقييم فرضيات الدراسة :

سنقوم باستخدام بعض الأساليب الإحصائية للإجابة على فرضيات الدراسة .

الفرضية الأولى : يؤثر الوقت الذي تقضيه الأم العاملة خارج البيت على الوقت الذي تقضيه مع أطفالها

سنستخدم معامل الارتباط سبيرمان (Spearman) الذي يهدف إلى دراسة العلاقة ما بين متغيرين مقاسان بمقياس ترتيبي .

- الفرضية الصفرية: لا يمكننا أن نفترض بوجود علاقة ذات دلالة إحصائية في ما بين الوقت الذي تقضيه الأم

العاملة خارج البيت يؤثر على الوقت الذي تقضيه مع أطفالها عند مستوى المعنوية الذي يقدر ب0,05 .

- الفرضية البديلة : يمكننا أن نفترض بوجود علاقة ذات دلالة إحصائية في ما بين الوقت الذي تقضيه الأم العاملة

خارج البيت يؤثر على الوقت الذي تقضيه مع أطفالها عند مستوى المعنوية الذي يقدر ب0,05 .

من خلال نتيجة اختبار سبيرمان نجد بأن درجة الارتباط طردي ضعيف و قيمته 0,011 عند مستوى دلالة معنوية تساوي

0,900، التي تعتبر أكبر من مستوى المعنوية الذي يقدر ب0,05، فبالتالي نرفض الفرضية البديلة ، و نقبل الفرضية الصفرية

التي تقر بعدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية ما بين الوقت الذي تقضيه الأم العاملة خارج البيت يؤثر على الوقت الذي

تقضيه مع أطفالها .

جدول (06): نتيجة اختبار معامل سيرمان لتأثير الوقت الذي تقضيه الأم العاملة خارج البيت على الوقت الذي تقضيه مع أطفالها

اختبار معامل سيرمان		كم عدد الساعات التي تقضيها في عملك؟	هل الوقت الذي تقضيه مع أطفالك؟
كم عدد الساعات التي تقضيها في عملك؟	درجة الارتباط	1,000	,011
	مستوى الدلالة المعنوية	.	,900
	المجموع	142	142
هل الوقت الذي تقضيه مع أطفالك؟	درجة الارتباط	,011	1,000
	مستوى الدلالة المعنوية	,900	.
	المجموع	142	142

المصدر: بيانات الدراسة الميدانية

الفرضية الثانية: يؤثر عدد الأطفال على مدى توفيق الأم العاملة لدورها داخل و خارج البيت .

- الفرضية الصفرية: لا يمكننا أن نفترض بوجود علاقة ذات دلالة إحصائية في ما بين عدد الأطفال على مدى توفيق الأم العاملة لدورها داخل و خارج البيت عند مستوى المعنوية الذي يقدر ب0,05 .

- الفرضية البديلة: يمكننا أن نفترض بوجود علاقة ذات دلالة إحصائية في ما بين عدد الأطفال على مدى توفيق الأم العاملة لدورها داخل و خارج البيت عند مستوى المعنوية الذي يقدر ب0,05 ..

تبين لنا من خلال نتيجة اختبار مربع كاي الذي قيمته تساوي 2,633 مع درجة حرية تقدر ب 4 إضافة إلى مستوى دلالة معنوية تساوي 0,621 ، هذه القيمة الأخيرة تعتبر أكبر من مستوى المعنوية الذي يقدر ب0,05 .

وفقاً لهذه النتيجة سنقبل الفرضية الأولى التي تقر بعدم وجود علاقة ما بين تأثير عدد الأطفال على مدى توفيق الأم العاملة لدورها داخل و خارج البيت .

جدول (07) : نتيجة اختبار مربع كاي بالنسبة لتأثير عدد الأطفال على مدى توفيق الأم العاملة لدورها داخل وخارج البيت

قيمة الاختبار	درجة حرية	مستوى دلالة معنوية	اختبار مربع كاي
2,633 ^a	4	,621	

المصدر: بيانات الدراسة الميدانية

خاتمة :

من خلال إجابتنا على متخلف تساؤلات موضوع الدراسة ، تبين لنا بأن متغيري عدد الأطفال أو الوقت الذي تستغرقه الأم العاملة في عملها لا يؤثران على مدى توفيقها ما بين دورها كربة أسرة أو كفرد منتج اقتصاديا .
فوق نتائج الدراسة السابقة تبين لنا بأن الأم تقوم بالعديد من الجهود لتعويض غيابها، فوجدت بدائل لذلك أهمها أفراد أسرتها كوالدة الزوج ، والدتها أو المربية .

ومن جهة أخرى استطاعت برمجت مهامها على مدار اليوم ابتداء من وقت استيقاظها، إلى قيامها بالأعمال المنزلية قبل ذهابها إلى العمل و فور عودتها، إضافة إلى دورها الأهم بتدريس الأطفال وسط كل الزخم التي تشهده .

قد يتبادر إلى أذهانها إضافة إلى نتيجة تفوقها في التوفيق ما بين عملها داخل وخارج البيت ما هو سر هذا النجاح ؟
فوق دردشة المستجوبات خارج نطاق الأسئلة المطروحة فتبين لنا بان كل واحدة منهم تعتمد على رغبتها في مواصلة عملها و عدم إظهار إرهاقها بالرغم من كل الضغوطات التي تلقاها و بشكل يومي و تنظيم وقتها وفق تخطيط يومي ، أسبوعي و شهري ساعدها على ذلك ، أما وفق بيانات الدراسة فنجد أيضا التغييرات التي شملت الذهنيات للأسرة الجزائرية عامل مهم أيضا فالمساعدة و الاحتواء التي تحضاه من طرف الزوج و والدة الزوج و والدة الأم العاملة جزء مساهم أيضا في هذا النجاح .

قائمة المراجع :

1. حسين عبد الحميد احمد رشوان، المرأة و المجتمع دراسة في علم اجتماع المرأة، دار الوفاء لنديا الطباعة و النشر، الطبعة الثانية، الإسكندرية 2011
2. سناء الخولي، الأسرة و الحياة العائلية، الطبعة الثانية، دار المسيرة، الأردن، 2015.
3. سلطانية بلقاسم، مدخل لمنهج البحوث الاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014
4. عبد الهادي عباس - المرأة و الأسرة في حضارات الشعوب و أنظمتها، الجزء الأول، مطبعة العلجوني، الإسكندرية 1986.
5. "SPSS for beginners ; lesson 5"two variables description" عبد الفتاح مصطفى محمد،
6. office national des statistiques, activité emploi&chômage en avril 2016 collection statistique n :748 ,Alger , 2016 .

استبيان الدراسة الميدانية

كما أسلفنا الذكر سنقوم فقط بذكر الأسئلة التي استخدمنا في هذه الدراسة

س(01): ما هو عمرك الحالي؟(سنة الميلاد)

س(02): ما هو مستواك التعليمي؟ 1- بدون 2- ابتدائي 3- متوسط 4- ثانوي

5 - جامعي (ليسانس ماجستير ماستر دكتوراه)

س(03): ما هو عدد أطفالك الأحياء المقيمين معك؟

س(04): ما هي مهنتك؟

س(05): ما هو نمط المهنة؟

1- مستخدمة 2- مهنة مستقلة 3- أجيرة دائمة 4- أجيرة غير دائمة 5- حالة أخرى

س(06): في أي قطاع تشتغلين؟

1- عمومي 2- خاص 3- مختلط

س(07): ما هو دخلك؟

1- اقل من 15000 دج 2- (20000-15000) 3- (30000-20000) 4- (30000 دج – 50000 دج) 5- (60000 دج -100000 دج) 6- 110000 دج فأكثر

س(09): متى تستيقظين في الصباح؟

س(10): هل تحضرين وجبة الغداء قبل ذهابك إلى العمل؟

1- نعم 2- لا 3- أحيانا

س(11): هل تقومين بالأعمال المنزلية قبل ذهابك إلى العمل؟ 1- نعم 2- لا 3- أحيانا

س(12): هل تقومين بغسل الأواني قبل ذهابك إلى العمل؟ 1- نعم 2- لا 3- أحيانا

س(13): هل تقومين بغسل الملابس قبل ذهابك إلى العمل؟ 1- نعم 2- لا 3- أحيانا

س(14): هل تمتلكين سيارة؟

1- نعم 2- لا

س(15): كم عدد الساعات التي تقضيها في عملك؟

1- اقل من 8 ساعات أكثر من 8 ساعات حالة أخرى

س(16): هل تستطيعين التوفيق بين رعاية أسرتك و عملك المهني؟

1- نعم 2- لا

س(17): هل تقومين بتوصيل أطفالك إلى مدارسهم؟

1- نعم 2- لا

- إذا كانت الإجابة (نعم) هل يكون ذلك ؟

1- يوميا 2- أسبوعيا 3- شهريا

س(18) : من يهتم برعاية أطفالك في غيابك ؟

1- والدتك 2- والدة زوجك 3- المربية 4- الجيران 5- الروضة 6- حالة أخرى

س(19) : إذا كانت الإجابة (المربية) هل تهتم بهم في ؟

1- بيتك 2- بيتها

س(20) : إذا كانت الإجابة(2) هل مكان إقامتها ؟

1- قريب جدا 2- قريب نوعا ما 3- بعيد جدا

س(21) : من يصطحب أطفالك إليها ؟

1- أنت 2- زوجك 3- حالة أخرى

س(22) : هل تواجهين صعوبات معها ؟

1- نعم 2- لا

س(23) : ما قيمة الراتب الذي تتقاضاه شهريا ؟

س(24) : هل تقومين بتدريس و متابعة مسارهـم الدراسي ؟

1- نعم 2- لا

- إذا كانت الإجابة(نعم) هل يكون ذلك ؟

1- يوميا 2- أسبوعيا 3- شهريا

س(25) : هل الوقت الذي تقضينه مع أطفالك ؟ 1- كاف جدا 2- نوعا ما 3- غير كاف إطلاقا

س(26) : هل يساعد زوجك في التوفيق بين العمل و البيت ؟ 1- نعم 2- لا

س(27) : إذا كانت الإجابة - نعم - في ما تتمثل هذه المساعدة ؟

1- إعداد الطعام 2- مساعدة الأطفال في الواجبات المنزلية 3- ترتيب المنزل و غسل الأواني

- إذا كانت الإجابة - لا - لماذا لا يساعدك ؟

1- ليس من شأنه أمور البيت 2- إنقاص من قيمته و هيئته

س(28) : هل يشعر زوجك ؟

1- تقصيرك اتجاهه 2- تقصيرك اتجاه أولادك 3- نجاحك بالتوفيق بينه و عملك و أولادك

حول الدعوة إلى "فيمينيزم إسلامية"

وهل من الممكن "تمكين" المرأة أو "التمركز حول الأنثى" في مجتمعات مقهورة؟

د. نهلة عبد الله الحريبي/جامعة صنعاء، اليمن

ملخص:

كثرت الدعوات إلى "تطوير" النظرة الإسلامية لوضع المرأة في أسرتها ومجتمعها، بل ولتصورها لذاتها وهويتها تماشياً مع الواقع السائد وهيمنة الأيديولوجيا الغربية، منها مقال الدكتور طارق رمضان على موقعه باللغة الانجليزية تحت عنوان، "ولادة فيمينيزم إسلامية"¹ وتفاعلاً مع هذه الموجة أتقدم بمقالي هذا والذي قسمته إلى جزأين، الأول منهما بمثابة مقدمة ضرورية لتبيان الخلفية الواقعية لاختياري موضوع المرأة والأسرة المسلمة في أبحاثي الأكاديمية وفي كتاباتي المنشورة. والجزء الثاني أفصل فيه محاولات التحليلية لإرساء مفاهيم في علم اجتماع الأسرة تكون أكثر تعبيراً من المفاهيم الغربية عن واقع المجتمعات العربية، وللوصول إلى تعريفات تعكس هوية وآمال المرأة العربية للانعتاق والتمكين والسعادة. وبالرغم من أننا نعيش عصر "العولمة" وما تزعمه من التعبير عن المشترك الإنساني، إلا أنه لم يعد خافياً على كل ذي بصيرة حاجتنا إلى نموذج بديل للنسوية الغربية نعيد فيه تشكيل حركة تحرير وتمكين المرأة العربية وصياغة تعريف مصطلحات هذا النموذج بما يلائم أوضاعنا وطموحاتنا. وبين التبني المطلق للنسوية الغربية والرفض المطلق لها، أقدم نموذجاً مطروحاً للحوار الأكاديمي قائم على نتائج أبحاثي للماجستير والدكتوراه في الولايات المتحدة والتي أجريتها على جاليتين عربيتين/إسلاميتين: الجالية اليمنية في مدينة ديترويت، ولاية ميتشيغن والجالية الصومالية في مدينة كولومبوس، ولاية أوهايو. كان المبحث المحوري في أبحاثي هو: كيف تشكل الأسر العربية/المسلمة نمط اندماجها في المجتمع الأمريكي الكبير من حولها - وخاصة فيما يتعلق بالأدوار والهويات والعلاقات "الجنديرية" - بدون انعزال وانغلاق يهشم الجالية أو ذوبان يلغي كل خصوصية واستقلالية ثقافية. وقد خلص تحليلي بعد إجراء مقابلات شملت 20 امرأة في بحث الماجستير و38 زوج وزوجة في بحث الدكتوراه إلى أن النساء في هاتين العينيتين نجحن إلى حد كبير في المواءمة بين الثقافتين اللتين ينتمين إليهما: ثقافة البلد الأصلي وثقافة بلد المهجر، وأن فهمهن للإسلام كان عاملاً مساعداً لتكوين والتناغم بين عناصر هويتهم المركبة الجديدة².

الكلمات المفتاحية: الأسرة المسلمة في الغرب، تحرير وتمكين المرأة العربية، النسوية الإسلامية، الإسلام واندماج المهاجرين المسلمين في الغرب.

¹ Tariq Ramadan, The Birth of Islamic Feminism. November 2016. Official Website

² al-Huraibi, Nahla. 2014; al-Huraibi, Nahla and Konradi, Amanda. 2012; al Huraibi, Nahla. 2017

في بداية مقالتي أؤكد على نقطتين رئيسيتين:

*لنا- نحن معشر النساء العربيات - أن نناضل للمطالبة بما منحنا إياه الإسلام وأنكرته علينا العادات والتقاليد والتفسيرات المتنوعة البالية، وبحقنا في أن نخوض مجال العلم والتعليم والاجتهاد لنشارك مشاركة أصيلة في صياغة علاقة واقعنا ومقتضياته بالنصوص الثابتة. وعلينا أن نجاهد "رهاب التغيير" في أنفسنا ومجتمعنا لتغلب على الجمود والتوجس من أي تغيير،

* عند اجتهادنا لتلمّح الرؤية المستقبلية للمرأة العربية/ المسلمة ودورها المطلوب في هذه الأوقات العصيبة من تاريخ أمتنا، ليس هناك ما يمنعنا من أن نستفيد من التجارب السابقة لأخوات لنا في الإنسانية عايشن وتعاملن مع مشاكل وأزمات المرأة في المجتمعات الغربية، فليس مطلوب إسلاميا ولا هو ممكن عمليا في عصر العولمة مقاطعة نتاج عقود من الأفكار والحركات الاجتماعية نظرا لعدم انطلاقها من إطار إسلامي. غير أنه بدلا من أن تكون علاقتنا بالتجارب والفكر النسوي الغربي تبعية عمياء تتبني الغث والسمين وتمليها انهماجية "المغلوب المولع بتقليد الغالب"، كما أشار ابن خلدون، حري بها أن تكون اقتباس المنفتح على الآخر بثقة المعترف بترائه والناقد الحصيف لما هو وافد من الغرب ولما هو موروث من تطبيقات بشرية لشريعة الإسلام.

يشير الدكتور رمضان إلى أنه بالرغم من أن هناك ازدياد ملحوظ في ظاهرة تولّي المرأة المسلمة في الغرب لأدوار قيادية في مؤسسات الجالية الإسلامية، إلا أن هناك شعور عام بأن تقلد المرأة لهذه الأدوار في الحياة العامة إنما هو استسلام لواقع ضاغط أكثر منه تغيير توجهات وقناعات. ويمضي الدكتور رمضان موضحا، أن العقلية والاتجاهات المنتشرة في الجاليات الإسلامية في الغرب لم تتغير بالتوازي مع تغير الأدوار "الجنسانية" gender في واقعها، وأن كثيراً من المسلمين، رجالاً ونساءً، يستسلمون لهذه النقلات بدلاً من تقبلها واعتناقها، بل وأنهم في أعماقهم يشعرون بالصراع بين فهمهم وولائهم وانتمائهم للإسلام من جهة وبين هذه التغيرات من جهة أخرى. والحق أن هذا الاستنتاج ينطبق بالفعل على جزء كبير من مجتمعنا، ذات الأغلبية المسلمة أو تجمعنا الإسلامية في الغرب، بما في ذلك النساء اللاتي وجدن أنفسهن في الصدارة بدافع ذاتي أو بدافع موضوعي من الظروف والقوى المحيطة بهن. غير أنني أرى أن هذا الشعور الجمعي يحتاج إلى وقفة وليس بمستحق للإدانة والإنكار وذلك للأسباب التالية:

- أن ما يحدث من خلط وتبدل للأدوار في مجتمعنا الإسلامية ليس حصيلة تغيير أصيل نابع من "تطور" الواقع الإسلامي تطوراً ذاتياً يهدف التجديد أو استجابة لتغيرات طبيعية في مساقاته النهضوية المستقلة، بل إن معظمه وبداياته كانت، و ما زالت إلى حد كبير، مفروضة من ملأ منا مرتبطين فكرياً وشعورياً ومادياً بدعم الخارج وهيمنته. ففي الحقبة الأولى للاحتلال الغربي العسكري، استخدم إداريو ومنظرو هذا الاحتلال الخطاب النسوي ذي المركزية الأوروبية لتبرير احتلال البلدان العربية والإسلامية¹ وبناء عليه، قُدِّمَت الهجمات الأوروبية على المجتمعات الإسلامية كحملة ذات دافع تنويري وحضاري بهدف تحرير النساء المضطهدات من قبل دينهن ورجالهن، منذ ذلك الحين يتم فرض قيم الغرب ومفاهيمه عن "المساواة" و"التقدم" بمختلف الوسائل والمقاربات. وبتحفيز ودفع خارجي أُريد من المرأة المسلمة، بدعوى نهضتها، أن تمارس قطيعة مع ماضئها بكل إيجابياتها وسلبياتها، بانحطاطه وازدهاره، وذلك على العكس من الحركة النهضوية لنسوية المرأة الغربية والتي مثلت، بالأصالة لا بالوكالة، قطيعة ذاتية المنشأ مع القرون

¹ Ahmed, Leila. 1992

الوسطى المظلمة في الغرب¹. وإذا عقدنا مقارنة بين المجددات في قراءة النصوص الدينية اليهوديات والمسيحيات والمسلمات لوجدنا أن أحد الفروق الرئيسية أن نشاط الأخريات في الأغلب يملى عليهن بطرق مباشرة وغير مباشرة من أطراف خارجية وليس وليد اجتهادات شخصية/ محلية بالأساس وذلك بهدف "تحديث/ تهذيب" الإسلام والمسلمين. وبينما كانت قراءات التجديد للنصوص اليهودية والمسيحية تجرى باستقلالية تامة سياسية واقتصادية وفكرية، نرى أن القراءات التجديدية للنساء المسلمات تتعرض لخطر الاستغلال والتوجيه من قبل منصات المحافظين الجدد في الغرب والهادفة إلى تشجيع والإعلاء مما يسمى "الإسلام الجيد المعتدل أو الليبرالي"، والذي يتضح في محصلته العامة أنه لإلصاق صفة "الأصولية" والتطرف على كل ما عداه من نماذج إسلامية بأكثر مما يهدف إلى خدمة المجتمعات العربية والإسلامية. وبالنتيجة تساهم القراءات النسوية العربية التجديدية من حيث تعلم أو لا تعلم في العنف الفعلي أو المعرفي ضد الإسلام، وفي خدمة الهيمنة الثقافية والسياسية والاقتصادية الغربية²

- إن أهداف "التحرير" و "التمكين" و "التقدم" و "المساواة" وغيرها مما ارتبط بتنظيرات وممارسات غربية تتعلق بالمرأة لم تُصغ لمعالجة حاجات أصيلة في مجتمعاتنا. والمشكل ليس في الأسماء، فالناس جميعاً باختلاف ثقافتهم وظروفهم يطمحون إلى أن يكونوا أحراراً، متمكنين، متقدمين ومتساويين مع غيرهم. ولكن المأزق الذي وُضعت فيه أن قوى التغريب حينما استوردت هذه المصطلحات استوردتها بتعريفات خاصة كانت وليدة تطورات تاريخية واجتماعية وفكرية خاصة بمساقات أجنبية وفرضت علينا بالترغيب والترهيب. فأصبحنا ونحن نلهث للوصول إليها نعاني من كثير من التناقضات في حياتنا الاجتماعية والأسرية، منها ما أشار إليه الدكتور رمضان من ممارسات اجتماعية سُقنا سوقاً إلى الانخراط فيها بدون أن تعبر عن تطلعات ورغبات وحاجات ذاتية/ محلية.
- أن هذا التغيير بالنسبة للغالبية العظمى ملجأ اضطراري من واقع اقتصادي خانق فرض على كثير من الأسر إخراج الزوجات والبنات للكسب المادي وإشباع الحاجات الأساسية، ولا يعكس قناعات تحويلية جذرية بضرورة تولي المرأة لمناصب قيادية عامة.
- أن كثيراً من النساء الموهوبات والقادرات (من ذوات العلم والأدب والمهارات المختلفة) ما زلن زاهدات في الخروج والظهور، مفضلات سكيئة وحميمية وأمن الفضاء الخاص لدوائرن الجمعية المحدودة (الأسرة، العائلة الممتدة، الجوار، الصديقات...) على كل مغريات الفضاء العام وتحدياته (من بريق المناصب والجاه والشهرة والكسب المادي إلى شراسة وصقيع التنافس والصراع والفرديانية). إن الكثير من ذوات الكفاءات قد اخترن طوعاً القرار في بيوتهن مفضلات بذلك الكسب الاجتماعي والعاطفي لهن ولأسرهن على الكسب المادي الاستهلاكي. فالغالبية من هؤلاء النسوة (رغم اهتماماتهن ومساهماتهن بما يستطعن بالشأن العام) لم يشاركن حتى الآن في موجة تصدير المرأة للقيادة وهن غير ممثلات في هذا التيار.

● أن جزء كبير من هذه التغييرات يحدث كرد فعل للاتهامات والصور النمطية في الإعلام والدوائر الأكاديمية الغربية عن سلبية المرأة المسلمة وجهلها وخضوعها المطلق للمهين للرجل. فهو رد فعليّ دفاعي أكثر منه تجديد ذاتي.

ومنعاً للقراءات المغلوطة لمقالي فأجد من الضروري التأكيد على أن هناك العديد من مظاهر الظلم وإنكار الحقوق تعاني منه النساء المسلمات، كغيرهن من نساء الأديان والثقافات الأخرى بدرجات وأشكال متفاوتة، وأن هناك ما يمكن الاستفادة منه في تجارب وتنظيرات الأنثويات/ النسويات (feminists) في الغرب، بل واعتبار كل ما لا يتناقض مع أصول ومبادئ الإسلام من هذه

¹ انظر، الجزء المعنون بـ "عصر النهضة والجرح النرجسي: نسوية قاسم أمين وآلية التماهي مع المعتدي" في كتاب جورج طرابيشي: من النهضة إلى الردة: تمزقات الثقافة العربية في عصر العولمة

² Hidayatullah, 2014

الدعوات إسلامياً في الجوهر ولو حمل إطاراً ووعاءً ثقافياً غير معتاد بالنسبة للثقافات والعادات والتقاليد "الإسلامية"، وأضع صفة "إسلامية" بين قوسين لأنه من اللازم الإقرار بأن ممارسات وتقاليد المسلمين الثقافية ليست متطابقة دائماً مع أصول التشريع ومبادئه ومقاصده الكبرى.

ما أنا بصدد محاجته ليس حقيقة اشتراكنا مع النسويات الغربيات في صفات ومطالب إنسانية عامة ومن ثم منطقية الاقتباس من تجاربهن ورؤاهن، ولكنني أشدد على ضرورة الانتباه إلى اختلافنا معهن في العديد من الاهتمامات والتحديات النابعة من حضارتنا وواقعنا ومن ثم رفض التسليم المطلق والسلبى وغير الناقد لحلول ومقاربات غربية (قائمة في الكثير منها على الفردانية وأناية الذات والمادية والتنافس بل والصراع في سياقات اجتماعية وحضارية خاصة) يتم تصويرها وترويجها وكأنها كونية تصلح لكل زمان ومكان وتتجاوز الخصوصية وتخلو من التناقضات وجوانب النقص.

ولكي تكون عملية الاقتباس والتبني من أدبيات وحركات النسوية الغربية مثمرة وواقعية ولا تساهم في تعزيز حالة التبعية والخضوع المزرية التي تعاني منها أمتنا ينبغي بادئ ذي بدء أن نعيد النظر في تعريفات المصطلحات الأساسية التي يقوم عليها بناء وتطبيقات دراسات المرأة. كما يجب استعراض تاريخ وواقع النسوية الغربية والتي تتنوع بداخلها الاتجاهات والنظريات والأهداف، فكونها غير متجانسة ولا موحدة¹ يمدنا بمجال أوسع للاختيار والموازنة. وأخيراً، يجدر بنا أن ندرس أسباب ومآلات حركة تحرير المرأة في الغرب، ومن ذلك مراجعة الأبحاث التي تزعم أن نسبة الراغبين في عودة الأم إلى البيت أو على الأقل في ضرورة بقاء أحد الوالدين في البيت لرعاية الأطفال في ازدياد مطرد².

الجزء الثاني: حركة تحرير وتمكين المرأة العربية:

نموذج بديل

مقدمة

تعتبر الأنثوية / النسوية (feminism) من أقوى حركات التغيير الاجتماعي الحديثة وأكثرها تأثيراً في الوقت المعاصر. وإذا كان العديد من علماء الاجتماع العرب قد بدأوا المطالبة بـ "توطين" (indigenization) علم الاجتماع العربي منذ سبعينيات القرن الماضي (أي جعله معبراً أكثر عن واقع الوطن العربي وهمومه وتطلعاته³)، فأولى بدعاة حقوق المرأة والنسويات العربيات ألا يتخلفن عن الركب وأن يبدأن في وضع الأساس النظري والمفاهيمي (conceptual) لتشييد بناء تحرير وتمكين المرأة العربية. إن توطين برنامج دراسات المرأة وفعاليتها حركتها في الوطن العربي - أي إنشاء نموذج بديل للنموذج الغربي - يتجاوز الحدود الأكاديمية والحركية المرسومة في الغرب إلى رضاء ومنفعة وسعادة النساء العربيات وأسرهن ومجتمعاتهن. إن مفاهيم مثل "السعادة، الرضاء، التوازن، التكامل" تغيب تماماً عن أدبيات النسويات الغربيات ولكن هل يلزمنا - ونحن نصوغ تعريفاتنا ومفاهيمنا الخاصة - أن نتبع الخط نفسه في التنظير ومتهاج البحث؟

ومما لا غنى عنه لتشييد هذا النموذج المعرفي إعادة تعريف المفاهيم الأساسية لدراسات وبرامج المرأة وتحريرها من الغموض والالتباس والخلط، وهي خطوة في غاية الأهمية إذ يقوم عليها بناء معرفي ضخم وشامل لأي مجتمع يريد الاتساق بين موروثه وهويته الحضارية والاستجابة لمتطلبات التغيير والتقدم. ما لم يتم إنجاز هذه اللبنة الأولى، فإن الجهود الحثيثة لفرض

¹ للاستزادة عن تاريخ وواقع الاختلافات في الغرب نفسه حول النسوية، انظر Walters, 2005

² أنظر، على سبيل المثال الأبحاث المذكورة في مقال بعنوان "أعداد أكبر من الشباب الأمريكي يرغبون في بقاء الأم في المنزل. ماذا وراء ذلك؟"

2017, Velasco

³ Sabagh and Ghazallah, 1986

نموذج النسوية الغربية في المجتمعات العربية (عن طريق لجان الأمم المتحدة أو المنظمات غير الحكومية، أو منظمات التنمية أو المؤسسات الأكاديمية وغيرها) لن تنتج إلا بناء غريب مهزوز معرض للنبد أو مسبب للصراعات الداخلية ليس فقط بين عناصر المجتمع المختلفة ولكن في نفس كل امرأة تعز بعروبها وإسلامها وتسعى لنيل حقوقها في الوقت نفسه. وما أحرانا بتأمل تجربة الغرب نفسه حيث بدأ نموذج تحرير المرأة الجذري المطروح بقوة منذ ستينيات القرن الماضي يفقد الكثير من بريقه وعنفوانه ومن نساء وفتيات الجيل الجديد¹.

نموذجنا البديل الذي يتناسب مع واقعنا وأزماتنا وطموحاتنا وتطلعاتنا وورغباتنا يتوافق مع النموذج الغربي في جوانب ولكنه يختلف عنه بالتأكيد في جوانب أخرى. ما نلتقي فيه لا يحتاج إلى تفصيل لأنه إنساني تشترك فيه نساء العالم، غير أننا نحتاج أن نوضح جوانب الاختلاف والتي كثيرا ما يغض الطرف عنها عند الحديث عن "النسوية الإسلامية أو العربية". وأنا هنا لا أدعي الحيادة، بل أصف نفسي وصفا تحيزيا كامرأة عربية مسلمة نشأت في مجتمع عربي "محافظ" ثم أكملت تشكيل وعيها ورصيدها الأكاديمي في الغرب وانتهت إلى قناعة بضرورة استقلال المرأة العربية في نضالها لانتزاع حقوق كفلها لها الإسلام وأنكرتها عليها عادات وثقافات ومؤسسات كل من المجتمع المحلي والقوى الأجنبية. وأنها في هذا النضال يحبذ أن تستفيد من تجارب المرأة الغربية وفي الوقت نفسه تتسلح بالثقة بالنفس وتمحور مجهودها حول خصوصية الثقافة والواقع العربي، ورفض التبعية غير المميزة للنسق الفكري الغربي مهما كان هذا الرفض شاقا وشائكا بسبب هيمنة الغرب الثقافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية. وأثناء عملية التفاعل والاستفادة من تجارب وتنظيرات النسويات الغربيات (الأكاديميات أو الناشطات) يجب أن يكون لدى هؤلاء ولدينا نحن تصور واضح بأن التفاعل معهن هو من باب الندية وليس التبعية والتلقي السلبي وأنه لا مفر من الاختلاف الثقافي بيننا وبينهن، ولكن بدلا من جعل هذا الاختلاف تصادمي يهدف إلى فرض إرادة وأجندة أحد الأطراف على الآخر، يحسن أن يكون اختلافا متصفا بالاحترام المتبادل والإقرار بضرورة الاختلاف والتنوع البشري. "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ"

ركائز عملية إعادة تعريف المفاهيم

* الاتفاق على مرجعية الشريعة الإسلامية باعتبارها المكون الأساسي لضمير ووجدان الشخصية العربية رغم عناصر التشويه والجمود. ويلاحظ في هذا المجال أنه حتى التوجهات الفكرية والفلسفية التي لا تسلم بمرجعية الشريعة تسعى لتطويع هذه المرجعية وفق تأويلات وتفسيرات تعبر عن قناعاتها، وذلك حتى تسوّق نفسها للجماهير العربية.

* التمييز بين أصول الشريعة ومبادئها العامة وبين القوالب الثقافية الخاصة التي صاحبت تفسير وتطبيق هذه النصوص في مجتمعات وعصور زمنية مختلفة.

* السعي إلى التنسيق مع أولي العلم في أصول الفقه والاجتهاد لدراسة السياقات الاجتماعية والتاريخية التي نزلت فيها النصوص المثيرة للجدل لمحاولة استنباط أحكام ورؤى تتناسب مع السياقات المعاصرة، ذلك لأن التحدي الحقيقي هو القدرة على إسقاط النصوص على الواقع المعاش بلا تفریط ولا إفراط.

* مجاهدة أنفسنا للتخلي بالإنصاف والنقد البناء الحصيف في تقييم سلبيات وإيجابيات كل من الوارد من الغرب (تجربة الحركة النسوية) والموروث من تراثنا البشري في تفسير وتطبيق النصوص (العادات والتأويلات والتي اكتسبت مع مرور الزمن قدسية النص).

¹Walters, 2005

ولتكون عملية تحرير المصطلحات واقعية وغير موهلة في التجريد، سأربطها بمساقاتها التاريخية والاجتماعية الغربية التي ظهرت فيها مع مقابلة هذه المساقات بنظيراتها في التاريخ والواقع العربي، ثم سأقدم إعادة التعريفات في إطار مقارني (comparative) مع التعاريف الغربية السائدة. وأخيراً، سأطرح النموذج البديل والذي تبلورت ملامحه لدي بعد تحليل بيانات الأبحاث الكيفية التي أجريتها في الولايات المتحدة للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه في علم الاجتماع.

السياق التاريخي والحضاري للنسوية الغربية

مما لا شك فيه أن هناك ظروف موضوعية دفعت بنساء ذوات قدرات قيادية وفكرية أن يطلقن نداء الدعوة لتحرير المرأة في الغرب من أغلال الظلم والاستغلال. ومما لا يقبل الجدل أيضاً أن لدينا في مجتمعاتنا المسلمة ظروف وأوضاع صعبة تعاني منها النساء والفتيات، وأنا بالتالي بحاجة إلى حركة تغيير تضع معالم الطريق وأهدافه. إلا أنه من الضروري والعملي أن نكون قدرات على رؤية الاختلافات الجوهرية بين مساقات مجتمعاتنا التاريخية والاجتماعية والسياسية والفكرية عن نظيراتها في الغرب، وبالنتيجة، ألا ننساق خلف محاولات فرض برامج وخطط وأهداف الحركات النسوية الغربية على التغيير الذي تنشده وتطلع إليه المرأة العربية، مهما كانت وعود التمويل والدعم مغرية. وأكد على ضرورة هذا الاستقلال خاصة حينما تواجهنا معضلتان:

الأولى، موجات النسوية المتأخرة والتي تطالب فيها الجذريات بالاستغناء الكلي عن الرجل وبادعاء أن الصراع والتنافس المحموم هو التوصيف المناسب لعلاقة كل الرجال بكل النساء، والثانية، ارتباط منظمات النسويات (مهما كانت أهدافها نبيلة لتحسين حياة النساء العربيات) العاملة في بلداننا بالمصالح السياسية والاقتصادية للحكومات اللاتي ينتمين إليها أو يحصلن على التمويل منها (ذلك التمويل الذي يرتبط برسم الأهداف/الأجندات)، وهي حكومات إمبريالية تعمل على استخدام قضية "تخلف وقهر" المرأة العربية كوسيلة من وسائل تعزيز هيمنتها. وأعود للتنبيه إلى أن عملية إصلاح (Reform) التفكير الديني فيما يتعلق بالمرأة كان ذاتي الدافع والمنبع بالنسبة للمسيحية واليهودية على عكس الإسلام والذي غالباً ما نشأت حركات "الإصلاح" فيه والتغيير في هذا المجال من الخارج وخاصة من مؤسسات حكومية تتبع دولاً غربية¹.

بدأت حركة النسوية في الغرب في القرن الثامن عشر تعبيراً عن مساءلة ورفض النظم الثقافية والاجتماعية المنتقصة للمرأة وحقوقها وإنسانيتها. فمثلاً، كان لا يسمح للمرأة بحق التملك أو الاختيار السياسي إلا كتابع لزوجها. كانت المرأة إلى عهد قريب - وصل في بعض البلدان الغربية إلى خمسينيات القرن الماضي - غير مسموح لها بالإدلاء بصوتها في الانتخاب باعتبار أنها غير مؤهلة لذلك أو أن صوت زوجها يعبر عنها أيضاً. وإلى نهاية القرن التاسع عشر كانت المرأة تعتبر في القانون الإنجليزي كيان ينضوي كليةً بإرادته الاقتصادية والسياسية تحت كيان الزوج، فيعتبرها شخصاً واحداً في نظر القانون وما إن ترتبط برجل حتى يمنع عليها التصرف بأموالها إلا بإقرار منه. بل أن أطفالها وممتلكاتها ملك خاص لزوجها. كما كانت محرومة من التعليم المحترم لقدراتها العقلية كإنسانة مفكرة².

بدأ طلب المرأة الغربية للمساواة بالرجل عبر الاحتجاج على النصوص الدينية في العهد القديم والجديد والتي انتقصت من إنسانيتها في عدة مواضع، مثل تحميل حواء مسؤولية إغواء آدم ليأكل من الشجرة المحرمة، وبالنتيجة تحميلها وزر "الإثم

¹ لاحظت جوليان هامر في مقالها، "الهوية، السلطة، والنشاط السياسي: مقارنة النساء الأمريكيات للمسلمات للقرآن" أن المسلمات الأمريكيات أصبحن عرضة لاستخدام المؤسسات الحكومية لهن في البرامج السياسية داخل وخارج أمريكا لتعريف المسلم "المعتدل أو الليبرالي" ولتغذية خطاب المسلم "السيئ" مقابل المسلم "الجيد" ونسخة الإسلام "الحداثية" بما يتوافق مع المصالح الأمريكية. Hammer, 2012

²Walters, 2005

الأول" والذي حملته البشرية منذ ذلك الحين وهبطت بسببه إلى الأرض، بحسب المعتقدات المسيحية، بل واعتبار ألم الولادة لعنة عليها بسبب تلك الخطيئة!¹ أدت النظرة الدينية والثقافية إلى خلق نمط تفكير وتقييم ثنائي قطبي حاد بين الرجل/المرأة: العام/الخاص، الأبوية المهيمنة/الأنثوية الخاضعة، الإيجابية/السلبية، الشهوانية/اللاجسسية، العقلانية/الانفعالية.

كان الطلاق غير وارد وإذا وجدت المرأة نفسها في علاقة زوجية متعسفة وبأئسة فستصبح حبيستها لبقية حياتها بلا مخرج أو انعتاق. ولهذا طالبت النسوية المبكرة بحق المرأة في إبرام "عقد اجتماعي" في بداية الزواج لحمايتها من الظلم والاعتساف.²

وأثناء الثورة الصناعية وفي أعقاب الحربين "العالميتين" الأولى والثانية، وجدت كثير من النساء أنفسهن وأطفالهن بلا معيل واستجبن لدعوة السوق الرأسمالية للعمل بأجور زهيدة لا ترقى إلى أجور الرجال على نفس العمل. وهكذا توفرت الأجواء الخصبة، من استغلال وظلم وعدم أمن واحترام، لنمو حركة تطالب بالعدل والتقدير للنساء.

والمتمأمل لواقع المجتمعات الإسلامية والعربية يجد أن هناك شئ من التشابه مع أوضاع ومشاكل المرأة الغربية في ذلك العصر مع الأخذ في الاعتبار الاختلافات. فالمرأة عندنا تعاني من مشاكل ثقافية – أو دينية تنشأ من تفسيرات ذكورية للنصوص – تصورها أقل قدرا من الرجل في القيمة الإنسانية وتبخس قدراتها العقلية وتحرمها من حقوقها الاقتصادية والسياسية. كما أن الأوضاع الاقتصادية الطاحنة تفرض على كثير من النساء الخروج للعمل والمساعدة في تأمين حاجتهن وحاجات أسرهن المعيشية. بالإضافة إلى ذلك فإن توفير فرص تعليم متكافئة للبنات غير معمول به في كثير من المناطق وخاصة الريفية. غير أن هناك الكثير من الاختلافات أيضا، من هذه الاختلافات ذات الدلالة أنه في المجتمعات الإسلامية لا يوجد ذلك الفصل التعسفي والحاد بين ما هو "أنثوي خاص" وما هو "ذكوري عام" كما وجد في المجتمع الفيكتوري على سبيل المثال، حيث كان التعريف المثالي للأنوثة غاية في الضيق والتشدد والمحدودية لا يخرج عن قيام المرأة بشؤون المنزل والتزين والأناقة والظهور بمظهر الرقة في محيطها "المناسب". حتى أنه كان على النساء الموهوبات والمتطلعات لدور أكثر من الزوجية والأمومة أن يئدن تطلعاتهن إذا لم تنسجم مع صورة الثقافة الفيكتورية المحدودة للأنثى.

بالمقابل نجد أنه على مر التاريخ العربي/الإسلامي، وحتى في الحاضر الذي يعاني من مستويات كارثية من الانحطاط والتخلف، مارست المرأة العديد من الأدوار العامة سواء في الفضاء العام أو من محيطها الخاص في منزلها، مثل التكسب من مشاريع صغيرة وتولي مسؤوليات سياسية بل وعسكرية، والتأثير في قرارات أفراد الأسرة التي تتعلق بأدوارهم هم العامة. كما أن من الاختلافات أن التعليم لم يكن يمارس كما هو الحال في النظام الحديث الغربي كوسيلة لتأمين وظيفة أو للتأهيل لسوق العمل، وإنما كان طلب العلم لذاته ومن أجل القيام بدور الاستخلاف على أكمل وجه في هذه الحياة. فكانت هناك كثير من النساء العلمات والفقهات والأديبات والمحدثات³ ولكن كان ذلك كله في إطار غير تنافسي و بمنأى عن محاولة تعسف التطابق الكلي بين الرجل والمرأة.⁴

¹ وغيرها من النصوص، مثل ما جاء في رسالة بولس إلى أهل كورنثوس في الإصحاح الرابع عشر "34 لتصمت نساؤكم في الكنائس، لأنه ليس مأذونا لهن أن يتكلمن، بل يخضعن كما يقول الناموس أيضا" وبإمكاننا مقارنة ذلك بعدة مواقف عبرت فيها النساء عن آرائهن في المساجد بحضور النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، كقصة المرأة التي اعترضت على عمر لتحديد المهور فنزل على قولها أمام الجماهير.

² Walters, 2005

³ على سبيل المثال، فقد ترجم الحافظ ابن حجر في كتابه «الإصابة في تمييز الصحابة»، لثلاث وأربعين وخمسمائة وألف امرأة، منهن الفقهاء والمحدثات والأديبات. كما نشر الدكتور محمد أكرم ندوي كتابا باللغة الانجليزية بعنوان "المحدثات: النساء العالمات في الإسلام"، Nadwi, 2007

⁴ على سبيل المثال لا الحصر، يطالعنا نموذج المرأة العاملة العاملة في فاطمة الفهري التونسية، المولودة عام 800 م والتي أسست جامعة "القرويين"، أول جامعة أكاديمية في العالم.

المرأة في التشريع الإسلامي، وإن كان ذلك ينتهك في الثقافات العربية والإسلامية، لها كيان اقتصادي مستقل تستطيع من خلاله أن ترث وتتملك وتتكسب ويكون مالها خالص الملكية لها فتتصرف فيه بالبيع والشراء وغيره ولا سلطة للزوج عليه. كما أن من حقها أن تملي في عقد الزواج ما تراه مهما لسعادتها في حياتها الزوجية، فعقد الزواج في الإسلام هو عقد مدني يمكن طرفي العقد من وضع الأسس المتفق عليها لحياتهما المشتركة.

وإذا كانت الموجات الأولى من النسوية الغربية قد دارت حول مطالب أساسية يصعب إنكار عالميتها (إذ أنها تمحورت حول مساواة المرأة للرجل في إنسانيته وروحانيته، حقه في التعليم والتملك الاقتصادي والاختيار والتمثيل السياسي والتشريعي، وحقه في تلقي خدمات الدولة الأساسية من صحية وغيرها)، فإن الموجات المتأخرة والتي بدأت من ستينيات القرن الماضي أصبحت تقوم على تعريفات فلسفية للمساواة تصادم بشكل صريح قناعات الغالبية العظمى من النساء المسلمات العربيات (وفي أحيان كثيرة قناعات كثير من النساء الغربيات أنفسهن)، مثل إنكار أي اختلاف بين الرجل والمرأة بدعوى أن كل الاختلافات إنما هي ثقافية ولا يولد بها الجنس وأن الاختلافات البيولوجية ليس لها أي دور في تحديد طبيعة المرأة والرجل وإنما من يحدد ذلك هي حصرا التنشئة الاجتماعية، وأن الذكورة والأنوثة إنما هي هويات اجتماعية ثقافية لا علاقة لها "بالطبيعة" البيولوجية والنفسية للذكر والأنثى (وكلمات مثل "الطبيعة" و "الفطرة" توضع دائما بين قوسين للتشكيك أصلا بمصداقيتها في الواقع)¹ انتقلت النسوية الغربية من المطالبة بحقوق المرأة ورفض الانتقاص منها إلى محاولة تشكيل وعي ومفاهيم "ثورية" جديدة عن طبيعة الأنوثة والذكورة يتم بها التطابق الكامل التعسفي بين الرجل والمرأة (women's complete, identical identity & roles with men's): في الهوية والأدوار، والحاجات، والتطلعات، وأصبحت المطالبة بالاعتراف بإنسانية المرأة تعني مساعدتها أن تكون في صورة الذكر التي خلقتها الممارسات والتصورات الثقافية المنحرفة! وبدا أن الهدف النهائي لقياس إنسانية المرأة هو قدر تشبهها بذلك الرجل، الذي أصبحت الإنسانية والرقى والقيمة العليا تُقنن بهويته وأدواره. ومن المفارقات العجيبة أن هذا التقديس والتضخيم لقيمة الهوية والأدوار الذكورية هو جزء مما ثارت عليه النسوية الأولى وطالبت بتعديله حتى يكون أكثر عدلا وتقديرا لهوية المرأة وأدوارها.

انتقلت المطالبة بالاعتراف بكامل إنسانية المرأة (باعتبارها شقيقة الرجل في الاستخلاف وكائن إنساني مستقل ذي قدرات ومسؤوليات ذات قيمة عليا في المجتمع وأمام خالقها) إلى اعتبار ماهية الرجل وما يفعله من أدوار هو المثال والنموذج المنشود للمرأة أن تصل إليه لتحقيق إنسانيتها. وساد الاحتقار والتقليل من قيمة ما تفعله المرأة تماشيا مع طبيعتها كأم وزوجة، واهتمت النساء الراضيات والسعيدات بأدوارهن الأنثوية والأسرية في مجالهن الخاص بأنهن ضحية تزييف الوعي الممارس غالبا من قبل الرجال لإبقائهن تحت سلطتهم وخدمتهم.

وبذلك ندرك كيف تحولت النسوية الغربية من حركة اجتماعية انطلقت في دفاعها عن حقوق المرأة من منطلق جمعي، أي أن المرأة جزء من المجتمع، إلى حركة "تمركز حول الأنثى". ومع تصاعد معدلات العلمنة والفردانية "بدأت الأبعاد الإنسانية والاجتماعية لحركة تحرير المرأة في التراجع وتم إدراك الأنثى خارج أي سياق اجتماعي، كأنها كائن قائم بذاته ولم تعد المسألة قضية حقوق المرأة الاجتماعية أو الاقتصادية أو حتى الثقافية، وإنما رؤية معرفية متكاملة نابغة من الإيمان بأن الأنثى كيان منفصل عن الذكر - بل وعن الأسرة - وبالتالي فالبرنامج الإصلاحي الذي تطرحه لا يهدف إلى تغيير القوانين أو السياق

¹ رغم أن النسوية الغربية مع إنكارها لأي اختلاف فطري بين الذكر والأنثى، تطالب بإيلاء المرأة أهمية ورعاية خاصة لمساعدتها وحل مشاكلها الخاصة بطبيعتها البيولوجية كأم وزوجة، كما ورد في إعلان الأمم المتحدة لحقوق الإنسان بعد عقد مؤتمر المرأة في عام 1985

الاجتماعي للحفاظ على إنسانية المرأة باعتبارها أمّاً وزوجة وابنة وعضو في المجتمع، وإنما يهدف إلى تغيير اللغة والطبيعة البشرية ذاتها حتى يتم اختلاط الأدوار تماماً، وحتى يتحسن أداء المرأة في الصراع مع الرجل¹

أمام النقلة الهائلة لطبيعة الحركة النسوية الغربية وأهدافها، هل تلزم حركة تحرير وتمكين المرأة العربية باقتفاء خط الحركة في الغرب؟ أليس من الحكمة والفتنة، قبل اتخاذ خطوات غير مدروسة على درب النسوية الغربية، أن نقيم دراسات علمية للإجابة على السؤال الجامع:

ما هي جوانب الاستفادة والخسران للمرأة الغربية والمجتمع الغربي من استبدال عموم النساء لعملمن في البيت بعمل في مكتب حكومي أو بالمنافسة في حلبة سوق العمل والمصنع؟ وما هو الثمن الذي دفعته المرأة والأسرة الغربية في سبيل ذلك وهل يوازي هذا الثمن ما تم تحقيقه من أرباح ومنجزات مادية؟

السياق السياسي

أما الحديث عن الاختلاف الهائل في السياق السياسي الذي نشأت فيه الحركة النسوية الغربية والسياق الذي مطلوب فيه من المرأة العربية استنساخ أهداف ووسائل هذه الحركة فذو شجون. فحينما يقارن البعض بين الدول الغربية والعربية في تاريخ منح المرأة حق التصويت في الانتخابات مثلاً يغفلون عن حقيقة جوهرية وهي أنه في الوقت الذي منحت فيه المرأة الغربية حق الإدلاء بصوتها لتفعيل إرادتها السياسية كانت مجتمعاتنا، برجالها ونساءها، تترزح تحت الموجة الأولى من الاحتلال الأوروبي. وفي المرحلة التالية حينما خرجت الجيوش الغربية حل محلها أنظمة قمعية استبدادية حظيت في الغالب بمساندة الغرب.

تغفل معظم النسويات الغربيات أو المستغربات، وهن يسعين لاستنساخ تجربة النسوية الغربية في البلدان العربية، أنه مما مكن للمرأة الغربية المطالبة بحقوقها هو أنها كانت، وما زالت، تعيش تحت رعاية دول مستقرة داخليا وذات سيادة مستقلة خارجيا. أما الاستقرار الداخلي فأهم مصادره مؤسسات تضمن حرية وكرامة ورفاه المواطنين وتفرض العدل والمساواة (بشكل عام بالطبع وإلا فهناك استثناءات). وأما الاستقلال الخارجي فيتمثل في قوة الدولة سياسيا واقتصاديا وعدم خضوعها للسيطرة والانتهاك من قبل أي دولة أخرى تملّي عليها ما يجب أن تفعل ولا تفعل في شؤونها الداخلية.

وبالمقابل فإن الجو العام المصبوغ بالاستبداد والفساد والحرمان الذي تمارس من خلاله الفئات الحاكمة عملها السياسي في مجتمعاتنا ينعكس سلبا ليس على النساء فقط ولكن على المجتمع ككل، وخاصة الفئات المهمشة والمستضعفة/غير المحصنة (الأطفال، المعاقين، العجزة، الفقراء... الخ). إن التمكين الفردي في هذا السياق التسلطي هو تمكين ترفي أناني وشكلي لا معنى له، فمجتمعاتنا المقهورة داخليا وخارجيا بحاجة لتظافر جهود أفرادها جميعا لإنهاء وضعها البائس. وليس معنى ذلك غض الطرف عن المظالم التي تتعرض لها النساء والبنات ولكن المطلوب:

* معالجة المظالم والاعوجاج داخليا في إطار توافق وطني وعدم السماح لأطراف خارجية بفتح جبهات بين مكونات المجتمع العربي تشغله عن تطلعاته للاستقلال والتحديث والنهضة.

* عدم إعطاء الفرصة لأنظمة القمع الداخلية لاستعمال قضية المرأة لتفريق صف المواطنين ووضع المرأة في مواجهة الرجل على طريقة "فرق تسد"، وللتقرب من الغرب سعيا لاكتساب دعمه المعنوي والمادي في قمع الشعب واستنزاف خيراته.

¹المسيري، ص 105 بتصرف.

مفهوم المساواة

ولنبدأ بالمصطلح العام والذي رغم عدم اتفاق النسويات الغربيات أنفسهن على تعريفه – وفقاً للتيارات الفكرية والأيديولوجية والسياسية المختلفة اللاتي ينتمي كل فصيل إليها – نستطيع أن نعتمد التعريف الشامل التالي: "النسوية هي وجوب حصول المرأة والرجل على فرص سياسية واقتصادية واجتماعية متساوية"¹ وقد اختلفت فروع النسوية المختلفة في تفسير هذا التعريف كهدف وفي وضع المقاربات المختلفة للوصول إليه. فمثلاً، ترى النسوية الجذرية / المتطرفة (Radical Feminism) أن عدم المساواة بين الجنسين ينشأ من مفهوم "النوع/الجندر" نفسه فالعلاج الوحيد هو إلغاء النوع برمته بوسائل تكنولوجية تسمح بنقل وظائف الأنثى البيولوجية (الإخصاب والحمل والولادة والرضاعة) من جسد المرأة إلى أجهزة. أو القول بأن نظام الأسرة "التقليدي" (حيث الرجل مغول بالإنفاق والمرأة برعاية الأسرة) معاد للمرأة ويمارس "التمييز" ضدها، فالحل هو إلغاء هذا النظام واستبداله بأشكال "حدثية" أو حتى ما بعد حدثية للأسرة، مثل امرأتان وأطفال، وغيرها من رؤى جذرية للتعامل مع مشاكل المرأة.

لصيغة تعريفنا نحن للمساواة بين الرجل والمرأة، ننبه إلى:

-نصوص القرآن والسنة قطعية الدلالة عن المساواة والعدالة بين الرجل والمرأة.

- التفريق بين المساواة التتاب (identical equality) والمساواة الإنصافي (equitable equality). فالأولى تشير إلى تطابق الاهتمامات والتطلعات تطابقاً كلياً بين الجنسين وبالتالي إلى قيام المرأة والرجل بنفس الأدوار داخل وخارج البيت، بغض النظر عن نتائج ذلك على الرجل والمرأة والأسرة، وهو ما يحمل تناقضاً ذاتياً إذ تصبح غاية كفاح المرأة هي اعتناق هوية الرجل أو استنساخ موقعه وشخصيته ونفسيته، والثانية تشير إلى توزيع الأدوار تكاملياً وتبادلياً بينهما بما يوافق طبيعة وحاجات وقدرات واستعدادات كل منهما وبما يحقق التوازن النفسي والاجتماعي في الأسرة، ولكن في الوقت نفسه عدم ظلم المرأة باسم التكامل. ولضمان معاملة المرأة بالإنصاف ينبغي تفعيل قوانين الحفاظ على حقوق المرأة ومنع اضطهادها وفرض هذه القوانين عبر مؤسسات الدولة، والأهم من ذلك توعية وترقية أفراد المجتمع بمبادئ وتعليمات الإسلام التي تكفل الكرامة والحماية والعدل للجنسين، وخاصة للمرأة، باعتبارها الجنس الأكثر عرضة للظلم. وحينئذ، نستطيع أن نستبدل معاني "الاستقلالية المطلقة، الفردانية، والتنافس" بين الجنسين إلى معانٍ أكثر تعبيراً عن الفطرة والواقع، مثل "الاعتماد المتبادل Interdependence والتفاوض negotiation".

تواجهنا في أدبيات النسوية الغربية مقولات متنوعة إلى حد التناقض ولعل ذلك في مصلحة المرأة العربية لتختار الأكثر ملائمةً لبيئتها وشخصيتها. فهناك مقولة "حتمية الاختيار بين قطبين متقابلين: إما مساواة تطابقية أو ظلم للمرأة"، هذه المقولة القطبية (إما أو) تغفل إمكانية المنازل بين الطرفين، مثل الإقرار باختلاف الأدوار الوظيفية بين الرجال والنساء توافقاً مع الاختلافات البيولوجية والنفسية مع تأكيد مساواتهما في الجوانب الجوهرية، مثل الأصل الإنساني والروح والحقوق الإنسانية والأهلية الأخلاقية والعلاقة بالخالق في العبودية والثواب والعقاب على الأعمال. وهناك مقولة أخرى مفادها "مختلفان ولكن متساويان Different but Equal" وإذا تبينناها فلنا أن نزعماً بأن الظلم لأحد الأطراف ليس نتيجة آلية تلقائية للتعامل المختلف معها بشرط أن توضع وتطبق بصرامة قوانين تكفل حقوق كل الأطراف. وسيكون من السهل علينا إدراك الوحدة الجدلية بين المعاني التي قد تبدو لأول وهلة متناقضة حينما نتأمل في معنى وسياق الآيات المتعلقة بالمرأة والتي تجمع بين مساواتها بالرجل

¹ قاموس علم الاجتماع للتعليم المتاح <http://sociologydictionary.org/feminism/>

Encyclopedia Britannica <https://www.britannica.com/topic/feminism>

مساواة مطلقة في إنسانيتها وعلاقتها بالله وتلك التي تنص على التكامل بتخصيص وظائف اجتماعية لكل منهما بفرض التكاليف المالية على الرجل مقابل الأعباء البيولوجية على المرأة¹

إن تصنيف أدواراً خاصة بالمرأة وأخرى بالرجل هو نظام اجتماعي متعارف عليه عبر التاريخ وفي كل المجتمعات الإنسانية (وإن كانت تختلف تفاصيله من مرحلة زمنية إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر) وبه تتوفر بيئة تكاملية يظلها الاعتماد المتبادل البيولوجي بين الجنسين (structural interdependence). والمشكلة ليست في التخصص في الأدوار في حد ذاته، فالمعروف في مفاهيم "الفاعلية والتأثير" الحديثة أن التخصص ميزة إيجابية لإتقان العمل وتكامله في أي تجمع إنساني، وأن التراتبية (hierarchy) العادلة المتوازنة كل بحسب قدراته ومسؤولياته وحاجاته لا غنى عنها لسير عجلة الأداء والإنتاج في أي جهاز أو مؤسسة، أما الانحرافات التي ترتكب تحت مظلة التخصص والتراتبية فإنما تنتج من المصادر التالية:

- استغلال المرأة وبخس حقوقها مع عدم توفير جهات للتقاضي والحماية تلجأ إليها

- التفاضلية أي إضفاء قيمة أعلى لأدوار الرجل ومسؤولياته على تلك المتخصصة بها المرأة

- انتشار وهيمنة التصورات الثقافية الظالمة والتأويلات البشرية المتحيزة في تقييم أدوار وهويات الجنسين على حساب التصور الإسلامي المنصف، والأدهى من ذلك إلباس هذه التقاليد والتفسيرات للنصوص لباس قدسي يصور معه أي منتقد وكأنه معارض للدين نفسه! فليس من الممكن إنكار أن الإسلام ينص على اختلاف الأدوار الوظيفية بين الرجل والمرأة تبعاً للاختلاف الجنسي البيولوجي والنفسي، ولكن النصوص لا تلصق القيم الاجتماعية والقوة التأثيرية لهذه الأدوار، المجتمعات البشرية هي من يفعل ذلك.²

- التعنت والجمود في رسم حدود قاطعة صارمة بين أدوار الجنسين، وعدم إتاحة المجال للمرونة والتداخل بحسب تغيرات الظروف والطموحات الفردية لكل من الرجل والمرأة. وقد روي أن الرسول ﷺ كان يقوم بمهام أصبحت بسبب تقاليد وثقافة المجتمع ينظر إليها كمهام أنثوية يعاب على الرجل القيام بها³. وليس هناك ما يمنع امرأة تجد في نفسها القدرة والتأهيل والرغبة في الاضطلاع بمهام وأدوار غير تقليدية وخارج نطاق الزوجية والأمومة أن تفعل ذلك، فقد لعبت العديد من العربيات الأوائل أدواراً في إدارة الدولة وشؤون الحرب والتكسب التجاري ما لم يعبه أو ينكره علمن أحد⁴. وبما أن عقد الزواج في الإسلام هو

¹ على سبيل المثال الآية 36 من آل عمران "وليس الذكر كالأنثى" والتي تعبر فيها امرأة عمران عند ولادتها بأنها كانت تتوقع ذكراً نذرته لخدمة المعبد ولكن كانت المولودة أنثى. والآية 195 من نفس السورة "أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض"، والتي تحمل تصريح من الله عز وجل أنه سيجازي كل المؤمنين، ذكراً وإناثاً، بشكل متساو بلا تفرقة ناتجة من اختلاف الجنس فكلهم سواء في الإنسانية، بعضهم من بعض، وكلهم سواء في الميزان والثواب أو العقاب.

Wadud, 1999: 2

لنأخذ على سبيل المثال نصاً من السنة للدلالة على هذا المعنى، وفيه يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ... وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ رَوْحِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا... وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ). فهذا الحديث يشير إلى اضطلاع كل من الرجل والمرأة بمسؤولية متميزة، ولكنه يضع المسؤوليتين في درجة واحدة من الأهمية والمساءلة أمام الله، ويؤكد على ذلك بتكرار عبارة "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" في بداية ونهاية النص. ورد الحديث في البخاري ومسلم

³ وقد سئلت عائشة رضي الله عنها: "ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في بيته؟ فقالت: كان بشرًا من البشر يفلي ثوبه، ويخلب شاته، ويخدم نفسه" رواه أحمد (26194)، وصححه الألباني في "الصحيح" (671). وفي رواية له أيضاً (24903): "كان يخييط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم" وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (4937) وروى البخاري (676) عن الأسود، قال: "سألت عائشة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله - تعني خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة"

⁴ انظر للاستزادة، عبدالحليم أبوشقة. 1995

عقد مدني يستطيع الطرفان إملاء بنوده بما يتوافق مع مصالحهما و رغباتهما، فيحق للمرأة أن تلمي فيه طموحها في الاضطلاع بأدوار خارج الأمومة والزوجية وإذا وافق عليه الزوج يصبح ملزما به.

فإذا توفرت الوقاية مما ذكر أعلاه من مصادر ظلم المرأة، كان تكامل الأدوار والاعتماد المتبادل الناتج عن تخصيص العمل بين الجنسين إيجابيا وليس مؤدٍ حتي لعدم المساواة والإنصاف. فوفقا لنظرية تراتبية الطبقات الاجتماعية، فإن الأدوار التي تقدر وتكافئ عاليا هي تلك التي تؤدي وظيفة مجتمعية أهم وألزم لاستمرار البناء الاجتماعي من غيرها. ولكن بالنسبة لأدوار الجنسين، فإن المجتمعات والثقافات تقدر عاليا الأدوار الذكورية فقط لأن الرجال يقومون بها أو بتأثير مقاييس خاطئة في تقييمها وليس لمكانتها في صحة وقوة وبقاء الكيان الاجتماعي. هذا التحيز لأدوار الرجال هو عام في كل المجتمعات ولو قيمت أدوار المرأة بحسب أهميتها وضرورتها لأي تجمع بشري لما وجدت مشكلة في تخصص الأدوار. فمثلا، ومن خلال تحليل مادي للقيمة الاقتصادية لأدوار المرأة، وجد أن عمل المرأة غير المأجور في الأسرة يساهم في الاقتصاد الإجمالي للدولة على الأقل بطريقتين: الأول بإنجاب الجيل الجديد من العمال، والثاني برعاية الاحتياجات العاطفية والاجتماعية والمادية للزوج ثم فيما بعد لمن هم في سن العمل من الأطفال وبالتالي تجديد وإعادة إنتاج والحفاظ على حيوية وسلامة وقوة القوة العاملة.¹

ومما زاد من انخفاض قيمة عمل المرأة غير المأجور بالمال بيئة الثورة الصناعية حيث ربطت أدوار الرجل بالقيم السائدة: المال، والإنتاج، والقوة.² في الحضارة الغربية الحديثة، بصفتها الأبرز وهما المادية والرأسمالية، تعمقت النظرة الدونية لعمل ومهام المرأة لأنها لا تعود بالنفع المادي الفوري عليها. والأكثر من ذلك، أن الصفة الثالثة الصابغة للحضارة الغربية وهي الفردانية، قد عززت النظرة الدونية لعمل الزوجة والأم لأنه لا ينتج الريح المباشر للمرأة كفرد مستقل (أو هكذا ترى النظرة المادية غير المدركة للمنافع النفسية والاجتماعية التي تعود على المرأة وأسررتها عاجلا وأجلا من خلال أدائها لأدوارها الأنثوية الجمعية داخل الأسرة).

في ثمانينيات القرن الماضي بدأت ثقافة الانتقاص من عمل المرأة المنزلي تتعرض للمراجعة وذلك حينما قامت بعض النسويات الاقتصاديات بالتنبيه لضخامته في الاقتصاد القومي. قامت هؤلاء الاقتصاديات بحساب قيمة عمل المرأة غير المأجور ووزنه في الناتج القومي الإجمالي وبناء على ذلك عمل القانونيون على تضمين هذه القيمة أثناء سن القوانين المتعلقة بحقوق المطلقة.³

ما تحتاج إليه المرأة العربية هو تعديل ومراجعة تقييم عملها وهويتها بما يتوافق مع الخلفية الفكرية الإسلامية لتصحيح النظرة الدونية التي أصبغت عليهما من قبل كل من الثقافات المحلية والوافدة. وكما ننكر على الثقافات المحلية تحقيرها من شأن ودور المرأة أفلا يحق لنا أن ننكر بنفس الدرجة على الثقافات الوافدة محاولتها فرض المساواة التطابقية مما يتسبب في ظلم المرأة ومضاعفة أعبائها لعدم مراعاة اختلاف الحاجات والقدرات والاهتمامات بينها وبين الرجل؟

إن دور المرأة في حمل الأطفال وإرضاعهم من جسدها والقيام بتربيتهم ورعايتهم، وبالتالي الحفاظ على الجنس البشري ككل، لهو دور خطير ومقدر عاليا في الفكر الإسلامي، حتى جعلت "الجنة تحت أقدام الأمهات". ولم يقتصر تقدير الإسلام لدور المرأة على شكل وعود أخروية أو غيبية فقط ولكن أيضا على هيئة قوانين دنيوية تكفل لها حق الرعاية والحماية والإكرام لتتمكن من تحقيق ذاتها وطموحها وأداء دورها. فحقها على الرجل في الإنفاق ليس تفضلا منه وإنما هو واجب عليه تلمه سلطة الدولة

¹Lipman-Blumen, 1984

²ibid

³ibid

بأدائه إذا حاول التملص. وحقها في التملك أيضا ملزم وإذا أرادت الإنفاق على نفسها أو أسرتهما وإنما تفعل بمحض اختيارها وتجازى عليه كصدقة وتفضل.

ولو طرحنا جانبا التصورات الثقافية البشرية للعرب والمسلمين عن المرأة وقيمتها وهويتها واكتفينا في ذلك بنصوص القرآن والسنة وبسيرة الأعلام من المسلمات، لوجدناها تدل على أن الإسلام ومطبعيه إلى ما قبل عصر هيمنة الحضارة الغربية وقيمتها نظروا للمرأة ليس باعتبارها أحد أعمدة الأسرة والمجتمع فحسب ولكن أيضا كإنسان يتحمل مسؤولية فردية ويتمتع بكيان مستقل اقتصادي وسياسي واجتماعي، ولما وجدنا أثرا لمعظم تلك الثنائيات أو لذلك التحقير والانتقاص.¹ فكيف المرأة المسلمة مركب من جانب فردي مستقل وجانب جمعي يرتبط بأعضاء الأسرة والمجتمع ارتباط ينشأ من الحاجة والاعتماد المتبادل.

وهذا التغيير في تقييم عمل المرأة وهويتها بعيدا عن الثقافات الواردة والعادات المتوارثة واستمدادا من مصادر الإسلام المعرفية هو مطلب عاجل لتتمكن المرأة من المساهمة في إنهاء حالة التردى التي تمر بها أمتنا. تفيد إحدى نظريات "الجنندر" والسلطة بأن أوقات الارتباك والحيرة والفضى والتغيير الهائل السريع هي أنسب الأوقات لتغيير أيديولوجية تحقير وانتقاص قيمة المرأة وأدوارها الأنثوية لأنه في هذه الأوقات يصبح من الممكن إعادة تقييم مصادر السلطة والقوة بجديّة وإعادة تعريف ما كان في السابق مهانا ومزدر ليصبح جوهرى وحيوي ولا غنى عنه لحل الأزمات الطارئة.² وبذلك فإن الظرف الطارئ والمساوي الذي تعيشه مجتمعاتنا يشكل في الوقت نفسه سبب وعامل مساعد للتعبير في حركة الإصلاح والتحرير والنهضة بالمرأة العربية. إن الفترة التي تعيشها أمتنا هي لحظة تاريخية فارقة: فإما أن تشكل قيما وأولوياتنا وفقا لمصالح ورؤى غيرنا وإما أن نأخذ زمام المبادرة فنتولى نحن عملية إعادة صياغة ثقافتنا تجاه القضايا المصرية وفي مقدمتها قضية المرأة.

مفهوم التمكين

في سياق الحديث عن النسوية الغربية يأتي موضوع علاقة السلطة/القوة بين الرجل والمرأة. وكغيره من المصطلحات، وجدت له تعريف عدة، منها "تزويد المرأة بالقدرة على اختيار واتخاذ قراراتها وإحداث تغيير إيجابي في حياتها وفي البيئة من حولها"، ومنها "أن تترجم مساهمات المرأة ومصادر قوتها في الأسرة إلى قوة اقتصادية ومكانة عامة سياسية." وتأويل هذه التعريفات وتصميم المقاربات لتنفيذها يتفاوت بشكل واسع بين الفئات النسوية المختلفة. يرى بعض المؤرخون الاجتماعيون أن الأغلبية العظمى من العلاقات البشرية (الوالدين/الأطفال، الأستاذ/الطالبة، المدير/العمال أو الموظفين، الزوج/الزوجة) تبنى على علاقات السلطة (power relations)، وأنه كان هناك دائما عبر المجتمعات والعصور اختلاف في السلطة والقوة بين الرجال والنساء، بناء على التربية والتنشئة الاجتماعية وعلى الاختلافات البيولوجية والبيئية.³ وكنتيجة متوقعة في واقع لم تتساوى فيه أبدا درجات القوة والسلطة، يكون الطرف الأقل في القوة المادية عرضة للظلم والاضطهاد ويكون فرض والالتزام بقوانين تحمي هذا الطرف لازما وضروريا لتستقيم الحياة، ومن هنا جاء تضمين الرسول التحذير والتخويف من ظلم النساء في خطبة الوداع. ولأن للتنشئة الاجتماعية دور حاسم في تشكيل علاقات السلطة بين الجنسين، أدت المفاهيم المنحرفة عن الاختلاف الجذري بين الرجل والمرأة في بعض الثقافات، كما كان الحال في المجتمع الفيكتوري كما تقدم، إلى تكون ثنائيات استقطابية بين الرجل الفعال والإيجابي والمستقل والقوي مقابل المرأة الخاملة والسلبية والتابعة والضعيفة، ومن هنا ظهر مصطلح "تمكين المرأة".

¹المزيد من التفصيل، انظر: عبد الحليم أبوشقة. 1995

²Lipman-Blumen, 1994

³ibid

وهنا أيضا ينبغي أن نضع جملة من الاعتبارات نصب أعيننا ونحن نعيد تعريف "تمكين" المرأة العربية. هذه الاعتبارات هي نفسها السابقة حول تعريف المساواة (الاتفاق على الخلفية الإسلامية والتفريق بين النصوص والتأويلات البشرية وبين العادات الثقافية) ولكن يضاف إليها عنصران مهمان:

* طبيعة مجتمعاتنا وثقافتنا الجمعية (communalism) مقابل الفردانية (individualism) الطاغية على المجتمعات الغربية، فمصلحة الجمعي لدينا مقدمة على مصلحة الفرد في حالة ما إذا حدث صراع (مع ملاحظة أن أصول الشريعة تحدد من حدوث هذا الصراع غالبا). كما أن من هذا المنطلق الجمعي فإن المرأة لا تترك وحيدة في مواجهة زوج متعدد لحدود العشرة الطيبة، وكثيرا ما يتم التعامل مع حالات النزاع بين الزوجين بلجوء المرأة إلى أسرتها الممتدة لتعزيز موقفها ودفع الظلم عليها وإتاحة مجال أوسع للتفاوض لحصولها على أكبر قدر ممكن من المكتسبات.

* حقنا في مساءلة تعريف النسوية الغربية لـ "السلطة والقوة والتأثير" وحصرتها هذا المعنى في القوة المادية، ولتعاملمها مع النساء والرجال كفتيتين منفصلتين وجماعتين متصارعتين ينبغي توصيف حدود سلطة كل منهما! ذلك أن كياني الرجل والمرأة متشابكان بمجموعة مصالح مشتركة يصعب ويكاد يستحيل فصلها عن بعضها البعض، وخاصة مع وجود أطفال. كما نجد أن مصادر قوة وسلطة المرأة تتطابق أحيانا مع تلك الخاصة بالرجل ولكنها تختلف أحيانا أخرى عنها، وأن هناك أشكال بديلة للثنائية الصارمة المعبر عنها في أدبيات النسوية الغربية. فمثلا هناك سلطة مباشرة وسلطة غير مباشرة، وهناك "قوة ناعمة" (Soft Power) تفرض إرادة أحد الأطراف بلا إكراه أو عنف، وبدلا من تقسيم السلطة والنفوذ بندية حدية بين الرجل والمرأة، هناك حل الصراع بالتشاور والتفاوض كما أن هناك علاقة جدلية متداخلة من تأزر ومساندة إلى جانب الصراع والمنافسة، فعلاقة الاعتماد المتبادل والتكامل في الأسرة تتزامن مع العلاقة التراتبية "hierarchy" والتي تتغير أقطابها (قطب قوي ومؤثر وآخر لئيم ومتأثر) باستمرار مع تغير السياق والأوضاع. فأحيانا يكون الرجل قطب القيادة والقوة، "القوام" على زوجته والراعي لأسرته، وأحيانا آخر تكون الزوجة هي القائمة على رعاية زوجها، والأخذة بزمام أسرتها إلى بر الأمان.² إن كلا الدورين منتج وحيوي ولا غنى عنه لسير الحياة، فالأنوثة "المتلقية" لا تلزم مرتبة التبعية والضعف، والذكورة "الفاعلة"³ لا تحتل مرتبة القوة والقيادة بل هي نسب متبادلة بحسب السياق، وفي مواقف كثيرة تتزامن المرتبتان. وفي مواقف معينة تثبت المرأة قوة وجدل عاطفي أكثر من الرجل والذي يظهر في مواقف أخرى قوة وتماسك عقلاي أكثر منها⁴ إن علاقة السلطة والقوة بين الرجل والمرأة ليست بالبساطة والقطبية التي تصورها النسوية الغربية، بل هي معقدة تتداخل فيها عوامل كثيرة متشابكة نفسية واجتماعية وعاطفية ومادية، ومنها الأمومة كمصدر مهم من مصادر قوة وسلطة المرأة. ولكن بما أن مؤسسة الزواج كغيرها

¹ استعرت مفهوم "القوة الناعمة" من علم السياسة بين الدول الذي يشير إلى "قدرة دول على جعل أخرى تفعل ما تريد عن طريق الإقناع وليس الجبر والإكراه" Nye, 2005.

² وليس هناك أبلغ في تلخيص والتعبير عن هذا الوضع التبادلي والمتكامل من الأيتين الكریمتين، "هُنَّ لِيَاْسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاْسٌ لِهِنَّ" البقرة 187، والآية الكریمة، "المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض.." التوبة 71

³ "الأنوثة المنفعلة والذكورة الفاعلة" مصطلحات وردت في رسائل ابن عربي عن نظريته لكل شئ في الكون من منظور قطبي الأنوثة/الذكورة. بناءً على هذا التصور، فإن أي فعل "مقسم على الحقيقة بين الفاعل والمنفعلة، فمن الفاعل الاقتدار ومن المنفعلة القبول للاقتدار فيه"، وبذلك يكون كل من الدورين إيجابيا في إتمام أي فعل. منقول من مروة كريدية، 2017

⁴ McClure GMG, 2000

هذه الدراسة من الأمثلة على المواقف التي تكون فيها المرأة تكون أكثر تحكما وجلدا بما رصدته من هشاشة الرجل العاطفية والنفسية مقارنة بالمرأة حين وجدت أن معدلات الانتحار بين الشباب أعلى عدة مرات منها بين الشباب، وأن معدل الفرق هذا يرتفع منذ أواخر سبعينيات القرن الماضي في بريطانيا وعدة دول غربية

من المؤسسات المجتمعية تحتاج لربان سفينة، بإمكان الزوجين توصيف "حدود" سلطتهما في عقد الزواج (إذا جارينا جدلا المفهوم النسوي الغربي في التقسيم الحدي لعلاقات القوة والتأثير بين المرأة والرجل).

إن تطورات واقع النسوية الغربية يمدنا بمزيد من شرعية مساءلة أطروحاتها وتوقعاتها. من ذلك افتراض بعض النسويات أن علاقات القوة والسلطة تصبح أكثر مساواة في أسر المثليات. ولكن هذه الفرضية لا تصمد أمام الواقع حيث تبين من خلال أبحاث أجريت في تقسيم العمل وسلطة اتخاذ القرارات أن أسر المثليات والمثليين تتشابه مع الأسر السوية من حيث أن ميزان القوة والسلطة دائما يميل مع أحد الطرفين على حساب الآخر لأسباب عديدة¹. كما أن بعض الدراسات وجدت أن العنف الأسري الذي يمارس في الأسر المثلية أصبح مشكلة اجتماعية ملحوظة².

نموذج بديل للثنائيات الحدية

في لقاءاتي مع مواطنات أمريكيات من أصول يمنية وصومالية وجدت أنهن فيما يتعلق بمفهوم التحرير فإنهن بالتزامهن بأداب الإسلام في مظهرهن وعلاقاتهن مع الذكور، استطعن الحصول على ثقة أسرهن للخروج خارج حدود الجالية لطلب العلم أو لممارسة مهنة. وبذلك تحررن من قيود فرضتها ثقافة جاليتهن الأصلية وفي الوقت نفسه، عن طريق إنجازاتهن الأكاديمية والمهنية، تحررن من أي إحساس بالدونية تقود إليه معاملة التعالي الممارسة من قبل المجتمع الواسع نحو الأقليات الإثنية والدينية، وخاصة المسلمين.

أما عن مفهومي التمكين والمساواة، فإن معظم النساء في الجاليتين يفضلن قيام الرجال بمهمة الإنفاق على الأسرة واتخاذ القرارات مقابل تحملهم عبء نتائج هذه القرارات، ويتنازلن طوعا عن منافسة الرجل في ذلك بغية التفرغ لأموالهم وقرارات أخرى يوليتها أهمية أكبر وتمدهن بشعور من الرضا والإشباع أعظم من التفرغ أو المنافسة على مرتبة اتخاذ القرارات المصيرية وتحمل العبء المالي³.

والطريف أن هؤلاء النسوة يصدّرن أزواجهن في واجهة الصراعات الناتجة عن تطبيق قواعد التربية والانضباط وخاصة على الفتية المراهقين، للتخلص من ضغط وعبء مواقف المواجهة وللتفرغ لأموال شخصية، مثل أداء واجبات الدراسات العليا اللاتي سجلن فيها أو حتى مجرد الاستمتاع بحياتهن بدون مواقف نزاعية مع الأبناء. بل والأكثر من ذلك أنهن قد أعدن باختياراتهن تعريف "القوة والسلطة" السائد في الغرب والذي يعتمد على أساس مادي تنافسي فردي. تمكين المرأة بالنسبة لهن يتمثل في تلقيها ما تستحق من احترام وإكرام وتدليل ومن إنفاق مفروض لها شرعا لتتفرغ لأداء أدوارها الأنثوية والجمعية، لا بقدرتها على حمل العبء المالي عن الزوج أو بإعفائه من مسؤولية اتخاذ القرارات. هؤلاء النساء رأين أن قوة وتماسك علاقاتهن الأسرية مع أزواجهن أو آبائهن، لغير المتزوجات، كانت مصدر أساسي من مصادر "تمكينهن" في المجتمع الكبير خارج حدود جاليتهن، إذ أنها أكسبتهن الثقة بالنفس والشعور بالأمن والدعم للنجاح في مجهوداتهن الأكاديمية والمهنية.

ومما يؤكد تفرد هذا المنهج البديل وتمييزه أن النساء المشتركات في البحثين عملن على المحافظة على والاستفادة من ترابط العائلة الممتدة "التقليدية" - والتي تصدعت أركانها في النموذج الغربي - وذلك لأنها تمدهن وتمد أعضاء أسرهن بقدر عالٍ من

¹Moore, 2008; Orefice, 2008

²Rose, 2000

³al-Huraibi, Nahla. 2014; al-Huraibi, Nahla and Konradi, Amanda. 2012; al Huraibi, Nahla. 2017

الطمأنينة والسكينة والأمن وإمكانية نقل الخصائص الحضارية والثقافية لأبنائهن، وكلها وظائف مهمة لازدهار وتمكين الأقليات العربية/المسلمة. بل أن العاملات منهن خارج المنزل وجدن في الأسرة الممتدة داعم لأدوارهن المهنية حيث تتكفل الأمهات والأخوات والقريبات برعاية الأطفال والمساعدة في الأعمال المنزلية للأم العاملة.

إن النموذج الجديد الذي رسمت ملامحه النساء العربيات-الأمريكيات في دراساتي يقوم على الانفتاح على الثقافتين (الأصلية برغم ما فيها من تضيق لمواهب المرأة، والمضيقة على ما فيها من قيم وممارسات تظلم المرأة بتحميلها أعباء إضافية على أعباء الأمومة والزوجية) وعلى الاسترشاد بالإسلام لاختيار والدمج بين جوانب كل من الثقافتين الإيجابية، فهن يؤكدن على حق المرأة كفرد في التعليم والمشاركة البناءة في المجتمع الخارجي وأن تكون جزءاً أصيلاً من المجتمع الأمريكي الواسع (في تحد واضح لقيم ثقافة جاليتهن الأصلية). وفي الوقت نفسه هن يقدرن عالياً علاقاتهن الأسرية والجمعية ويعتبرن الالتزام بها مصدر من مصادر تمكينهن وتوازنهن النفسي ونجاحهن الأكاديمي والمهني (في تحد واضح لقيم الثقافة المستضيفة). وفي أسلوب حياتهن الذي جمعن فيه أفضل ما في الثقافتين رد بليغ على إصرار بعض النسويات الغربيات على رفض الخصوصيات الثقافية وعلى استخدام "العولمة" لفرض مفاهيم معينة بدعوى أنها قابلة للتطبيق في كل مجتمع (هذا على الرغم من أن في صعود التيارات اليمينية والشوفينية في الولايات المتحدة وأوروبا تحد من نوع آخر لمزاعم العولمة هذه). والإنصاف يقتضي أن أذكر بأن قيم الحرية والتعدد واحترام التنوع في المجتمع الأمريكي قد أوجدت المناخ الملائم لتكوين ونمو هذا النموذج الوسطي البديل، رغم أن تنامي التعصب والإسلاموفوبيا في الغرب مؤخراً يمثلان معوقان خطيران له.

من منطلق نقد وصاية المرأة الغربية على حركة تحرير وتمكين المرأة العربية، نحتاج أن نعيد تعريف النسوية وما تتضمنه من مصطلحات ومفاهيم بما يتلاءم مع واقعنا وقناعاتنا، وباعتبار أوجه الاختلاف التالية:

- الخلفية الفكرية الإسلامية التي تصرح بلهجة حازمة لا لبس فيها ولا غموض تساوي المرأة والرجل في الأصل والإنسانية وشرف العبودية لله والفروض التعبدية والجزاء أو العقاب على الأعمال كفر من مستقل مسؤول.

- الواقع الذي تشكله علاقات القوى والهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية الخارجية ونظم الفساد والتخلف والاستبداد من الداخل.

- الطموحات والتطلعات المحكومة غالباً بالواقع وإملائاته، وبالسيكولوجية الجمعية للنساء العربيات المتأصلة والمتشكلة ضمن إطار تاريخي خاص.

وبناء على ما تقدم، ومن خلال النموذج البديل الذي تشكل من تحليل بيانات دراساتي، أضع تعريفات أولية قابلة للتطوير والإضافة من منظور عربي/إسلامي:

النسوية / الأنثوية: توفير الظروف المادية والاجتماعية والفكرية لمساعدة المرأة على أن تعيش هويتها الأنثوية المتماشية مع فطرتها وأدوارها الحميمية والجمعية كزوجة وأم. وإتاحة الفرص لمن تختار وتتأهل لأدوار تتجاوز أدوار الزوجية والأمومة أن تفعل ذلك في بيئة إسلامية تحمي كرامتها وإنسانيتها وتحترم هويتها المتميزة عن هوية الرجل. إن التيار السائد اليوم يرفع من منزلة أدوار المرأة خارج المنزل وينتقص من تلك الممارسة بداخله، مما يجعل من أهم أهداف النسوية العربية العمل على الوصول بالوعي المجتمعي إلى التوازن الذي يقتضي عدم المبالغة في تقييم عمل خارج المنزل ورفع الحرج عن، بل ودعم، من تختار التفرغ لممارسة أدوارها الحميمية داخل الأسرة.

المساواة: الاعتقاد اليقيني بمساواة المرأة المطلقة بالرجل في الأصول الوجودية (الأصل الإنساني، الروح، القيمة والمسؤولية الأخلاقية، والعلاقة بالخالق) مع تقدير الطبيعة التكاملية/التبادلية لأدوارهما الوظيفية والتي رغم تمايزها إلا أنها تحمل نفس

الأهمية لاستمرار وعافية البناء الأسري والمجتمعي، كما أنها تتساوى في الوزن والثواب عند الله. وعليه، القبول بالتراتبية التكاملية المتغيرة الأقطاب والنتيجة عن اختلاف الأدوار وعدم الافتراض الآلي لمعارضتها للمساواة الانصافية، فالتاريخ الاجتماعي وواقع كثير من الثقافات غير الغربية يشهد تواجدهما معا.

تحرير المرأة: العمل على إلغاء قيود الثقافات المحلية، بما فيها التفسيرات الذكورية الجامدة والمتحيزة للنصوص، التي تنتقص من ملكات المرأة وتنكر عليها حقوقاً أقرها وفرضها الإسلام، وفي الوقت نفسه العمل على الانعتاق من هيمنة وإملاءات الثقافات الغربية التي تنكر على المرأة العربية تقرير ورسم طريقها المستقل للكفاح من أجل بلوغ سعادتها في الدنيا والآخرة. والعمل بجدية لتأهيل المرأة ثقافياً وأكاديمياً وحركياً ومؤسسياً لتكون قادرة على التفكير باستقلالية والتعبير عن نفسها لقطع الطريق أمام من يتحدث نيابة عنها (سواء من المتشددین في فهم الإسلام، أو النسويات الغربيات أو المستغربات، أو التقليديين الذين يدافعون عن الثقافات المحلية الراكدة وكأنها دين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه). وبما أن الحرية تقترب دائما بالمسؤولية، يجدر بمصطلح تحرير المرأة أن يتضمن التعريف بواجباتها حتى تنعتق من الأدوار السلبية والتافهة والخانعة أو التابعة والأنانية التي فرضتها عليها الثقافتان: المتوارثة والواردة.

تمكين المرأة: فرض وتفعيل قوانين الأسرة في الإسلام لحماية المرأة وتحريرها من الاستغلال والظلم والعنف، ولتهيئتها وتمكينها من ممارسة سلطتها الشرعية داخل وخارج الأسرة كعضو ذي كرامة وعزة. هذه القوانين تشمل تلك التي نص عليها بوضوح في النصوص إلى جانب تلك التي تفرزها عملية الاجتهاد المعاصر لمواكبة التغيرات الحديثة. وسينتج تلقائياً من هذا الانعتاق تكوين أسر على قواعد صحيحة من العدل والتوازن تستطيع وترغب فيه المرأة أن تسير جنباً إلى جنب مع الرجل لتحصيل الانعتاق والتمكين الأكبر من قيود الهيمنة الأجنبية والفساد والاستبداد الداخلي. مثل هذا التحرر يحتاج إلى أسر يسودها مناخ متوازن من العلاقات التعاقدية (يمليها عقد الزواج وتفرضها مؤسسات القانون في الدولة) والعلاقات التراحمية (تمليها مبادئ الإسلام الروحانية والأخلاقية من التقوى والإحسان والسكينة والإيثار والمودة والرحمة والرضا، والفضل) وإحلال مفاهيم محل مدلولات النموذج الغربي المهيمنة، مثل المادية والفردانية والصراع والتنافس والنفعية "العقلانية" والكفاءة/الإنتاجية. وبموازاة تفعيل قوانين داعمة للمرأة وحامية لها من الظلم والاستغلال والعنف، يجب أن تسير عملية التربية والتعليم والإعلام وغيرها من وسائل رفع الوعي المجتمعي للإعلاء من أدوار الفضاء الخاص الحميمي للأسرة.

خاتمة:

إذا كان نسق النسوية الغربية الحديثة قد قام على فكرة التمرکز حول الأنثى كفرد مستقل متنصل من الروابط الأسرية والمجتمعية في سبيل تحقيق "تحريرها" و "تمكينها" و "تقدمها" (وكلها مصطلحات ومفاهيم أصبحت - كما تقدم - معبأة بمعان محددة لصيقة بالتاريخ والثقافة والأيديولوجيا الغربية، وليست حيادية قابلة للتبني في المجتمعات العربية/الإسلامية إلا من حيث المعنى العام المشترك)، فهل يمكن تبرير عوامة وفرض هذا النسق كنموذج للنساء العربيات؟ وهل من الواقعي الادعاء بأن مصالح النساء في البلدان التابعة المقهورة، ومنها بلداننا العربية والإسلامية، هي نفسها مصالح النساء في البلدان المهيمنة والمستقلة؟ وكيف يمكن لنا أن نؤمن بذلك في حين أن النسويات الغربيات وجدن أن التيار السائد لنسوية المرأة البيضاء المنتمية للطبقة المتوسطة (أي الموسرة) لا يعبر عن مصالح ومعاناة نساء الأقليات (غير البيض والمنتديات للطبقة الكادحة أو المعدمة) داخل المجتمع الغربي نفسه؟

إن النصوص الإسلامية تدعم بقوة بعض مفاهيم النسوية الغربية، غير أنها لا تنسجم مع البعض الآخر. فهل هذا التمايز يدفعنا إلى مساءلة عدل الإسلام أم عالمية مفاهيم النسوية الغربية عن التقدم والمساواة والتحرر، والتي بسبب تجذرها وتشكلها في سياق حضاري معين تصبح مقيدة بخصوصية ذلك السياق التاريخية والجغرافية والثقافية؟

إن ادعاء حركة النسوية الغربية للعالمية ورفضها للخصوصيات يجعل من الارتباط بها وتبنيها في مجتمعاتنا أمراً شائكاً يستوجب الكثير من التروي والتمحيص والغربة والثقة بالنفس للوصول إلى العولمة الإيجابية التي تلتقي فيها الثقافات للتبادل والحوار والاقتراب من بعضها البعض، لا العولمة السلبية التي تفرض فيها قيم وأسلوب حياة حضارة على مجتمعات العالم. وهذا هو ما يشير إليه النموذج البديل والذي يحقق التوسط بين ذوبان شخصية المرأة العربية في المحيط الأمريكي، أو ما يسمى في علم اجتماع الهجرة والاندماج بـ (Assimilation)، أو الانعزال والانغلاق والتمهيش عن هذا المحيط، أو ما يوصف بـ (Isolation). ومنهجها في ذلك يقوم على الثقة بالنفس والانفتاح الحقيقي المرن على الآخر لا الخضوع التام والتبعية العمياء ولا الرفض التام المتعصب المنغلق.

وسواء في المجتمعات ذات الأغلبية العربية/المسلمة أو في الأقليات في الغرب لكي يكون الاقتباس والتبني من النموذج الغربي صحيحاً، فلا بد أن يواكبه "التخلص من الإحساس بمركزية الغرب ونزع صفة العالمية والعلمية والمطلقة عن الحضارة الغربية وتوضيح أن كثيراً من "القوانين العلمية" في العلوم الإنسانية التي يدافع عنها دعاة التغريب باعتبارها تصلح لكل زمان ومكان هي نتيجة تطور تاريخي وحضاري محدد وثمره تظافر ظروف فريدة في لحظة فريدة"¹

ليس المطلوب منا أن نكابّر وننكر ما تعانيه المرأة في مجتمعاتنا فواقعنا بالتأكيد ليس مثالياً ولا يعكس ما تهدف إليه رسالة الإسلام السمحة من العدالة والمساواة المنصفة والرحمة. كما أن حالة الانحطاط التي تعاني منها بلداننا تستلزم استنفار أقصى الجهود من الرجال والنساء للعمل على نهضتها وانعتاقها من قابلية الاستعمار الداخلية² ومن الهيمنة الخارجية. وبالتالي، نحن بحاجة إلى حركة لتحرير وتمكين المرأة العربية. غير أنني لا أعتقد أن ما تعيشه المرأة الغربية هو النموذج الذي علينا أن نناضل لنصل إليه، فواقع المرأة الغربية ليس المثال للسعادة والرضا والعدل بأي حال من الأحوال، ومن أراد فليطلع على نتائج الدراسات الاجتماعية والنفسية عن أزمت هذا الواقع.

إن استمرار تقديم حركات نهضة المرأة العربية في إطار غربي لا يخدم هذه الحركات بل يرسخ اغترابها عن هوية أمتها وعزلها عن قوى التغيير والعدل الاجتماعي والانعقاد السياسي في مجتمعاتها. إن النجاح الذي حققته نساء النموذج البديل جدير بأن يعطي للمرأة العربية المسلمة في أنحاء العالم العربي الإسلامي الثقة في إمكانية مواجهة التقاليد الراكدة الفاسدة الظالمة للمرأة وفي الوقت نفسه الانتقاء والاختيار لأفضل ما يقدمه النموذج الغربي انطلاقاً في كلتي الحالتين من روح الإسلام ونصوصه قطعية الدلالة. والله أعلم

قائمة المراجع:

المراجع العربية

عبد الوهاب المسيري. 1995. "إشكالية التحيز". تقديم وتحري: د. عبد الوهاب المسيري. المعهد العالمي للفكر الإسلامي
أحمد بن حجر أبو الفضل العسقلاني/تحقيق: علي محمد البجاوي. الإصابة في تمييز الصحابة دار الجيل - بيروت

¹المسيري، ص. 55

²مالك بن نبي 1979م



إعلان الأمم المتحدة لحقوق الإنسان بعد عقد مؤتمر المرأة في عام 1985

عبد الحليم أبوشقة. 1995. تحرير المرأة في عصر الرسالة: دراسة جامعة لنصوص القرآن الكريم وصحيفي البخاري ومسلم. الكويت: دار القلم

مالك بن نبي "شروط النهضة" ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين دار الفكر دمشق 1979م

مروة كريدية، "الأنوثة" في فكر ابن عربي. 2017 <https://www.kasnazan.com/article.php?id=910>

جورج طرابيشي. 2000. من النهضة إلى الردة: تمزقات الثقافة العربية في عصر العولمة. بيروت: دار الساقى

<http://hadithportal.com/index.html> لتخريج الأحاديث الواردة

المراجع الأجنبية :

Ahmed, Leila. 1992. Women and Gender in Islam: Historical Roots of a Modern Debate. New

Haven: Yale University Press

al-Huraibi, Nahla. 2014. Islam, Gender, and Migrant Integration.: the Case of Somali Immigrant

Families. LFB Scholarly Publishing LLC

al-Huraibi, Nahla and Konradi, Amanda. 2012. Second-Generation Yemeni American Women

at the Turn of the Century: Between Individual Aspirations and Communal Commitments. Humanity & Society.

Vol 36, Issue 2

al-Huraibi, Nahla. 2017 "Navigating the Cultural Divide: Islam, Gender, and the

Integration Of Somali Immigrants." Sociology of Islam. SOI 5

Hammer, Juliane. American Muslim Women, Religious Authority, and Activism: More Than a Prayer. Austin

University of Texas Press, 2012

Hidayatullah, Aysha. 2014. Feminist Edges of the Qur'an. Oxford University Press

Open Education Sociology Dictionary

<http://sociologydictionary.org/feminism/>

[Encyclopædia Britannicahttps://www.britannica.com/topic/feminism](https://www.britannica.com/topic/feminism)

Lipman-Blumen, Jean. 1984. Gender Roles and Power. New Jersey: Prentice-Hall, Inc.

Lipman-Blumen, Jean (1994). The Existential Bases of Power Relationships: the Gender Role Case. In, H.

Lorraine Radtke and Henderikus Stam (eds.) Power/Gender: Social Relations in Theory and Practice. London:

SAGE Publications



McClure GMG. Changes in suicide in England and Wales, 1960-1997. Br J Psychiatry.

2000;176:64–67.

Moore, Mignon R. 2008. "Gendered Power Relations among Women: A Study of Household Decision-Making in Black, Lesbian Stepfamilies." *American Sociological Review* vol 73, 2: 335-356; Oreffice, Sonia. 2008. Sexual Orientation and Household Decision Making. Same-Sex Couples' Balance of Power and Labor Supply Choices.

<http://ageconsearch.tind.io/bitstream/44468/2/81-08.pdf>

Nadwi, Mohammad A. 2007. *al-Muhaddithat: The Women Scholars in Islam*. Interface Publications: Oxford, London <http://www.islamicstudies.info/literature/almuhaddithat.pdf>

Nye, Joseph. 2004. *Soft Power: The Means to Success in World Politics*. U.S. Public Affairs

Ramadan. Tariq. November 14, 2016. *The Birth of an Islamic Feminism*. Official website

<http://tariqramadan.com/english/the-birth-of-an-islamic-feminism/>

Rose, Suzana. 2000 *LesbianPartnerViolence Fact Sheet*. National Violence Against WomenPrevention Research Center <https://mainwebv.musc.edu/vawprevention/lesbianrx/factsheet.shtml>

Sabagh, Georges and Ghazallah, Iman. 1986. *Arab Sociology Today: A View From Within*.

Annual Review of Sociology, Vol. 12, pp. 373-399 Published by: Annual Reviews Stable URL: <http://www.jstor.org/stable/2083208> Accessed: 23-11-2015

Velasco, Schuyler. April 17, 2017. *More Young Americans want Moms Stay Home. What's*

Behind That? Christian Science Monitor <https://www.csmonitor.com/Business/2017/0417/More-young-Americans-want-moms-to-stay-home.-What-s-behind-that?cmpid=FB>

Wadud, Amina. 1999. *Qur'an and Woman: Rereading the Sacred Text from a Woman's Perspective*. Oxford University Press

Walters, Margaret. 2005. *Feminism: A Very Short Introduction*. Oxford University Press

جماعة الرفاق الافتراضية والهوية

د. عميرات محمد الأمين/ المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ، الجزائر

ملخص:

برزت دراسات كثيرة حول إشكالية الهوية العربية الاسلامية على شكل مشاريع بحثية وظفت من خلالها مجموعة من التصورات و الخبرات ذات خصوصية ثقافية و مخيالية لكل مفكر أراد من خلالها أن يوظف سؤال التجديد على هذه الاشكالية أين برزت وسائل الاعلام الحديثة كمتغيرات جديدة قدمت نوع من الأنساق في العملية البنائية للمجتمعات العربية الاسلامية اين نتكلم عن الهوية الافتراضية وعلاقتها بهذه المؤسسة الغير رسمية المتجسدة في جماعة الرفاق فما دور هذه الجماعة في المجتمعات العربية الاسلامية في تشكيل الهوية؟

الكلمات المفتاحية: جماعة الرفاق- الهوية- الجماعات الافتراضية- التواصل الاجتماعي-تكنولوجيا الأتصال.

مقدمة :

التحوّلات الاجتماعية ، الثقافية والسياسية التي يعيشها العالم العربي اليوم يُبقي الشباب العربي في وضع مقلق متأزم يبحث من خلاله عن بديل افتراضي له من خلال تلك الأطر الإعلامية ، التكنولوجية والتواصلية التي وجد فيها متنقسه الأساسي، فمرحلة الشباب فترة انتقال تخضع لتطوّرات تاريخية و اجتماعية دقيقة، فالشباب واقع بيولوجي، ثقافي واجتماعي معقد، غامض وحساس، قلق و متمرد، قد تظهر كل هذه الحالات وهذه الوقائع والمحطّات دفعة واحدة كما قد تتجلى في محطّات مختلفة عن بعضها البعض لكن الأكيد أنها بطريقة أو بأخرى قد تؤدّي و تستدعي بعضها البعض لتخلق لنفسها كيانات مختلفة وهويات متطاحنة في كثير من الأحيان كلما ضاق بها الزمن الاجتماعي والسياسي ، الثقافي والاقتصادي فتسعى إلى تحطيمه والتنكّر له والبحث عن البديل باختراق الواقع نحو أفق مغاير.

I- تعريف ثلّة الأقران (جماعة الرفاق)

اختلف العلماء والباحثون في تسمية جماعة معينة من الأطفال أو الشباب. فهناك من يطلق اسم جماعة الأقران، وهناك من يسمّيها جماعة الأصدقاء، وهناك من يسمّيها جماعة النواصي، وهناك من يسمّيها جماعة الأصدقاء، وهناك من يطلق عليها اسم جماعة الأتراب. ومهما يكن من اختلاف بين الباحثين في إطلاق التسمية على هذا النوع من التنظيم الاجتماعي، إلا أن المضمون واحد.

فتعرف جماعة الرفاق بأنها جماعة من الأفراد يلتقون في الميول والدوافع والطموحات والاهتمامات الاجتماعية، هو مجتمع تلقائي لم يقم أحد بتنظيمه، لم توضع قواعد و قوانين. انه مجتمع نابع من حاجة نفسية واجتماعية حقيقية يتميز بأنه مجتمع يستلب قلوب أفرادهِ ويستوعب بسرعة كل فرد جديد ينظم إليه، كما لا يتميز بالتفكير المنطقي، ولا يحسنّ بالمسؤولية لدى وضع خططه.¹

II- العوامل التي تتحكم في الانتماء إلى جماعة الرفاق:

1- السن: غالبا ما تضم جماعة الرفاق أفراد من سن واحد أو يتقاربون في العمر، بحيث لا توجد جماعة تجمع في صفوفها أفرادًا تتراوح أعمارهم ما بين العشرين والست سنوات، لأن السن ينعكس على طبيعة السلوك وطبيعة التعامل وطبيعة الحديث، كما يتدخل السن في توفير ظروف مساعدة لانسجام الجماعة وبقاءها وتماسكها كالتقارب في التفكير والاهتمامات والميول.

2- الطبقة الاجتماعية: يتدخل المستوى الاقتصادي والاجتماعي للطفل في تحديد نوع الأصدقاء الذين يختارهم كشركاء، والاندماج معهم في النّشاطات الاجتماعية المختلفة، ففي جماعة الرفاق هناك تبارز بالألقاب والمكانة الاجتماعية والاقتصادية والحاجات المتوفرة. والمال والألبسة وأنواع المأكولات، والطفل لا يصمد أمام هذه الأشياء إذا لم يكن يتقاسمها معهم.

3- الجنس: غالبا ما يميل الفرد إلى مصاحبة الأفراد الذين هم من جنسه. فهناك جماعة الرفاق للبنين، وهناك جماعة الرفاق للبنات. وهذا الأمر نابع عن الاختلافات الفسيولوجية بين الجنسين، وكذلك الاختلافات البيولوجية والنفسية، ولا يميل الفرد إلى مصاحبة جماعة الرفاق من الجنس الآخر، إلا في الحالات الاستثنائية. فالتناس ينظرون بازدراء للفرد الذي ينتهي إلى جماعة الرفاق من غير جنسه.

¹ جان شازال، الطفولة الجانحة، ترجمة: أنطوان عبود، منشورات عويدات، بيروت، ص 39.

4- الاهتمامات الاجتماعية: تتدخل الاهتمامات الاجتماعية للأفراد بشكل كبير في تشكيل جماعة الرفاق والانتماء إليها، لأنّ من الدوافع المؤدية إلى تشكل الجماعة هي وحدة الاهتمامات وتتبعها وحدة الميول والأهداف الاجتماعية التي تعتبر عاملا مساعدا في تحقيق الأهداف والميول، فهناك جماعة الرفاق المدرسي، جماعة الرفاق الرياضية، جماعة الرفاق المسرحية...

5- المكان لجغرافي: يؤدي العامل الجغرافي دورا في تكوين جماعة الرفاق وانتماء الفرد إليها، فهي المجتمع القريب من الطفل عندما يخرج من المنزل، ويقضي أوقات فراغه معها، ولذلك توجد جماعات الأحياء التي يوجد بينهم المكان الذي يسكنون فيه. فالطفل عادة ما يميل إلى مصاحبة الأقران الذين يجاورونه في الإقامة ويناصرونه في الشدّة.

III- أنواع الأفراد في جماعة الرفاق:

1- الأفراد الشعبيون: هم الأفراد الذين يتلقون تأييدا اجتماعيا من قبل زملائهم، ويحظون بقبول اجتماعي إيجابي أكثر.

2- الأفراد المنبوذون: هم الأفراد الذين يتلقون رفضا اجتماعيا من قبل زملائهم ويكونون ذو سمعة سلبية وسط زملائهم. فهم بصفة عامة يحظون بتأييد أقل إيجابية من زملائهم.

3- الأفراد المجادلون: هم الأفراد الذين يتراوحون بين التأييد والرفض، فتارة يحظون بتأييد وتدعيم من قبل زملائهم وتارة أخرى يحظون برفض وقلة تأييد، فهم ويتعرضون للنمطين السابقين من المعاملة.

4- الأفراد المهملون: هم الأفراد الذين يكونون عادة غير معروفين، بحيث يتلقون قليلا من القبول والرفض، وذلك لسلبيتهم وسلبية دورهم بداخل الجماعة، (فلا يكونوا محل اهتمام من قبل زملائهم، ويكونون على الخطوط الهامشية لعملية التفاعل الاجتماعي للجماعة وعادة ما يكونوا مسافرين لتوجهات أغلبية الجماعة).

5- الأفراد المعتدلون: هؤلاء الأفراد هم الذين يتوسطون الجماعة، ويميلون إلى التوفيق بين المجمعات الأخرى ويقفون موقفا وسطا، وبذلك يتلقون قبولا ورفضاً متوسطين من قبل زملائهم.

IV- أساليب جماعة الرفاق:

أولاً: الثواب الاجتماعي: فهي تعطي الكثير من الامتيازات النفسية الاجتماعية لعنصرها، وتحيطه بأنواع شتى من الرعاية والدافق الاجتماعي، مما يؤدي بالفرد إلى الحرص على البقاء فيها والاستمتاع لقرارها وتنفيذه، ومسايرة تنظيمها حتى ولو كان كل ذلك يخالف سلطة الأسرة.¹

ثانياً: العقاب الاجتماعي: أسلوب توظفه جماعة الرفاق في التعامل مع أعضائها وضبط سلوكهم ضدّ الأفراد الذين يتسبّبون في إثارة المشاكل داخل الجماعة ويتمثّل هذا العقاب في الرفض والنبد وعدم إعطاء أهميّة وتقدير لهذا النوع من الأفراد، قصد التأثير على السلوك الناتج عن الجماعة وتنظيمها ومحاولة تعديله أو تغييره. فالجماعة تسلب الفرد المكاسب والامتيازات التي أعطته إيّاها وهذا ما يؤدي بالفرد إلى تعديل سلوكه وإمّا يؤدي به الأمر إلى تغيير الجماعة.

ثالثاً: أسلوب النمذجة: أي تقديم نماذج سلوكية يتوحد معها أعضاء الجماعة. فجماعة الرفاق تحاول أن ترسخ أفكارا معينة أو تبني اتجاهات جديدة عن طريق إعطاء المثال داخلها، يؤدي بأعضائها إلى تقليد هذه النماذج وتبنيها.

رابعاً: المشاركة الاجتماعية في النشاطات المختلفة، كاللعب،، الرحلات، الحملات التطوعية وغيرها من أصناف النشاطات، وهذه الأنشطة لا تتيح فرصة التعلّم والتمرس على مهارات جديدة فحسب، وإنما تؤدي بالفرد إلى انفتاح شخصيته وانطلاقها

¹ زهران حامد عبد السلام، علم النفس الاجتماعي، منشورات عالم الكتب، 1984، ص 268.

والتصرف بشكل عفوي وتلقائي مع أفراد المجتمع. كما أنها تؤدي بالفرد إلى التخلص من الكثير من الأعراض السلوكية السلبية، كالخوف، الارتباك، الاضطراب، الخجل، الاكتئاب، وترتّب فيه صفات إيجابية كالشجاعة والمرح، الانبساط والطلاقة في الحديث.

- وهذه الأنشطة هي التي يجد فيها الفرد فرصة التعبير عن الذات، وإبراز القدرات واكتشاف طاقاته النفسية، وكذا هواياته وميوله التي يستطيع أن يحقق فيها طموحاته وآماله.

7- السلوك الاجتماعي لجماعة الرفاق وأدوارها:

أولاً: السلوك الاجتماعي في جماعة الرفاق:

أثناء عملية التفاعل الاجتماعي بين أعضاء الجماعة الرفاق، ينتج سلوك متباين للأفراد يكون عبارة عن استجابات يمكن وصفها كالآتي:

1- المسايرة: من أنواع السلوك الاجتماعي للأفراد داخل جماعة الرفاق، المسايرة التي هي عبارة عن نوع من التعديل والتغيير في السلوك والاتجاهات، ينشأ جزاء ضغط الجماعة الحقيقي والمتخيّل على أفرادها.¹

2- الطاعة والانقياد: إن جماعة الرفاق تعبر عن مجتمع مصغر، وتنظيم اجتماعي يتكوّن من قادة وأتباع ويتلقى القادة الطاعة من أتباعهم بشكل تلقائي من أجل إنجاز الهدف والعمل في راحة وتبادل الأدوار وإشباع الحاجات التي يرغبون في تحقيقها.

3- الانسحاب والانكفاء: نتيجة للعوائق والمشاكل التي يتعرض لها الفرد داخل جماعة الرفاق، فقد ينسحب من جماعة الرفاق التي هي من جنسه إلى جماعة أخرى، وذلك ضغط عدم الشعور بعدم الإشباع النفسي والاجتماعي، وكذلك الشعور بالفشل والكرامية من قبل زملائه.²

4- المنافسة: قد يلجأ الأفراد إلى المنافسة بينهم في أداء أدوار معيّنة، أو استظهار قوى ومهارات، ويتعلّق الأمر بإظهار قدرة بناء علاقات حسنة، واستعطاف الآخرين وجلب تأييدهم وهي من أهم الوظائف الأساسية في حياة الفرد، كما أن الفشل في المنافسة وبناء العلاقات مع أعضاء الجماعة، هو في حدّ ذاته يشكل خطورة كبيرة في التعاون مع الجماعة وإحراز تأييدهم.³

5- العدوانية: يمكن أن تكون نتيجة لظاهرة الرّفص الاجتماعي من قبل الجماعة للفرد، عندئذ يلجأ الفرد المنبوذ إلى ارتكاب اعتداءات على زملائه، كالكلام البذيء أو تحطيم أغراضهم أو ضربهم والإيقاع بهم⁴ فالأفراد المنبوذون اجتماعياً يكونون أكثر عدوانية تحت تأثير الرغبة والانتقام.

ثانياً: الأدوار الاجتماعية لجماعة الرفاق:

جماعة الرفاق تنظيم اجتماعي داخل المجتمع العام، يأخذ أدواراً اجتماعية مختلفة، بشكل يجعل منه محيطاً اجتماعياً حيويًا وجذاباً بالنسبة للأطفال والمراهقين على حدّ سواء.

¹ دافيد لندال، مدخل إلى علم النفس، ترجمة: الطواب سيد و آخرون، دار ماكجر وهيل للنشر، 1980، ص758.

² حسن محمود، الأسرة ومشكلاتها، دار النهضة العربية للنشر، 1981، ص252.

³ Deborah A.Cohen & others, (The family & children's leer relations) Journal of social & personal relationship, Vo : 08,1991, P315.

⁴ Christopher S.Martin & others, (aggressivity inotention Hyperctivity & impulsivity il boys at high & low risk for substance abuse) , Journal of abnor al child psychology, Vo : 22, N°02, 1994, P177.

1- دور المؤسسة الاجتماعية: يمكن لجماعة الرفاق أن تأخذ دور مؤسسة اجتماعية تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية، ويتمتع أعضاؤها بالتنظيم والتنمية النفسية، وتعلم مجموعة من المهارات الاجتماعية وتبلغ أهمية جماعة الرفاق، في هذا الجانب إلى درجة أن الأطفال يتعلمون أشياء كثيرة. لا يستطيعون تعلمها من الراشدين، فهم يتعلمون كيف يتصرفون مع السلوك العدواني والتسلطي.

2- دور تقديم المساعدة: يمكن أن تؤدي جماعة الرفاق دور المساعد للأطفال في كيفية التعامل مع المشاكل الانفعالية الأخرى، وخاصة فيما يتعلق بالعلاقة مع الوالدين. فالطفل يجد في جماعة الرفاق من يسمع له، ويوجهه ويرشده ويساعده على تجاوز العقبات وحل المشكلات.

3- دور الأولياء: يمكن أن تأخذ جماعة الرفاق دور الأولياء في الأسرة. فالأشياء التي يتلقاها الطفل في الأسرة يمكن أن تجد تدعيماً في جماعة الرفاق. وتسير جماعة الرفاق في تعاملها مع أعضائها في خط مسير للأسرة في شكل سلوك تعاوني تكاملي، ويجب أن تتوقّر في هذه الجماعة العلاقات الدافئة والاهتمام الإيجابي بالفرد، والحرص على تحقيق حاجاته الاجتماعية، والاستجابة لدوافعه النفسية وعدم كبحها وقهرها.

4- دور المدرسين: يمكن أن تأخذ جماعة الرفاق دور المدرس في المدرسة وذلك من خلال ما يلاحظ على بعض جماعات الرفاق من تعاون في المدرسة والمذاكرة الجماعية، بحيث أن الفرد الذي ينتمي إلى الجماعة التي يتميز أعضاؤها بالتحصيل الدراسي المرتفع. فإنه سيتحسن مستواه الدراسي حتى ولو كان منخفضاً قبل الانتماء لأنه عن طريق التقليد والتحفيز والتشجيع، يلجأ الفرد إلى الامتثال والحرص على التحصيل المدرسي حتى يجد مكاناً مقبولاً بين زملائه، وتتطور هذه العلاقة إلى تخصيص ساعات للمذاكرة الجماعية في البيوت، المكتبات العامة، ... الخ.

5- دور المنع للسلوك الانحرافي: وفي المقابل هذه الأدوار، يمكن أن تأخذ جماعة الرفاق دور المؤسسة المنتجة للسلوك الجانح، والتصرفات غير الاجتماعية والإبداع في فنون الإجماع، وتكون المحيط الذي يساعد الفرد على الانحراف السلوكي.

VI - وظيفة جماعة الرفاق الاجتماعية:

- تؤدي جماعة الرفاق مجموعة من الوظائف نحو أفرادها وقد أحيطت في العناصر التالية¹

- 1- تنمية شخصية الفرد بصفة عامة وإكسابه نمط الشخصية الجماعية.
- 2- مساعدة الفرد على النمو الجسدي والعقلي والاجتماعي، الانفعالي.
- 3- تكوين وبلورة معايير اجتماعية وتنمية الحساسية والنقد نحو بعض المعايير الاجتماعية للسلوك.
- 4- تهيئة الظروف النفسية والاجتماعية لتمكين الفرد من أداء أدوار اجتماعية جديدة ومهمة مثل: القيادة.
- 5- تنمية الولاء الجماعي في نفسية الفرد وتحفيزه على المنافسة مع جماعات أخرى.
- 6- تنمية مجموعة من السمات الشخصية المهمة بالنسبة للفرد، كالاستقلال الذاتي، الاعتماد على النفس، الاستماع للآخرين... الخ.
- 7- تتيح الفرصة للفرد للقيام بعملية التجريب والتدريب على الأدوار الاجتماعية الجديدة، وعلى تبني السلوك الجديد.

¹ زهران حامد عبد السلام، علم النفس الاجتماعي، المرجع السابق، ص 287.

- 8- تقوم بوظيفة التصحيح والتقويم للسلوك المتطرف أو المنحرف لأفرادها من خلال النقاش والحوار والنقد الحر والمتسامح.
- 9- إشباع حاجات الفرد النفسية الاجتماعية، كحاجة الفرد للحب، وحاجته للانتماء والحاجة للمعلومات.
- 10- استدراك النقص الحاصل في شخصية الفرد وإكمال ما عجزت الأسرة أو المدرسة عن تحقيقه، كإمداد الفرد بثقافة اجتماعية حول العديد من القضايا الاجتماعية المطروحة.

1- الجماعات الاجتماعية:

ما معنى الحركة الاجتماعية؟ وهل لكل حركة أو فعل يمكن أن يوصف بكونه حركة اجتماعية؟ ما هي خصائصها ومحدداتها وما العناصر الأساسية التي تدخل في تشكيلها؟

هذه الأسئلة تم تصدير مقالة علمية -سجل علميا- تحت عنوان "السوسيولوجيا والمجتمع لدى ألان تورس وبيير بورديو ، تمت الإجابة فيها عن مختلف محددات الحركات الاجتماعية، ومتجاوزا بذلك التعريف الضيق لها، وذلك بأن أعطى لها بعد شمولي: "إن الحركة الاجتماعية هي فعل موجّه ثقافيا وتصارع اجتماعي يقوم به فاعل معرف من خلال وضعه المسيطر أو النابع داخل نمط امتلاك التاريخانية.

إنها ذات طابع شمولي ينقلها من الهامشية إلى المركزية، وذلك بإدراج صراعاتها في مستوى الحقل التاريخاني".

لقد أرخى مفهوم الجماعة سدوله على علم الاجتماع، وأثرت حوله عدّة إشكالات. جعلت العديد من آباء العلم يتوحسون منه. لطبيعة التداول اليومي المستهلك لهذا المفهوم، بالإضافة إلى ذهاب فريدناند تونيس إلى أن التحديث modernisation نجم عنه خسارة الجماعة والتضامن المحلي وفي الاقتصاديات الصناعية النامية لشمال أوروبا لن تعد المعركة المتبادلة والضوابط الاجتماعية المتولدة نتيجة العيش في مواقع ريفية صغيرة النطاق نسبيا، ممكنة في المراكز الحضرية الناشئة، كبيرة النطاق والمستقلة والمتنوعة اجتماعيا وأصبحت هذه الفكرة الخاصة بخسارة الجماعة بدورها فكرة محورية في تطور دراسات مدرسة شيكاغو للتحضر.

لمفهوم الجماعة تعريف تقليدي يحصره في العلاقات الخاصة بالموقع أو الحوار المشترك لمجموعة من الأشخاص وتعريف حديث يحمل أفكار التضامن والارتباط بين أناس يشاركون في الخصائص أو الهويات الاجتماعية نفسها.

وارتبط مفهوم الجماعة أو الحركة بالطبيعة السياسية والاجتماعية لهويتها، التي تتناول الصلة بين المجتمع المدني والنظام السياسي خارج أنماط المشاركة السياسية المؤسسية" وهو ما يميزها عن العصابات واللوبيات، والتي تشتغل بآليات غير واضحة. وفي وسط بطبعه السرية والعنف المادي في غالب الأحيان.

2- الجماعات الافتراضية: المفهوم والتعريف

إنه بالعودة إلى كتاب Les communauté virtuelle يعرف الجماعات الافتراضية بأنها " تجمعات اجتماعية وثقافية تظهر في الشبكة عندما يكون هناك عدد كاف من الأفراد، يشاركون في مناقشات عامة خلال وقت كاف، ويضعون من وجدانهم ما يكفي لنسج شبكات من العلاقات الإنسانية في الفضاء السيبراني.

انطلاقا من هذا التعريف يمكن أن نستنتج بأن الجماعات الافتراضية تتميز بـ:

- توفر عدد معين كحد أدنى.
- إلزامية الدخول في النقاش

- الاستمرارية الزمنية في النقاش
- العلاقات غير محددة ومعروفة مسبقا.
- العلاقات تتشكل من خلال النقاش العام.

ويمكنني أن أزيد مميزات عدة للجماعة الافتراضية: من خلال الممارسة العملية من داخل الفضاء العمومي الافتراضي، وتفكيك عدة حركات افتراضية - مع العلم بأنني سأزيد من تفصيلها بالمحور التطبيقي، كي أجمعها في الأمور التالية:

* غياب الرمز أو القائد أو القيادة الإدارية.

* غياب الهياكل المحددة وفقا لقانون أساسي كما هو الحال مع الحركات لواقعية.

* طبيعة العلاقة فيها إرادية وليس ضرورية وفقا للقرابة العائلية أو الجغرافية أو الدينية.

* صناعة نخبة جديدة بدل النخبة الواقعية.

* طبيعة الجماعة ترافعية احتجاجية.

* جماعة تنتج "الحقيقة" بشكل جماعي غير محدد سلفا.

* استيعاب شرائح مجتمعية مهمة كما وكيفا، كانت إلى وقت قريب منسحبة.

* هامش الإبداع والتدخل واسع وكبير، بدون قيود تنظيمية أو قانونية.

ونتيجة هذا كله هو:

• تجاوز الحركات التقليدية.

• تجاوز النخب الواقعية.

• انتهاج قاموس مفاهيمي جديد.

1-2- تعريف الجماعات الافتراضية:

مفهوم الجماعات الافتراضية هو أحد العناصر المتكررة، للخطاب الذي تضعه المعلوماتية حول نفسها، ويقوم بدوره على الدوام في كل الحالات، بواسطة البوابات التي تقدم خدمة الدردشة، وقوائم وميادين للبحث، وبريد إلكتروني وإدراك لصفحة منزلية.

تجدر الإشارة إلى أن هذه الخدمات. من جانب آخر. لا يتم تقديمها على انفراد إلا نادرا، و هو ما يشير إليه فاليري بودو Valerie Beaudoin وهو عالم اجتماع في مختبر العلوم الإنسانية في إنفا جانب آخر مترابط تماما بممارسة فاعلين يمضون وقتهم في التجوّل من مكان لآخر، ويشكلون مجموعة.

كما تعتبر الجماعات الافتراضية أحد أبرز الرهانات المتعلقة بالمواقع الاجتماعية، وذلك لما يثيره هذا المفهوم من جدل حول أثر الأنترنت بصفة عامة، والمواقع الاجتماعية بصفة خاصة على اللحمة الاجتماعية Le lien Social.

يعرف راينغولد هاورد العالم الأمريكي المختص في الاتصالات، في كتابه المرجعي لجماعات الافتراضية بأنها "تجمعات اجتماعية وثقافية وسياسية تظهر في الشبكة عندما يكون هناك عدد كاف من الأفراد يشاركون في مناقشات عامة خلال وقت كاف من الأفراد ويضعون من وجدانهم ما يكفي لنسج شبكات من العلاقات الإنسانية في الفضاء السبراني.

ظهور هذه لجماعات الافتراضية مع النت، طرح عدّة تساؤلات ذات منحنى سوسولوجي باعتبارها شكلا جديدا من أشكال الاجتماع البشري. مثل التساؤل حول مصداقية ووثوقية العلاقات، التي تربط بين أشخاص لا يعرفون بعضهم البعض؟ أو التساؤل حول دور الأنترنت في إضعاف اللحمة الاجتماعية؟ عن طريق علاقات افتراضية تحل محل حرارة العلاقات الإنسانية المباشرة، وفي هذا السياق تسأل فيليب بروتون عن دور الأنترنت في تهديد اللحمة الاجتماعية.

2-2- الجماعات الافتراضية ومسألة الهوية:

تؤكد العديد من المؤشرات والتقارير على أن الجيل الناشئ سيكون جيل الشبكات الاجتماعية، والدليل على هذا الانتشار الواسع للتقنية التي عجلت في وثيرة سرعة الانتشار، ولطبيعة بنيتها التي تسمح بظهور وسائط وشبكات اجتماعية مهمة، تحقق نوعا مهما من التواصل السريع. كما تدل مؤشرات أخرى، أيضا، على أن هذه المرحلة هي مرحلة فيس بوك والمدونات والتويترب والبال تولك واليوتيب.

نذكر هنا بأن الفيس بوك على سبيل المثال، ينتمي إليه حاليا حوالي 700 مليون مستخدم حسب آخر الإحصائيات، منها ما يقارن ثلاث ملايين مستخدم في المغرب أغلبهم تتراوح أعمارهم بين 16 سنة و40 سنة، وكذلك هو الأمر مع المدونات التي اعتبرت هي الأخرى، مساهما في التأطير العام ومحقة نسبة مهمة من الاستعمال.

فالوسيطين الإعلاميين اعتبروا في الدول العربية، بمثابة جماعتين افتراضيتين لهما دلالاتهما ورمزيتهما، باعتبارها توطدان الرابطة الاجتماعية الافتراضية للأفراد، القائمة على دلالة حميمية، وفي الوقت نفسه توفر هوية جديدة لمستخدمها.

ففي الآونة الأخيرة تمكن الإجماع على الإقبال لدى الأفراد على المشاركة والفاعلية من داخل الجماعات الافتراضية. ليس فقط في المجتمعات العربية وباقي الدول السائرة في طريق النمو، بل سبق اعتمادها بالدول العربية التي تستعين بالتقنية كوسيلة أساسية في جميع أنظمتها.

على الرغم من اتساع استعمال التقنية بالعالم العربي، لم يحدث ذلك النقاش الساخن حول هذه التقنية الاتصالية الجديدة، كالذي يحدث في العالم العربي حيث احتدم فيه الجدل حول آثار هذه التقنية، رغم ما أحدثت من تغيرات على مستوى البنيات الاجتماعية التقليدية وشبكة الترابط الاجتماعي الأسرة، العائلة، المدرسة، الحي... بمعنى أنه في المجتمعات التقليدية ما زالت مؤسسة الأسرة كشبكة اجتماعية للتربية والتنشئة، والعائلة كشبكة اجتماعية للترابط والتواصل القرابي، والحي والحومة أو الدرب أيضا كشبكة اجتماعية للعب واللهو، والخيط الناظم بين الشبكات الاجتماعية أن لها خصائص وقواعد ومحددات وعناصر وضوابط تساهم في تحديد الهوية الاجتماعية للفرد.

نحن لا نكاد نرى أو نسمع جدلا بتلك الحدة التي يعرفها المجتمع العربي. فيما يخص آثار الشبكات الافتراضية على نمط العلاقات داخل الشبكات الاجتماعية التقليدية، اللهم بعض النقاش على مستوى الخطاب السياسي والإعلامي، الذي فرضته التحولات الأخيرة على المشهد السياسي العربي، بفعل الدور الذي لعبته هذه الوسائط الإعلامية في هذه اتغيرات.

إن الوسائط الإعلامية أصبحت "جماعات افتراضية" منافسة ومؤثرة، وخصوصا بعد أن راح استخدامها على نطاق واسع، تضاعف بذلك عدد المستخدمين لها بشكل كبير كما توضح المعطيات والأرقام.

ويعود الإقبال الكبير على هذه المواقع لاعتبارات كثيرة نذكر بعضها:

أ- سهولة برنامج استخدامها.

ب- تقديمها لجودة عالية التقنية في التواصل الاجتماعي.

ج- انفتاحها بشكل كبير، إذ تتيح سهولة الإبحار في عالمها رغبة كبيرة للأفراد في نسخ علاقات اجتماعية جديدة، وقضاء مدة زمنية طويلة أمام الحاسوب.

فبتفاوت عدد المستخدمين بين دول العالم المتقدم وبين دول العالم المتخلف. وبين الفئات الاجتماعية داخل المجتمع الواحد. فما هي إذن دلالات نزوح الأفراد نحو الوسائط الإعلامية "فيس بوك" نموذجاً؟ هل نحن حقاً أمام موجة ثالثة كما سماها أليفين توفلر؟ هل أصبح الفايبريوك يعبر عن شبكة اجتماعية جديدة لها توجهات خاصة؟ هل مازالت المؤسسات التقليدية كشبكات اجتماعية ومؤسسات للتنشئة الاجتماعية تحافظ على دورها في تشكيل الهوية الاجتماعية؟ أم أنها متجاوزة أمام الإقبال الكبير على الفضاء العمومي الافتراضي؟

بناءً على هذا ارتأينا دراسة هذه الظاهرة الاجتماعية بهدف إثارة النقاش العلمي حولها على غرار تلك الدراسات العلمية التي أجريت حول هذا الموضوع في الدول الغربية.

ارتأيت أن تكون انطلاقتي لفهم وتفسير هذه الظاهرة في مجتمعنا المغربي، وكشف التباينات التي ستوصل إليها. وقد وقع اختياري على الفايبريوك نموذجاً، لظهور تجليات تشكل الجماعات الافتراضية، والمسيرة ومواكبة النقاش المجتمعي الحاصل حوله، ومن أجل مقارنة معرفية حوله.¹

VII- الواقع الافتراضي وتحدي الهوية:

تعتبر اليوم ظاهرة "الوسائط الإعلامية" من أكثر الظواهر الاجتماعية التي استقطبت الملايين من الأشخاص. بشتى شرائحهم وانتماءاتهم، وفرضت العديد من التحديات التي تؤثر على القيم والثقافة والهوية وأنظمة التربية بالمجتمع، وخصوصاً مع التخلف التقني الذي يعرفه البلد لدى فئة عريضة، فمن خلال تفحص الواقع التقني للوسائط، التي ظهرت نتيجة التطبيقات العلمية في مجال الإعلام عبر شبكة الاتصال المعلوماتية (الأنترنت) سنجد عالماً افتراضياً يسهل التحكم فيه عن بعد، مما يجعل منه عالماً واقعياً، ولكن لا واقعية العالم الذي اعتاد الإنسان التعامل معه منذ وجد، بل واقعه جديدة يسميها الفيلسوف محمد عابد الجابري: اعتبارية أو افتراضية.²

بمعنى أن العولمة في جانبها المعلوماتي تتجاوز الحدود القومية، وتتعامل مع فضاء جغرافي لا يعترف بالحدود، ربما يخلق حدوداً جديدة داخل الدولة الواحدة تفصل بين المستخدم للأنترنت (تملك مدونة، أو تملك صفحة في شبكة افتراضية) وبين غير المستخدم للأنترنت. وبالتالي ستخلق أزمة في بنية المجتمع، وشبكات الترابطية وهويته الجماعية، وتقضي على خصوصيات الشعوب.

"الجماعات الافتراضية" موضوع هذا البحث ستبين لنا أن اكتشافها واستعمالها للمرة الأولى وانتشارها بكثافة كان في الدول العربية، وبالضبط في الولايات المتحدة الأمريكية التي تتميز بتعدد ثقافي وتعدد هوياتي. كما أن المجتمع الأمريكي تغيب فيه

¹ عبد الخالق بدري، الجماعة الافتراضية ومسألة الهوية <http://www.alquiam.ma/Article.aspx?C=5652>

² محمد عابد الجابري، مجلة فكر ونقد، العدد 22، العولمة وهاجس الهوية في الغرب والعولمة والهوية... بين عالمين، ص 12.

الروابط الاجتماعية (مفكك اجتماعيا)، مجتمع الفردانية، مفكك اللحمة الاجتماعية، وفوق كل هذا فإن الولايات المتحدة الأمريكية هي مركز النظام العالمي الجديد، وموطن "العولمة" (الرأسمال والشركات العملاقة المتعددة الجنسيات): وأثناء تصدير التقنيات التكنولوجية الرقمية الحديثة للدول المتخلفة تصدر معها نموذج الحياة الأمريكية (لللباس، الذوق، التفكير، قيم الاستهلاك، الثقافة، السرعة المفرطة، تجريد الإنسان من الوجود الواقعي إلى الوجود الاعتباري...) وبالتالي ستخلق أزمة للمجتمعات المتخلفة صناعيا. خاصة المجتمعات التقليدية والمحافظة التي تتعارض ثقافتها الأصلية والأعراف والمعايير مع الثقافة الأمريكية. فظهور الفايسبوك نموذجا في المجتمع الأمريكي له ما يبرره اجتماعيا وثقافيا وتقنيا، لأنه من جهة لا تتعارض من حيث المحتوى والمضمون مع المعايير الاجتماعية والأخلاقية التي تميز المجتمع الأمريكي، ومن جهة أخرى لأن المجتمع الأمريكي متقدم صناعيا ويعتمد التكنولوجيا الرقمية في شتى مناحي الحياة، أما في مجتمع أهلي تقليدي كالمجتمع المغربي فسنتطرح مشكل التعارض مع مؤسسة التنشئة الاجتماعية، ومؤسسة المجتمع المدني، والحركات الاجتماعية، والمعايير الأخلاقية التي تعد فاعلا رئيسيا في رسم هوية الإنسان المغربي.

هل سيؤدي هذا الوضع إلى القضاء على خصوصية وثقافة المجتمع المغربي؟ أم أنها ستتعايش معها دون أن تتعرض للاستلاب الثقافي ودون أن تفقد ثقافتها لهويتها الوطنية.

VIII - إشكالية الهوية:

إن مشكل الهوية أو أزمة الهوية (لا نقصد أزمة القيم) ليست وليدة اليوم، وإنما مرتبطة بعمليات الانفتاح الثقافي حتى قبل ظهور وسائل الإعلام والاتصال، حين كانت الدول والأمم في الماضي تنفتح على ثقافة أمه أخرى فنهل منها ما يعجبها أو العكس، ويتحقق ذلك بفعل عملية التأثير والتأثر، أما في وقتنا المعاصر فازداد مشكل الهوية أكثر حدة، ليس فقط لأن مبتكروا وسائل الإعلام والاتصال يصدرون ثقافتهم لشعوب الدول النامية، بمعنى أن العلاقة بين الهوية المحلية وهوية العولمة لسبب علاقة وحيدة الاتجاه. وإنما أصبحت الهوية تركيب بين معطيات العالم الواقعي والعالم الافتراضي، الذي يشكل جزءا كبيرا من العالم الواقعي. وهذا من شأنه أن يؤدي إلى انقسام على صعيد الهوية. (في العالم الواقعي لكل جماعة هوية اجتماعية أما في العالم الافتراضي تعدد الهويات داخل الجماعة الواحدة "حركة 20 فبراير التي تضم نجيب شوقي زعيم "حركة مالي" للإفطار في رمضان، وسعيد بن حبلي الذي ينتمي لجماعة أصولية على سبيل المثال)، إنما راكمتها التحولات الكبرى التي شهدها العالم أواخر القرن العشرين متمثلة بالأساس في العولمة باعتبارها "ثقافة" اكتسحت العالم بالوسائل التكنولوجية الحديثة (هاتف، نقال، ألعاب الفيديو، الحاسوب، انتشار الأنترنت، تطور خدمات الاتصال) التقنية الجديدة تأتي بمحتوى ثقافي للدول المصنعة "أمريكا" وبالتالي تنتشر معها الثقافة ونمط الحياة الأمريكية، وإذا لاحظنا لباس الشباب وذوق الشباب ونوع الموسيقى التي يستمعون إليها. تمثلاتهم وقيمهم. سنجد أنها متأثرة بالنمط الأمريكي، لكنها لا تستجيب له كليا، وفي نفس الوقت غير مستعدة أن تتخلى عن ثقافتها الأصلية، وهذا الأمر يضع الشباب في "أزمة حسم الخيارات"، وبالتالي أزمة في تحديد الهوية، بين الهوية الأصلية أو الهوية الوافدة الحاملة للحرية المظلمة (التفكير، الاعتقاد، السلوك، التعبير)، والقائمة على الاستهلاك، وتوحيد الذوق ونمط العيش.

IX - التحولات التقنية المتسارعة وانعكاسها على الهوية:

التحولات المتسارعة في مجال التكنولوجيا خلقت أزمة في الهوية، فكلما زادت السرعة في أي مجال كلما ازداد البحث عن النوات في الهوية، ماذا نقصد بالتحول؟ وما هو التحول أصلا؟ إذا اعتبرنا أن الفايسبوك معطى اجتماعي في بنية تقنية، فهو أحدث تغير على مستوى التفكير بعد انتقال التفاعل الاجتماعي من العقل التأملي إلى العقل التقني.

إذا كانت الدولة روح الجماعات تجمع الفكرة العامة للجماعة وتحميها، فهل بعد تحرير الفضاء العمومي سيحدث تحوّل في الهوية الجماعية؟

لكن مفهوم التحول هنا، ليس دائما مفهوما إيجابيا، لأننا سوف نبحث في الجوانب السلبية التي أضفتها الشبكات الافتراضية على هوية الأفراد، ويحيلنا مفهوم التحول إلى انتقال الحياة البشرية من المجتمع الصناعي إلى مجتمع المعلومات أو "مجتمع المعرفة" باعتباره الشكل المجتمعي الجديد الذي تنتظم في إطاره البشرية اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا، والذي تحتل فيه المعلومات مكانة محورية باعتبارها الثروة الحقيقية التي يتوقف على سرعة الحصول عليها ومعالجتها واستغلالها. تقدم مجتمع معين أو تخلفه، كما نسجل نقطة تحول أخرى حسب مجموعة من المفكرين وتتجلى في انتقال التفكير من العقل التأملي إلى العمل التقني. كما أن ما يميز المجتمع الحديث هو انتشار التقنيات الحديثة للإعلام والاتصال وسيطرتها على مختلف المجالات والأنشطة الاجتماعية، ويتجلى التحول الذي خلفه الفضاء الافتراضي بصفة عامة هو أنه قدم لنا عالما مطابقا لعالم الواقع، ولكنه غير محسوس يقوم على تقنيات الاتصال الحديثة، هذا العالم الجديد يضم جميع أنشطة عالمنا الواقعي المعتاد. ومميزاته هو أنه متحرر من المسافة الزمنية والمكانية، وأنه يتم التحكم فيه عن بعد. أما هوية الأشياء التي يحتويها والأنشطة التي تتم فيه فتحدد بالوصف اعتباري virtuel، حسب محمد عابد الجابري، وليس بافتراضي أو وهمي، كما يعنيه المعنى الأصلي للكلمة، لأن الأمر هنا لا يتعلق بمجرد وجود تصوري من صنع الخيال أو الوهم، بل بوجود واقعي: مشاهد عبر الصورة والكلمة وجميع الرموز، ولكنه مع ذلك "اعتباري" بمعنى أن الاتصال فيه يتم عن بعد وعبر رموز.

يمكن القول في البداية أن أي ظاهرة حديثة لا تأتي بدون مقدمات وممهّدات، وإنما تأتي كنتيجة لمسلسل طويل هو مسلسل التدويل، وإذا أردنا رصد مسلسل التدويل لظاهرة الشبكات الاجتماعية الافتراضية سيتبين لنا أنها امتداد وتطوير نوعي لتقنية الاتصال والأترنت. هذه التقنية التي تعد اليوم دروة ما ابتكره الإنسان اليوم في مجال التكنولوجيا الرقمية. مع موازاتها تعرف الحياة الإنسانية تحولات جوهرية للأفكار الأساسية للأفراد في سياق حركة التطور والتقدم العلمي والتقني. لأن انتشار الفكر التقني أدى إلى خلخلة ثوابت الجماعات البشرية. التقنية الحديثة وفرت للإنسان حرية لا محدودة جعلته ينصهر كلياً في فلكها. حيث يلاحظ العديد من الفلاسفة وعلماء الاجتماع إن هناك ارتباطاً وثيقاً بين تطور التقنية وبين الأهمية المتنامية التي حظي بها المحسوس والحسد والعرائر الطبيعية للإنسان. وهي كلها أصبحت مع هرمان جاكوبي. جوهر الفردية.¹

X - مظاهر تحول الهوية:

إن من أبرز مظاهر التحول الهوياتي هو التجرد من الخصوصية، ثم إن الهوية تتجرد من مركزيتها في إحكام سلوك وأفعال الأفراد والجماعات. وإلى جانب هذا هناك مؤشرات أخرى تدل على تغير أو تحول في الهوية نذكر منها ما يلي:

أ- فك الارتباط بالوطن

ب- فك الارتباط بالرموز القومية (الذاكرة المشتركة)

ج- فك الارتباط بالرموز الدينية والتاريخية

د- تعبر اللغة المستعملة في التواصل والإشارة والتحية والرموز

إضافة إلى كل ما سبق فهناك تحول آخر مرتبط بإقبال كثيف على المواقع الاجتماعية على شبكة الأنترنت، وهو العلاقات الاجتماعية الافتراضية وانعكاساتها السلبية على العلاقات الاجتماعية التقليدية، الملاحظ أن هذه العلاقات الاجتماعية تنسج

¹ حوار مع الفيلسوف داربوش شايفن حول الفضاء الافتراضي، مجلة الأولن الالكترونية

إراديا عكس العلاقات التقليدية التي يفرضها الواقع بحكم القرابة العائلية أو علاقات العمل أو الدراسة. فالشبكات الافتراضية تمكن الأفراد من الدخول في علاقات مع من يريدون متى يريدون وكيف يريدون. ويعتبر هذا التحول تحولاً سوسولوجيا جوهريا أدخله الأنترنت على العلاقات الاجتماعية التي أصبحت اختيارية وليست ترابية. وعن انعكاسات هذا التحول على هوية الأفراد يرى بعض علماء النفس أن ظاهرة تمضية أعداد متزايدة من الناس أوقاتا مطولة أمام شاشة الكمبيوتر لقضاء " حياة أخرى" تحت هوية غير هويتهم المعتادة وذلك سواء عند المشاركة في فضاءات الدردشة كما هو الحال في البال توك" أو "السكيب" أو في فضاءات افتراضية مفتوحة ل "الفايسبوك" و"تويتر" و"مايسبيس" فيقوم بتقمص شخصية مغايرة لشخصياتهم المعتادة، أو أثناء التواصل عبر هذه الوسائط الاتصالية الحديثة فتتحقق التأثير والتأثر في أحاسيس وعلاقات وهوية الشخص عندما يقضي ساعات طوال في الإبحار على الأنترنت في عوالم افتراضية يلتقي فيها بطريقة تفاعلية مع اشخاص آخرين تحت هوية غير هويته.

من مظاهر التأثير الهوياتي التي لفتت أنظار كثير من الباحثين في موضوع العولمة هذا الانتشار السريع للثقافة الشعبية الأمريكية في مجالات الموسيقى والسينما والتلفزيون والأطعمة السريعة والملابس وغيرها. وبالأخص في أوساط الشباب. ويفسر بول سالم ذلك بإرجاعه إلى عوامل عدة منها هيمنة شركات الإعلان الأمريكية على التسويق العالمي، وقوة شركات الإنتاج الفني واستغلالها لعصر ازدهار الأقمار الصناعية في ترويج مظاهر ثقافية نجحت بين الشباب الأمريكي، فتنقلها إلى الشرائح الشبانية في أنحاء العالم فيما يشبه "صناعة ثقافية خاصة بالشباب" تتوافر فيها كل عناصر الجذب والتشويق، وتشبع لديهم وهم محاراة العصر والتشبيه بالعربي الأمريكي. إلى جانب الكسب العاجل من وراء هذا التشويق على المستوى العالمي، فإن الكسب الأهم يتمثل في أن شبان اليوم هم تحت المستقبل في بلادهم.

قائمة المراجع:

- 1- حسن محمود، الأسرة ومشكلاتها، دار النهضة العربية للنشر، 1981.
- 2- حوار مع الفيلسوف داريوش شايفن حول الفضاء الافتراضي، مجلة الأونلاين الالكترونية.
- 3- دافيد لندال، مدخل إلى علم النفس، ترجمة: الطواب سيد و آخرون، دار ماكجر وهيل للنشر، 1980.
- 4- زهران حامد عبد السلام، علم النفس الاجتماعي، منشورات عالم الكتب، 1984.
- 5- عبد الخالق بدري، الجماعة الافتراضية ومسألة الهوية <http://www.alquiam.ma/Article.aspx?C=5652>
- 6- محمد عابد الجابري، مجلة فكر ونقد، العدد 22، العولمة وهاجس الهوية في الغرب والعولمة والهوية... بين عالمين.
- 7- Christopher S.Martin & others ,(aggressivity inotention Hyperctivity & impulsivity il boys at high & low risk for substance abuse) , Journal of abnor al child psychology, Vo : 22, N°02, 19940
- 8- Deborah A.Cohen & others ,(The family & children's leer relations) Journal of social & personal relationship, Vo : 08,19910

نحو تفعيل التنمية الثقافية لمواكبة التّحولات التّنمويّة المستدامة: دولة الإمارات العربيّة المتّحدة نموذجاً

الباحثة إحسان عبد الله محمد الهارش الميسري/الجامعة الإسلامية العالمية ، ماليزيا

إشراف الأستاذ الدكتور الفاتح عبد الله عبد السلام رئيس قسم العلوم السياسية بالجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا

ملخص:

تركز هذه الدّراسة على دور دولة الإمارات العربيّة المتّحدة في تعزيز وتفعيل التّنمية الثّقافة وإكسابها زخماً مجتمعيّاً، وذلك في إطار جهودها الدّؤوبة نحو تحقيق التّنمية المستدامة، بعد أن أصبحت الثقافة عنصراً أصيلاً في تعزيز التنمية بأبعادها المختلفة. ولتحقيق هذه الأهداف تبنت الدّولة عدداً من السياسات والتّوجهات التي من شأنها أن ترسخ الحراك الثّقافي والفكري في المجتمع من خلال منظومة ترتكز على قواعد واضحة ومحددة، من بينها إصدار قانون القراءة الإلزامي، وتنشيط الحياة الثّقافية والفكرية والفنية عبر تنظيم جملة من الفعاليات المختلفة بما فيها معارض الكتاب، وإطلاق الجوائز الثّقافية والفكرية. لذلك نجد أنّ مجتمع الإمارات الذي يشهد حراكاً ثقافياً مدفوعاً بزخم التّحولات العصرية والانفتاح والتفاعل مع مختلف ثقافات العالم، سيتمكن بعد عملية تراكمية -تحتاج إلى المزيد من الوقت لتتضح- من ترسيخ التّنمية الثّقافية في المجتمع الذي بات أكثر وعياً وتفهماً إلى حد ما لقيم المعرفة والثّقافة والفكر والفن لتتماشى مع التّوجهات الرّسمية والمجتمعية الرامية إلى إعلاء شأن الثّقافة والفنون والإبداع والابتكار بما يتوفر لها من مقومات ثقافية وتاريخية وموروث تراثي.

وخلصت الدّراسة إلى أنّ دولة الإمارات تشهد مرحلة من شأنها أن تمهد إلى الاستدامة الثّقافية التي تعتمد على عدة أطراف فاعلة ومؤثرة في المجتمع وهي: الدّولة ممثلة في مؤسساتها الثّقافية والفكرية، ومنظمات المجتمع المدني، ووسائل الإعلام المختلفة.

الكلمات المفتاحية: التّنمية الثّقافية، الثقافة، قانون القراءة، التّنمية المستدامة.

مقدمة:

تعمل دولة الإمارات العربية المتحدة في الوقت الراهن على تنشيط الحياة الثقافية والفكرية والفنية في المجتمع من خلال حزمة من البرامج والفعاليات المختلفة، بغية إثراء الحياة الثقافية لتشكيل عاملاً فارقاً في تعزيز الحس الإبداعي، وتحويل الثقافة والفكر والإبداع إلى واقع ملموس. ويعكس هذا التوجه إلى حدٍ ما إيجابية التعاطي الحكومي مع العمل الثقافي، ليقبل بذلك فضاءات غير تقليدية، ستستقطب بالضرورة الأجيال الجديدة التي تمثل شريحة كبيرة من المجتمع الإماراتي، إلى جانب تنوع المجالات الثقافية التي تقدمها المؤسسات المعنية بالثقافة والفكر والفنون. كما تأتي هذه الخطوات في ظلّ غلبة التوجه التخبوي للثقافة والفكر، خلال مرحلة التأسيس الأولى من نشأة الدولة عام 1971م. فقد شهدت الأعوام القليلة الماضية نوعاً من الحراك الثقافي النشط نسبياً، يمثل توجهاً عاماً لا يمكن إنكاره والرامي إلى تحفيز كافة فئات المجتمع الإماراتي للمشاركة في التظاهرات والفعاليات الثقافية والفكرية، بعد أن أدركت الدولة أهمية التنمية الثقافية كمكون أساسي من مكونات التنمية المستدامة، والتي تتطلب بناء الإنسان معرفياً وثقافياً وفكرياً، والأخذ بأسباب الفعل الثقافي الإيجابي، وتأسيس المعرفة باعتبارها عاملاً مهماً في التنمية المستدامة إضافة إلى تحقيق الاستدامة الثقافية، والعمل على توظيف الثقافة في التنمية.

ولاً: أهداف الدراسة:

1. إبراز مساهمة التوجه الحكومي الداعم للشأن الثقافي في تعزيز وتفعيل مشاركة المواطنين في الحياة الثقافية، وإمكانية ربطه بالتنمية المستدامة.
2. استعراض سمات التوجه الرسمي الثقافي، وبيان دوره في ترسيخ التنمية الثقافية في المجتمع.
3. التعرف على مدى إمكانية أن تساهم المؤسسات الثقافية في تعزيز التنمية الثقافية.
4. استعراض أبرز التحديات والمعوقات التي تحدّ من استكمال المشروع الوطني الثقافي والفكري في المجتمع.

ثانياً: أسئلة الدراسة:

1. كيف يمكن أن يساهم التوجه الحكومي الداعم للشأن الثقافي في تعزيز وتفعيل مشاركة المواطنين في الحياة الثقافية، وكيف يمكن ربطه بالتنمية المستدامة؟
2. ما هي أبرز سمات التوجه الرسمي الثقافي؟ وكيف يمكن أن ترسخ التنمية الثقافية في المجتمع؟
3. إلى أي مدى يمكن أن تساهم المؤسسات الثقافية في تعزيز التنمية الثقافية؟
4. ما هي أبرز التحديات والمعوقات التي تحدّ من استكمال المشروع الوطني الثقافي والفكري في المجتمع؟

الإطار النظري و المفاهيمي:

تعريف الثقافة و التنمية الثقافية:

تبرز أهمية الثقافة في كونها تعتبر مكملاً مهماً للتنمية المستدامة، فدولة الإمارات العربية المتحدة التي تقدمت خطوات هامة على الصعيد التنموي، حيث حصدت مراكز متقدمة عالمياً في المؤشرات الاقتصادية والتنموية، تسعى جاهدة وبخطى حثيثة لاستكمال مسيرتها التنموية، وفي هذا الإطار تحاول أن تفعل من الثقافة لكونها تمثل أداةً للتثقيف والتنوع والتوير في مناخ ملائم. وتشكل التنمية الثقافية محوراً مهماً ضمن الأجندة الوطنية الطامحة نحو شحذ الشخصية الإماراتية وتغذيتها بالطاقت الإبداعية والفكرية، التي ستساهم في إعداد جيل مثقف متفاعل ومتجاوب حضارياً.

ويجب إدراك أنه لا يمكن أن تحقق المجتمعات البشرية النمو وتطوير هويتها وثقافتها ورفد حضارتها إلا بالتنوع والتعدد، وإدارة هذا التنوع والتعدد بقيم ضرورية وليست اختيارية هي قيم التسامح والتعايش. فالمجتمعات المتنوعة ثقافياً أكثر حيوية

ونضوجا وغالبا أقل عرضه للفتنة والفوضى عكس المجتمعات الأحادية الثقافة والنمطية تكون هشة وأكثر عرضة للتفتيت والتشردم. وللثقافة دور إيجابي في التبادل المعرفي والتنمية البشرية¹.

ويشكل تعميق الوعي الثقافي من أهم عناصر التنمية الثقافية المقترحة للمرحلة المقبلة وذلك من خلال عمل معرفي ثقافي واجتماعي وسياسي ونمط ارتباطي بقضايا المجتمع واحتياجات الإنسان². ويجب ألا تقتصر الثقافة بأبعادها وأنشطتها كافة على النخبة فقط بل من الطبيعي أن تتسع لأكبر عدد ممكن من الجماهير الواسعة في المجتمع³.

ونستطيع أن نعرف الثقافة على أنها "الإرث الاجتماعي" ومحصلة النشاط المعنوي والمادي للمجتمع. وتتكون الثقافة من شقين الأول، الشق المعنوي من حصيلة النتاج الذهني والروحي والفكري والأدبي والقيمي، ويتجسد في الرموز والأفكار والمفاهيم والنظم وسلم القيم والحس الجمالي. أما الشق الثاني فيكون مجمل النتاج الاقتصادي والتقني والبيوت وأماكن العمل والسلاح،... أما الإطار الاجتماعي فيتمثل في المؤسسات والطبقات والجماعات وأنماط التنظيم الاجتماعي⁴.

وفي تعريف أما للثقافة نرى أنها "عبارة عن هذا المركب الذي يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين والعادات والأعراف إلى جانب القدرات والعادات المكتسبة من جانب الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع"⁵. كما أنّ الثقافة "في أحد معانيها هي جملة القواعد والمعتقدات والأفكار والسلوكيات والعلاقات السائدة بين أفراد المجتمع، كما أنّها نتاج عملية تعليمية تراكمية"⁶. كما يُعرفها بعضهم بأنها⁷ "مجموعة من المعارف والمواقف والاتجاهات والميول التي يكتسبها المرء بالكلمة المقروءة أو المسموعة أو المرئية، وتؤدي إلى ارتقائه وارتقاء المجتمع الذي يحيا فيه، حيث يتم اكتساب الثقافة بالإضافة إلى الجهد الشخصي، بالخدمات الثقافية التي تقدمها الدولة كجزء من واجباتها ومهامها الوطنية، فالمدارس والصحف والدوريات والمكتبات والمراكز الثقافية جميعها خدمات تنفق الدولة الأموال لتوفيرها بهدف تثقيف المواطنين، وتنويرهم ومدّهم بأسباب العلم والمعرفة. وترى الباحثة أنّ هذا التعريف يتسق مع أغراض الدراسة من حيث شموليته للجوانب الفكرية والثقافية ودور الدولة في دعم الثقافة باعتبارها جزء من واجباتها ومهامها الوطنية، وسيتم توظيفه لمعالجة الواقع الثقافي في دولة الإمارات.

أما التنمية الثقافية فتعتبر أحد الأبعاد الأساسية في عملية التنمية كونها توفر القاعدة المناسبة لها، فهي عملية دائمة ومستمرة لا يمكن وضع حد نهائي لها في المجتمعات البشرية وهي عملية معقدة متداخلة الأبعاد لا يمكن أن يتحقق بعد واحد منها أو ينجح ويكون مجدياً إلا إذا اندمجت فيه التنمية الثقافية مع التنمية على الصعد الأخرى⁸.

¹ إيمان شمس الدين، النظام القبلي في الخليج وجذور التطرف، البيت الخليجي للدراسات والنشر، في 22 يونيو 2016م، انظر الرابط: <https://gulfhouse.org/posts/1481/>. تمت المشاهدة في 10 أكتوبر 2017م.

² يوسف الحسن، أية ثقافة.. أي مواطن نريد في المستقبل؟ شواغل وهموم وطنية إماراتية، (دبي: ندوة الثقافة والعلوم، 2014م). ص 19.

³ يوسف الحسن، المرجع السابق، ص 17.

⁴ عبد الوهاب الكيالي وآخرون، الموسوعة السياسية، ط5، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2009م)، ص 844.

⁵ جان فرنسوا دورتيه، معجم العلوم الإنسانية، ترجمة جورج كتورة (بيروت: مشروع كلمة والمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2009م)، ص 296.

⁶ عبد الخالق عبد الله، الحركة الثقافية في الإمارات، ط1، (أبوظبي: المجمع الثقافي، 2000م)، ص 99 و 129.

⁷ ياسر الفهد، الصحافة الثقافية في الخليج العربي - دراسة توثيقية تحليلية في الصحافة العربية والخليجية - (دمشق: دار البشائر، 1996م، ط1)، ص 42.

⁸ فيروز راد وأمير رضائي، تطوير الثقافة: دراسة اجتماعية في مفهوم التنمية الثقافية عند علي شريعتي، ط2، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، 2016م)، و ص 9، ص 52.

كما يعرفها التقرير العربي الأول للتنمية الثقافية تعريفاً علمياً وهي "كل ما من شأنه أن يسهم في كل مجال من مجالات النشاط الإنساني في نشر قيم مجتمع المعرفة، وتحديد النظم والوسائل والأدوات الكفيلة باستنفار العقل العربي وتوظيف قواه الحية، والارتقاء بالوجدان العربي من ناحية أخرى"¹.

لذلك نجد أنّ مجتمع الإمارات الذي يشهد حراكاً ثقافياً مدفوعاً بزخم التحولات العصرية والانفتاح والتفاعل مع مختلف ثقافات العالم، سيتمكن بعد عملية تراكمية -تحتاج إلى المزيد من الوقت لتنضج- من ترسيخ التنمية الثقافية في المجتمع الذي بات أكثر وعياً وتفهماً إلى حد ما لقيم المعرفة والثقافة والفكر والفن، لتندمج مع التوجهات الرسمية والمجتمعية الرامية إلى إعلاء شأن الثقافة والفنون والإبداع والابتكار بما يتوفر لها من مقومات ثقافية وتاريخية وموروث تراثي.

ووفقاً للتعريف السابق نرى أنّ دولة الإمارات تحاول أن تؤسس لمجتمع المعرفة وفقاً لرؤية شمولية للتنمية، وفعلت عدداً من الأدوات -المادية والمعنوية- لتوظيفها بطريقة ترتقي بأفاق المعرفة والثقافة والفكر، وهي بذلك تصبح على أعتاب نهضة ثقافية وفكرية وفنية جديدة تتماشى مع المرحلة التي تستعد لها الدولة، كما تحمل في طياتها إصراراً على استكمال مسيرة الثقافة والفكر التي بدأت مع تأسيس دولة الإمارات عام 1971م.

وفي هذا السياق تعمل الدولة كذلك وفي إطار تطبيقها لمتطلبات التنمية المستدامة التي تتخطى الجانب الاقتصادي والبيئي لتصل إلى الجانب الاجتماعي، تعمل على اعتبار التنمية المستدامة هدفاً يتعلق بـ"التطوير الحضاري"، خصوصاً في ظلّ الظروف التي تشهدها الدول العربية، بما يتجاوز الجانب الاقتصادي لتشمل التنمية الحريات السياسية والمدنية والعلاقة بين الحاكم والمحكوم، وأداء الإدارة الحكومية، والمؤسسات التشريعية والسياسات العامة والمؤسسات القضائية والمنظمات غير الحكومية والإعلام والتعليم وإجمالاً المجتمع كله². لذلك نجد ان الجانب الثقافي والفكري سيلعب دوراً لا يستهان به في التطوير الحضاري الذي تسعى الدولة لتحقيقه.

فالتنمية المستدامة " هي تنمية قابلة للاستمرار، وتهدف إلى الاهتمام بالعلاقة المتبادلة بين الإنسان ومحيطه الطبيعي وبين المجتمع وتنميته. وتلي التنمية المستدامة احتياجات الأجيال الحالية دون المساس بقدرة الأجيال القادمة المقبلة على تلبية احتياجاتها الخاصة"³. وتعالج العناصر المترابطة للتنمية المستدامة والمتمثلة في النمو الاقتصادي والإدماج الاجتماعي وحماية البيئة، عن طريق إتباع أنماط إنتاج واستهلاك متوازنة دون الإفراط في الاعتماد على الموارد الطبيعية وعدم استنزافها والحفاظ عليها.

ويتمثل التحدي الثقافي الأساسي لدولة الرفاه، في رفع مكانة الثقافة في المجتمع بحيث يكون الإنتاج الثقافي للفرد شرطاً من شروط موقعه في المجتمع، والارتقاء بمكانة الثقافة في المجتمع لتكوين بناء نسق قيمي يدعم الارتقاء الثقافي والإبداعي لأبناء الدولة⁴. وفي هذا السياق، تعكس مقولة رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة أهمية

¹"التقرير العربي الأول للتنمية الثقافية"، موقع الجزيرة نت، في 14 يناير 2009م، على الرابط:

<http://www.aljazeera.net/knowledgegate/books/2009/1/14/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%82%D8>

تمت المشاهدة في 3 نوفمبر 2017م.

²ثناء فؤاد عبد الله، "حول النمو الاقتصادي وسياسات التنمية في الوطن العربي" ضمن كتاب النمو الاقتصادي والتنمية المستدامة في الدول العربية.. الأبعاد الاقتصادية (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 2013م)، ص 411.

³عبد الكريم صادق، "نشوء مفهوم التنمية المستدامة"، ضمن تقرير المنتدى العربي للبيئة والتنمية 2016م، بيروت، ص 16، على الرابط:

<http://www.afedonline.org/webreport/AR/afedreport2016-ar.htm>

⁴محمد توهيل أسعيد وآخرون، مجتمع الإمارات الأصالة والمعاصرة، (الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 2005م، ص 136.

يربط تحقيق الرفاه للمواطن مع بناء الإنسان المثقف والواعي والمنفتح حين يقول: "الرفاه الذي نتطلع له لا يمكن تحقيقه أو ضمان استمراره دون إنسان منتم ماهر منتج مثقف ملتزم بالقيم والمثل والأخلاق معتد بعقيدته معتر بدولته وخصوصيته قادر على قبول الآخر والانفتاح على ثقافته"¹. فالمجتمع الإماراتي كما يرى أحد الأكاديميين "بحاجة ماسة إلى توثيق علاقاته مع الثقافة ومنتجاتها، مثلما أقام علاقته مع التجارة والاقتصاد والتحديث، والحكومة الذكية، ويجب أن نعترف بأنّ هذا التوثيق المنشود ليس عملية سهلة وإنما معقدة، ويستحسن ألاّ تتولى مهامها الشركات الدولية باعتبار أن الهوية الثقافية لأي مجتمع ليست معطى جاهزاً ونهائياً"².

ونتيجة للتحويلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي يشهدها المجتمع، والتي أدت إلى وجوب صياغة سياسات عامة جديدة، تتماشى مع تلك التحويلات ومن بينها المنظومة الثقافية، فقد تبنت الدولة عدداً من السياسات والتوجهات التي من شأنها أن تساهم في ترسيخ هذه المنظومة ووضع قواعد واضحة ومحددة لها، ونحاول هنا أن نرصد بعضاً من مظاهر الحراك الثقافي الذي يشهده المجتمع الإماراتي في الوقت الراهن:

- يركز التوجه الحكومي الجديد للمنظومة الثقافية للدولة على محاولة تأسيس قاعدة ثقافية بكافة تجلياتها الإبداعية والأدبية والفنية، تتجسد في حزمة من المشروعات والرؤى والمبادرات الرامية إلى تطوير العمل الثقافي في جميع أنحاء الدولة، وإطلاق مبادرات غير مسبوقه على مستوى العالم العربي مثل مشروع "كلمة" للترجمة الذي يعد المشروع الأضخم عربياً في مجال الترجمة وانطلق عام 2007م، يهدف إحياء حركة الترجمة وزيادة معدلات القراءة باللغة العربية حيث بلغ عدد الكتب التي تمت ترجمتها 900 كتاب حتى عام 2016م³. إضافة إلى تحدي القارئ العربي، وهي مبادرة إماراتية تهدف إلى تشجيع القراءة في العالم العربي من خلال التزام مليون طالب عربي بقراءة 50 مليون كتاب عربي خلال العام الدراسي الواحد⁴.
- العمل على بلورة سياسات ثقافية جديدة لتعزيز الجهود المبذولة بهدف تعميق الوعي الثقافي والحضاري لدى أفراد المجتمع.
- أضحت تفعيل النشاط الثقافي والإنتاج الفكري والفني في الدولة خلال السنوات القليلة الماضية عنصراً فاعلاً ضمن الأجندة السنوية للدولة، وذلك من خلال عدة مظاهر أبرزها استضافة الدولة لمختلف الفعاليات المرتبطة بالفعل والمنتج الثقافي مثل، إطلاق الجوائز الثقافية والأدبية ومعارض الكتب والمعارض الفنية والتشكيلية المختلفة والمهرجانات الموسيقية ومهرجانات السينما والمسرح، وندوات ومؤتمرات دولية معنية بالثقافة والإبداع، ومن أبرز الجوائز الثقافية في الدولة التي يعتد بها إقليمياً ودولياً جائزة الشيخ زايد للكتاب التي أطلقت عام 2007م وتعد من أكبر الجوائز العالمية التي تمنح للمفكرين والمبدعين والمترجمين والشباب ويبلغ مجموع جوائزها 7 ملايين درهم⁵.

¹ محمد بن مسلم بن حم، الإمارات العربية المتحدة.. الحكم الرشيد (أبوظبي: 2013م)، ص122.

² يوسف الحسن، أية ثقافة.. أي مواطن نريد في المستقبل؟ شواغل وهموم وطنية إماراتية (دبي: ندوة الثقافة والعلوم، 2014م)، ص49.

³ إمارة أبوظبي، دائرة الثقافة والسياحة، الموقع الإلكتروني، على الرابط:

<http://tcaabudhabi.ae/ar/what.we.do/national.library/projects/kalima.aspx>

تمت المشاهدة، الساعة 9 مساءً في 28 أكتوبر 2017م.

⁴ الموقع الإلكتروني لتحدي القراءة العربي، على الرابط: <http://www.arabreadingchallenge.com/ar/project-launching>

تمت المشاهدة في 18 أبريل 2018م.

⁵ جائزة الشيخ زايد للكتاب، الموقع الإلكتروني، على الرابط: <http://www.zayedaward.ae/?lang=ar> تمت المشاهدة الساعة 3 م في 10 أكتوبر

2017م.

جائزة سلطان بن علي العويس الثقافية أطلقت عام 1987م وهي جائزة مستقلة، تهدف إلى تشجيع وتكريم الأدباء والعلماء والشعراء العربي وتبلغ مجموع جوائزها 600 ألف دولار.¹ كما تبرز في هذا السياق عاصمة الإمارات الثقافية، الشارقة التي تقدم نموذجاً فريداً في التنوع الثقافي والفكري والمسرحي والفني من خلال مشروع الشارقة الثقافي الذي يعكس رؤية ثقافية تتجسد في العديد من المظاهر والمبادرات الرائدة أهمها معرض الشارقة للكتاب يعد ثالث أكبر معرض في العالم ويوجد في الإمارة (7) مكتبات عامة علاوة على مبادرة "ثقافة بلا حدود" التي تهدف إلى إنشاء مكتبة في كل بيت في الإمارة، حيث تم تزويد ما يزيد عن 42 ألف عائلة بمجموعة مختارة من الكتب باللغة العربية.²

ويعد انتقال أهم مؤسسة ثقافية عربية وهي مقر الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب عام 2016م من العاصمة السورية دمشق إلى العاصمة الإماراتية أبوظبي ليعبر عن لحظة تأسيسية في بروز أبوظبي التي انتزعت اعتراف الأنتلجنسياً العربية بها كعاصمة لمؤسستهم وعاصمة الفعل الثقافي الأهلي العربي الجديد، كما يأتي ذلك انعكاساً لرغبة الأدباء والكتاب العرب في دعم الحراك الثقافي في الإمارات والمساهمة في دفع الحراك الثقافي الخليجي إلى مستويات جديدة، إضافة إلى ذلك فقد تمّ انتخاب رئيس اتحاد كتاب وأدباء الإمارات أميناً عاماً للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب.³

نظراً لما يمثله الموروث الثقافي الإماراتي الغني والذي يتكئ على التراث والشعر تحديداً، فإنّ هناك اهتمام خاص يحظى به الشعر، مثل تأسيس أول أكاديمية من نوعها للشعر في دولة الإمارات بشقيه (الفصحح والنبطي) عام 2007م، إضافة إلى تخصيص جوائز عربية في مجال الشعر مثل "شاعر المليون" و"أمير الشعراء" فضلاً عن الاهتمام بالتراث بأشكاله كافة مثل التاريخ الشفاهي، وإصدار العديد من المجلات المعنية بالشعر والتراث الشعبي، حيث أنّ عدد مجلات التراث الشعبي في دولة الإمارات العربية المتحدة يزيد على (10) مجلات، تتراوح دوريتها ما بين شهرية وفصلية ونصف سنوية، إلى جانب عدد من الملاحق الثقافية في الصحف المحلية التي لعبت دوراً مهماً في إغناء الساحة التراثية الشعبية في الدولة، وإن كان بعضها دون المستوى المطلوب من الناحية العلمية.⁴ وفي إطار اهتمام الدولة بالتراث الثقافي الإماراتي، نجد "أيام الشارقة التراثية" التي انطلقت عام 2003م والتي تُعدّ أهم المشاريع الثقافية التراثية التي تسعى إلى الحفاظ على العادات والتقاليد الأصيلة والموروث الشعبي المحلي.

ويشكل الإرث التراثي في دولة الإمارات العربية المتحدة، جانباً مهماً من ذاكرة الجمعية الوطنية، إلا أنّنا نجد في الآونة الأخيرة يعاني المجتمع من خطر التركيبة السكانية وأبعادها الاجتماعية والثقافية والسياسية الخطيرة على الهوية الوطنية..

وفي هذا السياق نجد أنّ تفعيل التراث بمعنى جعل الأجيال المعاصرة متواصلة مع جذورها حتى تجد أرضية صلبة لتأسيس رؤية محددة لهويتها الوطنية، يعد مطلباً وطنياً فالتعامل مع التراث يتطلب إعطائه صبغة عصرية ممّا يفرض على أفراد المجتمع

¹ مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية، الموقع الإلكتروني، على الرابط:

<http://www.alowais.com/ar/Prizes/genericcontent/owisaward.aspx>

تمت المشاهدة الساعة 3 م في 10 أكتوبر 2017م.

² الشارقة إمارة المعرفة والحوار الإنساني مع العالم، صحيفة البيان الإماراتية في 9 يوليو 2017م، على الرابط:

<https://www.albayan.ae/five-senses/culture/2017-07-09-1.2998142>

تمت المشاهدة في 18 أبريل 2018م.

³ عبد الخالق عبد الله، لحظة الخليج في التاريخ العربي المعاصر، (بيروت: دار الفارابي، 2018م، ط1)، ص160 و161.

⁴ إحسان الميسري، "الإعلام والتراث الشعبي دور المجلات والفضائيات في الترويج للتراث الخليجي"، ورقة عمل مقدمة لندوة وسائل الاتصال الجماهيري والثقافة الشعبية التي نظمتها وزارة الثقافة القطرية، فبراير 2012م، مجلة المأثورات الشعبية، العدد 78، أبريل 2012م، ص90.

التعامل معه بحيوية، إضافة إلى ذلك يتطلب تفعيل التراث ركائز أساسية فمجتمع الإمارات يحتاج إلى تفعيل روح الموروث الثقافي، نظرًا لتبدل قيم ومعايير أخلاقية حيث تكاد بعض العادات والتقاليد الموروثة أن تندثر، ومقابل ذلك هناك عادات وتقاليد وممارسات جديدة وافدة أضحت تشكل حيزًا لا يستهان به في المجتمع، مما أدى إلى وجود فراغ حيوي أتاح مساحة واسعة للآخر جعلته يحقق وجوده من خلالها.¹

- انتشار الصالونات الأدبية يمثل دلالة على بداية نهوض الحياة الثقافية والفكرية في الدولة، فقد انتشرت خلال مطلع الألفية، هذه المناشط الفكرية والأدبية والتي بلا شك ستسهم في تبادل الأفكار وتنمية الثقافة وحب المطالعة، فضلًا عن إغناء النقاش الحر بين أفراد المجتمع. وتحاول الفعاليات الاجتماعية من خلال تأسيسها لهذه الصالونات أن ترتقي بالحس الفكري والثقافي والسمو بالذائقة العامة من خلال إقامة الأمسيات الشعرية ومناقشة الكتب واستضافة المفكرين والأدباء والشعراء فيها.
- أصدر رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان قانون القراءة في عام 2016م حيث أحدث نقلة نوعية في الحياة الثقافية في الدولة، فقد شكل إصدار القانون الإلزامي علامة فارقة فيما يتعلق بالتنمية الثقافية التي تسعى الدولة لتحقيقها، وتحسين المستوى الثقافي للفرد حيث تنطوي هذه المسألة على أهمية كبيرة لتعزيز دوره في المجتمع حيث يلزم القانون المؤسسات والجهات الحكومية بإنشاء مكتبات داخلية وتخصيص ساعتين لكل موظف للقراءة.

كما يمثل "عام القراءة 2016م" تظاهرة معرفية اتسمت بالزخم والتنوع، كما تمت بلورة خطة استراتيجية لجعل القراءة أسلوب حياة في المجتمع الإماراتي، وتم أيضًا إطلاق صندوق وطني لدعم مشاريع ومبادرات القراءة، إلى جانب إصدار القانون الوطني للقراءة.²

إلى جانب ذلك، فإن القانون الوطني للقراءة، كأول تشريع من نوعه في الدولة والمنطقة يعتمد القراءة كقيمة حضارية، ويحولها إلى صيغة تشريعية ملزمة لها آليات تنفيذ ومتابعة وتقييم، سيمنح الحياة الثقافية في الدولة، المزيد من الزخم للمشهد الثقافي الإماراتي الذي يمر بمرحلة انتعاش ثقافي وفني وفكري-إذا صح التعبير- في ظل الحركة المتنامية للأنشطة والفعاليات الثقافية المتصاعدة في شتى أنحاء الدولة، بفضل التوجه الحكومي الراهن نحو السياحة الثقافية واستضافة الدولة لمختلف المهرجانات والمؤتمرات المعنية بالفن والفكر والمسرح والسينما، فضلًا عن التركيز على الجوائز الثقافية كما ذكرنا سابقاً.

ويهدف القانون إلى الآتي:³

1. بناء مجتمع المعرفة والتركيز كذلك على قطاع التعليم، من خلال تطوير المناهج والأنظمة التعليمية لتعزيز مهارات القراءة لدى الطلبة، وإلزام المدارس والجامعات بتطوير مكتباتها.
2. وي طرح القانون لأول مرة مفهوم التطوع المعرفي، من خلال تشجيع فئات المجتمع على تخصيص جزء من أوقاتهم للقراءة لكبار السن والمرضى والأطفال ومن في حكمهم ممن يعجز عن القراءة.

¹د.سعاد العريبي، دولة الإمارات العربية المتحدة بين ترسيخ الهوية وتعزيز الانتماء-دراسة سوسيولوجية تحليلية- (أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2017، ط1)، ص 237 وص 245.

²"الإمارات تختتم عام القراءة بنجاح وتعيد له ألقه وقيمتة التثقيفية" صحيفة الاتحاد 2016/12/21م، على الرابط:

<http://www.alittihad.ae/details.php?id=65506&y=2016&article=full>.

³رئيس الدولة يصدر "القانون الوطني للقراءة" ونائبه يعتبره بادرة حضارية وتشريعية غير مسبوقة، صحيفة الإمارات اليوم، في 1 نوفمبر 2016م، على الرابط: <http://www.emaratalyoum.com/local-section/other/2016-11-01-1.941981> تمت المشاهدة في 5 م 10 أكتوبر 2017م.

3. يؤكّد القانون أهمية حفظ وأرشفة الإنتاج الفكري المقروء في الدولة، وي طرح مفهوماً مبتكراً للمكتبات العامة، من خلال تشجيع القطاع الخاص على الاستثمار في هذا المجال.
4. ووفقاً للقانون، يعطى الموظف الحق في القراءة التخصصية ضمن ساعات العمل الرسمية، بوصف الثقافة المهنية أو التخصصية نُعدُّ شرطاً لتطوير الأداء وتحسين الإنتاجية.
5. تمثل السياحة الثقافية رافداً جديداً لتعزيز مكانة الدولة إقليمياً وعالمياً من خلال الترويج لها كعامل جاذب للسياحة، فالإمارات تستقطب سنوياً ملايين السياح، لأغراض السياحة والأعمال وزيارة أهم المعالم السياحية والثقافية التي باتت تمثل علامة فارقة في خارطة السياحة الإماراتية، وهذا العامل ساهم في تزايد اهتمام الدولة بالمنتج الثقافي والفكري والفني والأدبي.

وخلاصة القول هنا، إن عادة القراءة هي السبيل الأول لتحصيل المعرفة وهي النافذة الأساسية لبناء ثقافة الإنسان وهي أساس التعليم والمجتمعات تقاس بمستوى القراءة فيها، كما أنّ عادة القراءة تهض بالمجتمع وتشجع على التأليف والنشر إضافة إلى أنّ الإنسان المثقف يكون واسع الأفق بعيداً عن التعصب والانغلاق ويقدر قيمة المختلفين وجمال تعدد الثقافات.¹

ووفقاً لما تقدم، نجد أنّ رفع مستوى القراءة والمعرفة لتصبح عادة مجتمعية، بات يشكل هدفاً وطنياً ووفقاً لرؤية الإمارات 2021م*، تمهيداً لبناء مجتمع المعرفة الذي تسعى الدولة جاهدة لتحقيقه ضمن استراتيجيتها المعلنة، إلا أنّ دعم هذا التوجه يتطلب تضافر الجهود الحكومية ومؤسسات النفع العام والأندية والمؤسسات الثقافية الأخرى لأحداث التغيير المطلوب، ولا يقتصر ذلك على الجانب الرسمي، فنحن بحاجة ماسة لتحقيق متطلبات المعرفة وإعلاء شأن الثقافة والفكر، وأن تصبح سمّة للمجتمع الإماراتي كافة ولا تقتصر على النخبة. كما يتحتم على القطاع الخاص لعب دور أكثر فاعلية في هذا الجانب والاستثمار في المجالات الثقافية والفنية والأدبية والفكرية لتنماشى مع توجهات الدولة المستقبلية.

أولاً: تنامي الحراك الثقافي في دولة الإمارات العربية المتحدة:

1. تطور المؤسسات الثقافية في دولة الإمارات العربية المتحدة:

ظهرت في دولة الإمارات العربية المتحدة مؤسسات ثقافية حديثة متخصصة بالعمل الثقافي مع مؤسسات أخرى من جمعيات وهيئات أهلية ذات اهتمامات ثقافية وبخاصة خلال فترة الثمانينات والتسعينيات من القرن المنصرم. ولم يكن الشأن الثقافي والأدبي جديداً على مجتمع الإمارات، فقد شهدت حقبة الخمسينات والستينات كذلك حركة ثقافية بمبادرات شخصية دعمها عدد من الفعاليات المجتمعية من متعلمين وتجارو علماء الدين وغيرهم من أبناء المنطقة في تلك الحقبة وتمثلت في المجالس والمنتديات والمكتبات التي كانت تمثل الفضاء الاجتماعي والثقافي في تلك الفترة حيث يتم تداول الأخبار وشؤون المجتمع المحلي. وقد شهدت فترة الثمانينات من القرن الماضي بروز الحركة الثقافية المعاصرة وتبلورها من خلال المؤسسات الثقافية المتخصصة في الشأن الثقافي مثل الدائرة الثقافية في الشارقة (1980م) والمجمع الثقافي في أبوظبي (1981م) واتحاد كتاب وأدباء الإمارات في الشارقة (1984م) وندوة الثقافة والعلوم في دبي (1987م) وغيرها من المؤسسات والهيئات الأهلية المعنية بالشأن الثقافي والأدبي وتعتبر هذه المرحلة -مرحلة الحداثة الأولى-، ولعبت هذه المؤسسات دوراً هاماً في تحقيق الانتعاش الثقافي

¹مقابلة أجرتها الباحثة مع وزير التربية الأسبق الدكتور حنيف حسن في 23 أبريل 2017م.

* تهدف رؤية الإمارات 2021م التي تم إطلاقها في 2010م، إلى أن تكون دولة الإمارات ضمن أفضل دول العالم بحلول الوبيل الذهبي للاتحاد، وتم تقسيمها إلى (6) محاور وطنية تمثل القطاعات الرئيسية التي سيتم التركيز عليها خلال السنوات المقبلة في العمل الحكومي ومن بينها القطاع الثقافي وتفعيل الآليات المناسبة لترسيخ الثقافة في المجتمع.

والانتقال إلى مرحلة العمل الثقافي الممنهج، والمبني على قاعدة إدارية محترفة، تمكنت من الارتقاء بالمنشط الفنيّة والفكريّة والأدبيّة الإبداعية، كما ساهمت في تنوع النشاط الثقافي وعززت التّواصل بين الكتاب والأدباء والفنانين ونشرت مؤلفاتهم. كل ذلك ساهم في إثراء الحياة الثقافيّة وإطلاق المرحلة التأسيسية للحياة الثقافيّة المنظمة في دولة الإمارات.¹

وشكل تأسيس اتحاد كتاب وأدباء الإمارات عام 1984م مرحلة هامة في إطار تنامي دور المؤسسات الأهلية لدعم الثقافة والارتقاء بها، فقد ركز الاتحاد على نشر الإنتاج الثقافي والفني للأدباء والكتاب ورعاية المواهب الأدبية وتنشيط الحركة الثقافيّة وتنظيم الندوات والمؤتمرات الأدبيّة والثقافيّة.

وقد عانت الحركة الثقافيّة في دولة الإمارات العربية المتحدة خلال فترة الثمانينات والتسعينات من عدّة صعوبات أهمها غياب الاستراتيجية الواقعية والمتكاملة، كما كانت تنقصها أجواء الحرّية الفكرية وحرية التعبير، إضافةً إلى ذلك كانت تفتقد التنسيق بين هيئاتها وكانت في أمس الحاجة لاحتضان جماهيري أعم.² كما افتقدت الحياة الثقافيّة في الإمارات إلى الفكر والنتاج الفكري والاهتمام بالفكر والفلسفة والبحث العلمي والجهد النظري إضافة إلى ذلك نجد أنّ تلك الحقبة كانت تفتقر إلى المؤلفات والإصدارات الفكرية والمؤسسات الفكرية والبحثية والندوات والمحاضرات الفكرية.³ ولذلك كان لابد من توفير البيئة الحاضنة والمناسبة لتعزيز التنمية الثقافيّة في الدّولة التي ستمكن المجتمع من الولوج إلى آفاق رحبة تضمن الاستدامة الثقافيّة، وتحقيق الإشباع المعرفي للأجيال الحالية والقادمة.

2. أدوات تعزيز التنمية الثقافيّة في دولة الإمارات العربية المتحدة:

الأداة الأولى: تتمثل في تعزيز التنمية المجتمعية، حيث بات الرفاه المعيشي متاحاً للإنسان الإماراتي بما يجعله قابلاً للاتجاه نحو إشباع الاحتياج المعرفي والثقافي كونه لا يعاني الاحتياج الاقتصادي أو المادي، وبالتّنينية المجتمعية نستطيع أن نأخذ بيد المجتمع نحو الاستدامة الثقافيّة التي تحقق له نماء الفكر والمعارف والذاتقة الثقافيّة والحساسيّة الفنيّة.

الأداة الثّانية: صناعة الكتاب والنّشر وقد قطعت الدّولة الشوط الكبير في ذلك، حتى أنّها بمعارض كتبها العالمية المستوى والطابع كمعرضي أبو ظبي والشارقة (وهو ثالث أكبر معرض في العالم)، والعدد المتزايد لدور النّشر فيها، وبدون مبالغة بات يوازي منجز المراكز التقليدية للثقافة العربية في بيروت والقاهرة ودمشق وبغداد.

الأداة الثّالثة: إنشاء المراكز البحثية الكبرى وتأهيل جيل كامل من الباحثين والدارسين، والتركيز على أقسام الدراسات العليا للأدب والمعارف والصناعات الإبداعية والثقافيّة مع الحرص على الخصوصية الثقافيّة العربية للدّولة، لا عوملة التّعليم كما هو الحال في قطاعات أكاديميّة عديدة.

الأداة الرّابعة: بناء بنية تحتية رقمية للثقافة الإماراتيّة تستطيع أن تستوعب البيانات الكبرى من جهة وأن توثق وتقدّم للجمهور والشباب خاصة من جهة ثانية المنجز الثقافي الإماراتي بمحتوى رقمي وشكل جديد يناسب ميول الجيل الجديد واحتياجاته.

¹ عبد الخالق عبد الله، بروز وتطور المؤسسات الثقافيّة في الإمارات، ضمن ندوة الثقافة والعلوم في دبي دولة الإمارات العربية المتحدة حول الحركة الثقافيّة بالإمارات 2-3 أبريل 1997م، (دبي: ندوة الثقافة والعلوم، 1998م، ط1، ص 88 و89 و90.

² عبد الخالق عبد الله، الحركة الثقافيّة في الإمارات، مرجع سابق، ص 18.

³ عبد الخالق عبد الله، المرجع السابق، ص 77.

الأداة الخامسة: الدمج الكامل للمؤسسات ذات الدور الثقافي بحسب الاختصاص في كل إمارة لتلافي التضارب وعدم التنسيق في مرحلة قادمة يكون الحراك الثقافي خاضعا لخطة وطنية شاملة لاستدامة الثقافة في المستقبل¹.

ثانيا: التّحديات الثقافيّة في دولة الإمارات:

يواجه المجتمع الإماراتي كغيره من المجتمعات العربية عموماً والخليجية خصوصاً عدداً من التّحديات التي من شأنها أن تحدّ من تطوير وتعميق الفعل الثقافي، ولاسيما أنّ هناك تحديات تتجاوز الشأن الثقافي وتؤثر سلباً على مسار التنمية الثقافيّة المراد تحقيقها.

ونوجز تلك التّحديات في التّالي:

- تهدد المجتمعات الخليجية - بما فيها المجتمع الإماراتي- أزمة الهوية الثقافيّة وتبدل القيم والصّراع غير المعلن بين ثقافة الوافدين وبين الثقافات المحلية الأصلية، فضلاً عن تحديات العولمة وما تحمله من مؤشرات تسهم في تغيير مكونات الثقافة والهوية الخليجية، فالحديث عن الهوية في الخليج بات يطرح كنتيجة حتمية للتغيرات المتسارعة التي عاشها هذه المجتمعات مؤخراً².
- طغيان الثقافة الاستهلاكية كقيمة ثقافية في المجتمع، حيث باتت هذه الثقافة جزءاً أساسياً في نمط الحياة اليومي ليس فقط للإنسان الإماراتي بل أيضاً المقيمين على أرضها.
- ضعف التنسيق بين المؤسسات المعنية بالثقافة والفكرة في الدّولة ممّا أسفر عن وجود ازدواجية في الأنشطة والفعاليات.
- تحديات تكوين رأس مال بشري ثقافي كركيزة أساسية في بناء الغد، وهي تحديات لا تواجه بالنشاطات الثقافيّة الموسمية ولا "بالوجهة" الثقافيّة، وإنّما من خلال انخراط المواطن والمواطنة في الفعل الثقافي إبداعاً وإسهاماً واستمتاعاً وبتضافر جهود التّعليم والإعلام والاقتصاد والمجتمع وتوفير المزيد من حريات الإبداع والتعبير الثقافي، واحترام المعايير والنوعية للثقافة وتكثيف الإشعاع الثقافي، الذي يحفز النّاس على الارتقاء الفكري والسمو الإبداعي والانفتاح على العصر والتّسامح الثقافي³.
- ضعف مساهمة المجتمع والقطاع الخاص في التنمية الثقافيّة⁴.
- يلعب المثقفون دوراً محورياً في رفع مستوى الوعي الثقافي والفكري في المجتمعات لاسيما في المرحلة الانتقاليّة الدّقيقة التي يشهدها المجتمع الإماراتي، لذلك يلزم أن يقوم المثقفين بدور أنشط في المجال العام، فهم الأقدر من غيرهم على صياغة رؤيتهم الفكرية ودفعهم نحو آفاق أوسع في المجال الإبداعي، إضافة إلى خلق حركة نقدية جادة تؤسس أرضية ثابتة في الفضاء الثقافي لترسيخ مفاهيم الاختلاف والتعددية الثقافيّة.

¹مقابلة أجرتها الباحثة مع الناقد والكاتب الفلسطيني سامح كعوش في 3 أكتوبر 2017م.

²فضل طلال العمري، الأمن الثقافي في الخليج العربي "قطر نموذجاً"، (القاهرة: دار هلا للنشر والتّوزيع، 2012م، ط1، ص112 و113.

³يوسف الحسن، أية ثقافة.. أي مواطن نريد في المستقبل؟، مرجع سابق، ص51-52.

⁴الحسن، المرجع السابق، ص51.

وعلى المثقف أن يشخص الواقع بشكل دقيق ويستند إلى فهمه لطبيعة التحديات التي تواجه المجتمع، ودور المثقف في الإمارات دور مزدوج، الأول الدور التنويري والتحديثي والذي يهدف إلى تطوير المجتمع. للحاق بركب العلم والتفكير العلمي في حين يتمحور دوره الثاني حول الدور التحرري والطلبي والذي يهدف إلى إلغاء أشكال التبعية والهيمنة الخارجية.¹

كما تشكل الديناميكية الثقافية عاملاً هاماً في هذا السياق عندما ترتبط برأسملة التراكم وبحوارية ثمر العطاء، والعطاء الذي يختص به المثقف هو في الدور الذي يسهم به مجتمعيًا وبشكل واعٍ ويعقل منتفع ونقدي.²

وفي ضوء ما سبق، نجد أنّ هناك إرادة سياسية تدعم الثقافة والفكر، حيث سعت لتأسيس مشروع ثقافي وطني، ومهدت الطريق أمام جميع الفاعلين في المجتمع من مثقفين وكُتّاب وأكاديميين وتربويين وإعلاميين للتفاعل بشكل يرقى إلى مستوى عملية التحول التي يشهدها المجتمع الإماراتي، والعمل معاً نحو الارتقاء بالمجتمع الذي يتميز بانفتاحه بصورة متوازنة، وأصالته وإرثه الثقافي الذي يتكئ عليه.

ونستنتج ممّا سبق أنّ الحاجة باتت ملحّة إلى ثورة ثقافية حقيقية تعتمد على عدة أطراف فاعلة ومؤثرة في المجتمع وهي: الدولة ممثلة بمؤسساتها الثقافية والفكرية وجمعيات النفع العام (منظمات المجتمع المدني) ووسائل الإعلام المختلفة والقطاع الخاص كجهة مساهمة في المسؤولية المجتمعية، ومن المفترض أن تعمل تلك الأطراف على المساهمة في تشكيل الواقع الثقافي والفني والفكري والأدبي من خلال التنسيق الكامل والتفاعل لتعزيز مرحلة الانفتاح الثقافي والفكري التي تعيشها الدولة حالياً بالإضافة إلى توجيه تلك الجهود للمؤسسات التعليمية في مراحلها المختلفة بقية غرس حب الثقافة والفني في النشء الذي يمثل بلا شك الثروة الحقيقية للمجتمع. وكما تلعب المؤسسات الثقافية في الدولة دوراً محورياً في هذا الجانب لدعم ورعاية الثقافة والفكر.

خاتمة:

وفي الختام نوجز جملة من التوصيات تهدف إلى تفعيل التنمية الثقافية في دولة الإمارات:

1. هناك ضرورة ملحّة من ربط التنمية المستدامة -التي تمثل توجهها وطنياً في الدولة- بالثقافة بأبعادها الفكرية والإبداعية والفنية كافة لتدشين مرحلة تاريخية مهمة في ظلّ ما تشهده الدولة من تطورات دقيقة على الصعيدين الداخلي والخارجي، فأما على الصعيد الداخلي فهناك ثمة تحولات تتعلق بالتعليم والتنمية البشرية والمجتمعية، والجوانب الاقتصادية والتنموية وتسير بخطوات متسارعة، في حين نجد الصعيد الخارجي يتمثل في عالم متغير، يتحرك بسرعة صاروخية، لذلك نجد أنّ هذه المعادلة الصعبة تحتاج إلى نوع من التوازن والاستيعاب لمتطلبات اللحظة الراهنة بكافة تبعاتها.

2. يتحتم على كافة المعنيين بالشأن الثقافي في دولة الإمارات عدم التركيز على الثقافة فقط خلال مواسم بعينها؛ حيث من الملاحظ أنّ الاهتمام بالثقافة والفكر والفنون وما يصاحبه من حملات إعلامية تركز على المنجز الثقافي وتحاول -المبالغة والتضخيم- في بعض الأحيان، الترويج وتبسيط الضوء عبر وسائل الإعلام المختلفة، وبعد انتهاء الحدث تبدأ الأمور بالرجوع لطبيعتها السابقة والتي تتسم بالجمود والفتور.

¹ عبد الخالق عبد الله، الحركة الثقافية في الإمارات، (أبوظبي: المجمع الثقافي، 2000م)، ط 1، ص 122.

² محمد بن زيان "الربع والمأزق الثقافي" مجلة الدوحة، العدد 88، 2015م

<<http://www.aldohamazine.com/article.aspx?n=9209345F-B7C3-459B-B9A7->

> F8623D60F59B&d=20150201#.Wnc39XIG3tQ تمت المشاهدة في 7 فبراير 2018م.

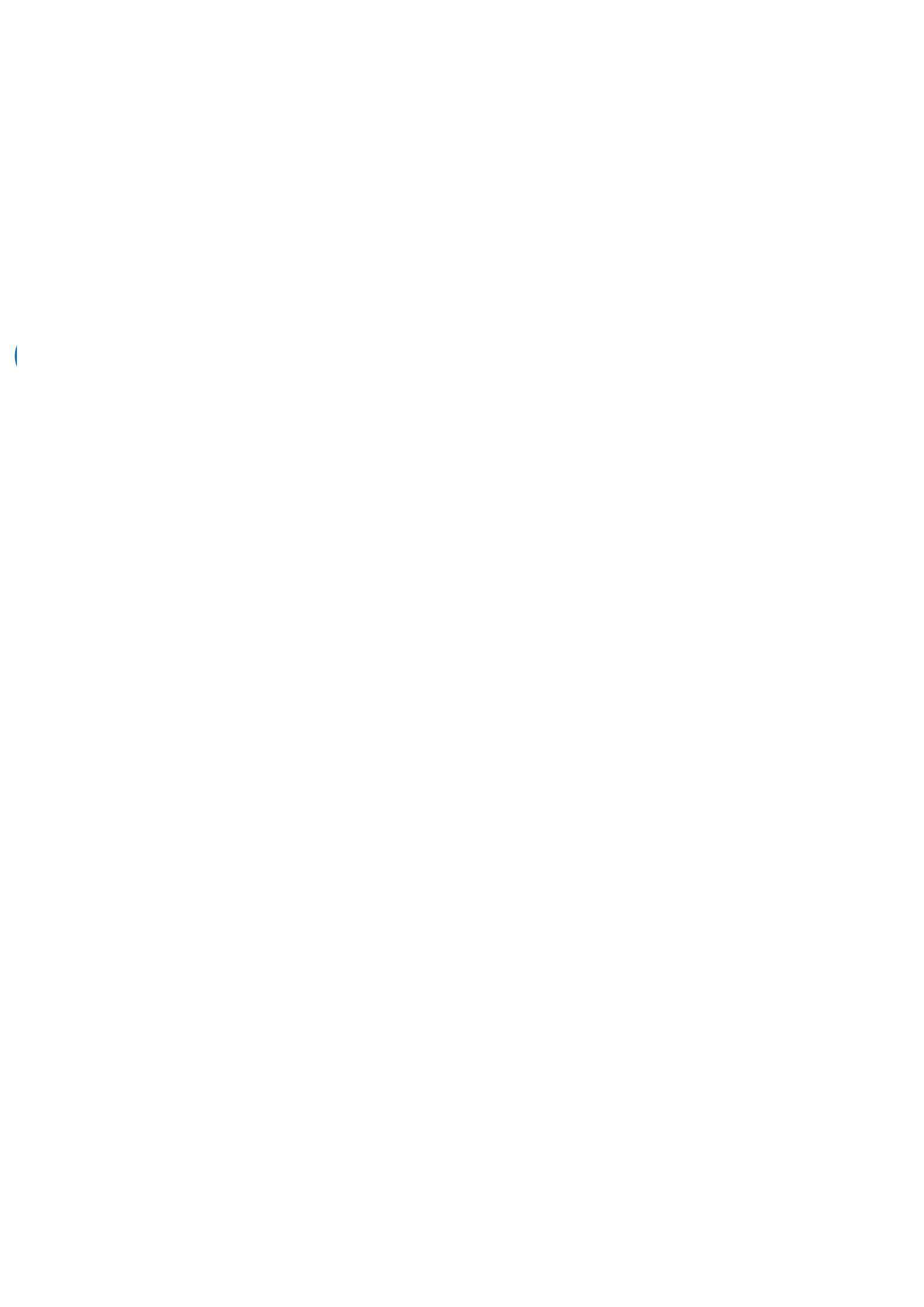
3. يحتاج المشهد الثقافي المتنامي إلى شحذ كافة الإمكانيات المادية والمعنوية للانتقال بالمجتمع نحو أفق ثقافي منفتح على الآخر، وتقديم الدعم الكامل للمواهب الشابة للولوج إلى آفاق الثقافة والفكر الرحبة، من خلال المنح الدراسية في مجالات الثقافة المختلفة، وفتح المجال لهؤلاء للمشاركة والتطوع في تنظيم الفعاليات الثقافية والفكرية والفنية علاوة على ذلك دعم المشاريع الثقافية الناشئة لتعزيز التوجه الثقافي والفكري للمرحلة المقبلة.

ومن المتوقع وفقاً للمعطيات التي ذكرت سابقاً، أن يحقق حرص صانع القرار على دمج البعد الثقافي ضمن السياسات والممارسات العامة، وتشجيع كافة الفعاليات المجتمعية على التفاعل مع المبادرات الثقافية. كما سيحقق بلا شك جملة من الأهداف التي تم وضعها في سبيل تحقيق تنمية ثقافية في مجتمع كان بالأمس القريب يعد من المجتمعات التقليدية المحافظة، إلا أن عوامل عديدة أسهمت في بروز تحولات جعلت منه مجتمعاً منفتحاً نسبياً، متقبلاً للآخر وفي مرحلة انتقال هامة تتطلب استخدام الأدوات المعاصرة كافة لتكوين الشخصية الثقافية الإماراتية المعاصرة مع المحافظة على خصوصية المنظومة القيمية للمجتمع خصوصاً بعد حالة الانحسار الثقافي التي كانت تعاني منها الدولة خلال فترة كان عامل الثقافة ليس ضمن أولويات الأجندة الوطنية، إضافة إلى ذلك تحدي التعدد الثقافي الذي يشكل جزءاً من المجتمع الإماراتي في ظل وجود جاليات أجنبية كبيرة.

قائمة المراجع:

1. أسعيد، محمد توهيل، وشراب، يوسف محمد. (2005). مجتمع الإمارات الأصالة والمعاصرة، (الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع).
2. إمارة أبوظبي، دائرة الثقافة والسياحة، الموقع الإلكتروني، على الرابط:
3. <http://tcaabudhabi.ae/ar/what.we.do/national.library/projects/kalima.aspx>
4. التقرير العربي الأول للتنمية الثقافية، موقع الجزيرة نت، في 14 يناير 2009م، على الرابط:
5. <http://www.aljazeera.net/knowledgegate/books/2009/1/14/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%82%D8>
6. جائزة الشيخ زايد للكتاب، الموقع الإلكتروني، على الرابط: <http://www.zayedaward.ae/?lang=ar>
7. الحسن، يوسف. (2014)، أية ثقافة.. أي مواطن نريد في المستقبل؟ شواغل وهموم وطنية إماراتية، (دبي: ندوة الثقافة والعلوم).
8. حم، محمد بن مسلم بن. (2013)، الإمارات العربية المتحدة.. الحكم الرشيد (أبوظبي).
9. دورتية، جان فرنسوا. (2009)، معجم العلوم الإنسانية، ترجمة جورج كتورة (بيروت: مشروع كلمة والمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع).
10. رئيس الدولة يصدر "القانون الوطني للقرءة" ونائبه يعتبره بادرة حضارية وتشريعية غير مسبوقه، صحيفة الإمارات اليوم، في 1 نوفمبر 2016م، على الرابط:
11. <http://www.emaratalyoum.com/local-section/other/2016-11-01-1.941981>.
12. زيان، محمد بن. (2015)، "الربيع والمأزق الثقافي" مجلة الدوحة، العدد 88، على الرابط:
13. <http://www.aldohamagazine.com/article.aspx?n=9209345F-B7C3-459B-B9A7-F8623D60F59B&d=20150201#.Wnc39XIG3tQ>.

14. شمس الدين، إيمان. (2016)، النظام القبلي في الخليج وجذور التطرف، البيت الخليجي للدراسات والنشر، في 22 يونيو على الرابط: <https://gulfhouse.org/posts/1481/>.
15. عبدالله، عبد الخالق. (2000)، الحركة الثقافية في الإمارات، (أبوظبي: المجمع الثقافي، ط1).
16. عبدالله، عبد الخالق. (1998)، بروز وتطور المؤسسات الثقافية في الإمارات، ضمن ندوة الثقافة والعلوم في دبي دولة الإمارات العربية المتحدة حول الحركة الثقافية في الإمارات 2-3 أبريل 1997م، (دبي: ندوة الثقافة والعلوم، ط1، 1998م).
17. عبدالله، عبد الخالق. (2018)، لحظة الخليج في التاريخ العربي المعاصر، (بيروت: دار الفارابي، ط1).
18. العريبي، سعاد. (2017)، دولة الإمارات العربية المتحدة بين ترسيخ الهوية وتعزيز الانتماء-دراسة سوسيولوجية تحليلية- (أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط1).
19. العمري، فضل طلال. (2012)، الأمن الثقافي في الخليج العربي "قطر نموذجاً"، (القاهرة: دار هلا للنشر والتوزيع، ط1، 2012م).
20. فؤاد عبد الله، ثناء. (2013)، "حول النمو الاقتصادي وسياسات التنمية في الوطن العربي" ضمن كتاب النمو الاقتصادي والتنمية المستدامة في الدول العربية.. الأبعاد الاقتصادية (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات).
21. الكيالي، عبد الوهاب وآخرون. (2009)، الموسوعة السياسية، ط5 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر).
22. الإمارات تختتم عام القراءة بنجاح وتعيد له ألقه وقيمتة التثقيفية، صحيفة الاتحاد 21/12/2016م، على الرابط: <http://www.alittihad.ae/details.php?id=65506&y=2016&article=full>
23. مقابلة أجرتها الباحثة مع الناقد والكاتب الفلسطيني سامح كعوش في أبوظبي بتاريخ 3 أكتوبر 2017م.
24. مقابلة أجرتها الباحثة مع وزير التربية الأسبق الدكتور حنيف حسن في أبوظبي 23 أبريل 2017م.
25. مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية، الموقع الإلكتروني، على الرابط: <http://www.alowais.com/ar/Prizes/genericcontent/owisaward.aspx>.
26. الميسري، إحسان. (2012)، "الإعلام والتراث الشعبي دور المجالات والفضائيات في الترويج للتراث الخليجي"، ورقة عمل مقدمة لندوة وسائل الاتصال الجماهيري والثقافة الشعبية التي نظمتها وزارة الثقافة القطرية، فبراير 2012م، مجلة المأثورات الشعبية، العدد 78، إبريل.





جميع الحقوق محفوظة

لمركز جيل البحث العلمي © 2018